


LArab.C
E78m
172021
Author Es-Saiah, Moh
Title Morceaux choisis tirés des oeuvres des principaux prosateurs.
NAME OF BORROWER.
DATE.
University of Toronto Library
DO NOT REMOVE THE CARD FROM THIS POCKET
Acme Library Card Pocket
Under Pat. "Ref. Index File"
Made by LIBRARY BUREAU



-- ادارة العلوم والمعارف بالرباط --

المنتخبات العبقرية

لطلاب المدارس الثانوية

تأليف

العبد الفقير الى الله محمد بن عبدالسلام بن
عبدالرحمان السائح الرباطي الدار
الاندلسي النجار الله وليه
ومولاه

قررت ادارة المعارف طبع هذا الكتاب على نفقتها
واستعماله في مدارسها



— طبع في ادارة المطبعة الرسمية برباط الفتح سنة ١٩٢٠ —

مقدمة

هذا المؤلف المفوّف يتضمن منتخبات نثرية وشعرية من كتابة علماء اندلسيين ومغاربة من مؤلفين ومؤرخين وشعراء ومترسلين مع الالمام بنبذ من حياتهم على قدر ما تمس اليه الحاجة وضعناه لطلاب المدارس الثانوية الاسلامية باشارة الضابط المستعرب الاديب المسيو نيجل مدير مدرسة الرباط الثانوية الاسلامية لقصد تطبيق البرنامج الرسمي المحتوي على تقرير هذا الموضوع في المواد الدراسية الصادر رابع عشر شعبان عام 1337 هجرية .

ولما انه برسم المدارس فالملتمس ممن يتناوله من الاساتذة ان يدرسه على نموذج التعليم العصري وذلك بان يعنى خلال كل درس بالتنبيه على مرامي الفاظه . وملامح الحاظه . ويتخذه ميداناً للمحاورة . والقاء الاسئلة على اسلوب المناظرة. ويحثهم كلما سنحت الفرصة على حكايته. او تحريره كتابة بعد مراجعته. يوماً بذكر حاصل المعنى. ويوماً بمحاذاته في المبنى . ثم النسج على منواله . والطبع على غراره . بتعيين موضوع يستهدف الفاظ الدرس . كي يكون ذلك امكن وارسخ في النفس . وان يوازنوا بين كتابة اثنين . تارة بين مغربيين . وآونة بين اندلسيين . وطوراً بين مختلفين . حتى ترتاض افكارهم على القلم الادبي . وتتربى فيهم ملكة الذوق العربي . والله المستعان

— تنبيــه —

كل ما لم اعزه في تراجم الرجال ففكري منشئه او متصرف فيه بالاختصار والترتيب ونحوهما . . .

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ان أنفس ما تقلدت به بنات الافكار . وتضوع بعرف طيبه منطق البليغ المدرار . حمد الرب الذي جعل الادب من العلم زينة . وحلّى من اجتبى بجواهر حكمه الثمينة . والصلاة والسلام على الواسطة العظمى.صاحب الوسيلة والمقام المحمود الاسمى . سيدنا محمد الذي أوتي روائع الحكم . وجوامع الكلم. حباء منه تعالى وفضلا كبيرا . يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا . وعلى آله الذين ترووا من حياض فضله بكلتا اليدين . واقتطفوا من رياض علومه ما تشتهيه النفس وتلذ به العين . اما بعد فهذه منتخبات عبقرية . من بين نثرية وشعرية . من نفثات علماء الاندلس والمغرب . من بين كاتب بارع ومؤرخ معجب . وشاعر مفلق ومؤلف معرب . قصدت بوضعها التلميح الى ما نبغ من الاطواد بهذا القطر وذاك . وما قذفه مد العصور من نفيس اللآلىء هنا وهناك . ليستشرف بذلك الى محاسن اللغة وعلومها . وتواريخها وآدابها . الى ما يستتبع من التزود بحظ وافر من مفردات اللغة . والتمكن من اغراض الكلام المتنوعة.والله تعالى الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل

نظرة عمومية في تاريخ المغرب الاقصى —

لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية ٢٠ وطرابلس ٢٢ واستأذنه في التقدم الى افريقية فأبى عليه وقال تلك المفرقة وليست بافريقية فرجع الى مصر وبقي عليها الى ان كانت خلافة عثمان رضي الله عنه فعزله وولى مكانه عبدالله بن سعد بن ابي سرح وامره بغزو افريقية فخرج اليها ٢٦ وصالح اهلها على الجزية ثم كر اليها ٢٦ بجيوش جرارة والتقى مع البربر والرومان قرب سبيطلة فاشتبك القتال بين الفريقين اياماً ثم انكشف عن انهزام الافريقيين وحاصر ابن ابي سرح سبيطلة وفتحها عنوة ثم صالحوه بمال على ان يخرج بجيش العرب من بلادهم فأجاب اليه ورجع الى مصر ثم في خلافة معاوية رضي الله عنه بعث اليها معاوية بن خديج ٤٥ ففتح سوسه وبنزرت وفشا الاسلام في البربر ثم عزله واستعمله على مصر وولى عليها عقبة بن نافع الفهري ٥٠ فاثخن في البربر واختط مدينة القيروان ٥٠ ثم عزله واستعمل على مصر وافريقية معاً مسلمة بن مخلد الانصاري فولى مسلمة مولاه ابا المهاجر على افريقية ٥٥ فتغلغل فيها الى تلمسان ثم في خلافة يزيد اعاد عقبة اليها ٦٢ ففتح وصالح ثم تقدم الى المغرب الاقصى ولما وصل الى طنجة حاصرها وكان بها حاكم من القوط يدعى يليان فصالحه ثم اوغل في تلك الاراضي الشاسعة وعبر جبال درن الى سوس ودرعة واثخن في البربر حتى اذعنوا للاسلام ثم عطف على الساحل يؤم القيروان ولما وصل الى اسفي ادخل قوائم فرسه في البحر ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم اني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لذهبت في البلاد اقاتل في سبيلك حتى لا يعبد احد من دونك ولما وصل لارض

الزاب قدم جيوشه ثقة بما دوّخ من البلاد وبقي في نفر قليل وكان صحبته كسيلة فراسل اخوانه من البربر فوافوه باقرب من لمح البصر واستلحموا عقبة ومن معه وبلغ ذلك اهل القيروان ففروا الى برقة وبقي المغرب في يد كسيلة الى ان استنقذه منه عبدالملك بن مروان ٦٩ وتوالت عليه من يومئذ امراء بني امية ومنهم موسى بن نصير مولى طارق فاتح الاندلس ثم لما خفت صيت الخلافة الاموية انتهز الفرصة آل عقبة بن نافع ووثبوا على ملك المغرب ١٢٦ غير ان ما دب اليهم من داء الغيرة والتنافس لم يسمح لدولتهم بطول العمر فلم ينشب المغرب ان سقط في ايدي البربر ١٤٠ الى ان استنقذه منهم المنصور ١٤٤ وتوالت عليه عمال آل العباس الى ان اجاز اليه المولى ادريس رضي الله عنه ١٧٢ واسس فيه الدولة الادريسية وانفصل من يومئذ عن نظر الخلفاء بالمشرق

— دول المغرب —

الدولة الادريسية

من اعظم ملوك هذه الدولة الشريفة المولى ادريس بن ادريس بنى مدينة فاس ١٩٢ وغزا المغربين واستولى عليهما ومنهم يحيى بن محمد بن ادريس وفي عهده بنت السيدة فاطمة بنت محمد الفهري القيروانية الملقبة ام البنين جامع القرويين ٢٤٥ —

دولة زناتة من مغراوة وبني يفرن

كانت تحت نظر الامويين بالاندلس ومن ملوكهم يدّو بن يعلي اليفرني اسس مدينة وجده ٣٨٤ وشيد اسوارها وأحكم قصبتها وركب ابوابها واتخذها عاصمة للمغربين الاقصى والاوسط

دولة الملثمين او المرابطين او اللمتونيين

واعظم ملوكهم امير المسلمين يوسف بن تاشفين بنى مراكم ٤٥٤ واجاز الى الاندلس اجابة لاستصراخ المعتمد بن عباد وغيره فوقعت بينه وبين ألفونس السادس وقعة الزلاقة التي هي اكبر وقائع المسلمين بالاندلس فاز فيها امير المسلمين فوزاً عظيماً ثم تغلب بعد على المعتمد وغيره من ملوك الطوائف وجمع بين حكم المغرب والاندلس .

دولة الموحدين

وقيامها على يد المهدي بن تومرت ومن اشهر ملوكهم عبدالمؤمن بن علي ملك المغربين وافريقية والاندلس ومنهم المنصور بالله يعقوب بن يوسف بنى رباط الفتح ٥٩٣ وجامع حسان ومناره الاعظم المضروب به المثل في الضخامة والاتقان ومنار جامع الكتبيين والجامع الاعظم باشبيلية وشيده مناره المشاكل للمنارين المذكورين بل قيل انه لا يوجد في بلاد المسلمين اعظم منه

المرينيون

ورأسهم الامير عبدالحق ومن اشهر ملوكهم المنصور بالله يعقوب بن عبدالحق استرجع سلا من يد الاسبانيين واوقع بهم ٦٥٨ وكانوا قد ثاروا هناك واستولوا عليها وبنى المدينة البيضاء (فاس الجديد) ٦٧٤ واجاز الى الاندلس اربع مرار اجابة لاستصراخ ابن الاحمر وانتصر على الاسبانيين نصرات باهرة وغنم اموالا لا تحصى ومنهم ابوالحسن استرد من الاسبانيين جبل الفتح وجرت بينه وبينهم وقائع عظيمة برية وبحرية ومنهم ابنه ابوعنان له آثار دينية من بناء المدارس والزوايا وغير ذلك

الوطاسيون

هم فرقة من بني مرين غير انهم ليسوا من بني عبدالحق واول ملوكهم محمد الشيخ بن ابي زكرياء وفي ايامه بنى البرتقاليون الجديدة ٩١٤ على انهم في عهد هذه الدولة استولوا على ثغر اسفي وازمور وغيرهما الى ان اجلاهم السعديون عنها .

الاشراف السعديون

اولهم ابوعبدالله القائم بامر الله له في جهاد البرتقال ذكر جيل ومنهم محمد الشيخ اختط حصن اكادير ٩٤٧ وكان منصوراً بالرعب حتى ترك البرتقاليون له اسفي وازمور واصيلا من غير قتال ولا ايجاف عليهم ومنهم ابنه ابومروان المعتصم بالله وقعت بينه وبين البرتقاليين وقعة وادي المخازن الشهيرة ٩٨٦ التي هزم فيها البرتقاليون تلك الهزيمة الشنعاء ومنهم احمد المنصور الذهبي بن محمد الشيخ ايضاً غزا السودان وفتح كاغو ٩٩٩ وامتد تسلطنته فيما بين بلاد النوبة الى المحيط الاطلانطيقي .

دولة الاشراف السجلماسيين

وهي دولتنا الحالية اعلى الله قدرها وخلد مجدها وفخرها وقيامها على يد المولى الشريف بن علي ١٠٤١ ومن ملوكهم المولى اسماعيل دان له جميع بلاد المغرب وامتدت حكومته الى تخوم السودان جنوباً والى بسكرة شرقاً وشيد الاثار الهائلة والمصانع الضخمة والقلاع الكثيرة خلال قبائل البربر وبها خضد شوكتهم وفلّ حدتهم وحاصر طنجة ١٠٥٩ وكانت بيد الانكليز فافرغها له وفتح العرائش ١١٠٠ واصيلا ١١٠٢ وكانتا بيد الاسبان وكان في منصب النيابة

عن اخيه المولى الرشيد سبع سنين وفي منصب الاستقلال سبعاً وخمسين سنة وهذه المدة لم يستوفها احد في الملك لا من خلفاء الاسلام ولا من ملوكه الا المستنصر العبيدي صاحب مصر فانه اقام في الخلافة ستين سنة . وكان له من الاولاد خمسمائة ولد ذكر ومن البنات مثل ذلك او قريب منه . ومنهم المولى محمد بن عبدالله بنى مدينة الصويرة ١١٧٨ واجلى البرتقاليين عن الجديدة ١١٨٢ وشيد بالمراسي الابراج الهائلة المشحونة بانواع المدافع . ومنهم المولى الحسن بن محمد بنى برجاً محكماً عجيب الشكل بالرباط ومعملا للسلاح بفاس وغير ذلك من الاثار الحسنة وكان لا يفتر عن الجوس خلال المملكة وفي هذه الفكرة السديدة من توطيد الامن وغيره ما لا يخفى . ومنهم ابنه سلطان العصر ابوالمحاسن المولى يوسف وهو من اجل الملوك قدراً . وارفعهم شأناً وذكراً . ذو تؤدة ووقار . ومجد باذخ وفخار . الى لين عريكة وسمت حسن وتحلٍّ بكل ما يحمد ويستحسن . واما محبة الخير واهله . فذاك من شنشنته وطبعه . نصره الله وادام علاه . .

نظرة في سير العلم في الممالك الاسلامية

من مناظرة بين العلم والجهل لبعض البلغاء

ألا ترى الى ما كنت عليه ايام الدولة الاموية من الحرمة والاعتزاز . بالشام واليمن والحجاز . وما حصل لي من الجلالة ببغداد والعراقين وخراسان وما وراء النهر ايام العباسية وما كان لي من الاقبال بمصر وسائر ديار الاسلام ايام الدولة التركية وايام الجراكسة وخصوصاً بالمساجد الثلاثة التي تشد لها الرحال فكم كان فيها من فحول رجال وصولتي ببلاد الروم صدر الدولة العثمانية

من شك فلينظر الشقائق النعمانية(١) وبافريقية ايام الادارسة والاغالبة وبالعدوة الاندلسية ايام الدولة المروانية، القاهرة الغالبة وما قصر في القيام بي طوائف ايام ملوك الطوائف ونصرت بالابيض والاسمر مدة ايام بني الاحمر ولم تزل لي بتلك العدوانة فخامة الى ان قوض الاسلام من الجزيرة خيامه وعظم شاني بمراكش والبيضاء ايام ابن تاشفين وابنه علي الرضا وكنت بالمغربين منقطع القرين ايام الموحدين وبني مرين ونصرت بالهادين المهديين من الوطاسيين والملوك السعديين ولم اضع بتلمسان ايام بني زيان ولا ببجاية كما في عنوان الدراية . وكذا بتونس وزواوة . فنعم العدلان ونعمت العلاوة (٢)

علماء المغرب

القاضي عياض

ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عَمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي القاضي المحدث الحافظ ولد بسبتة ودخل الاندلس واخذ بقرطبة عن جماعة وبمرسية عن ابي علي الصدفي وجمع من الحديث كثيراً وشيوخه يقاربون المائة . قال ابن الابار في المعجم وكان لا يدرك شأوه ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الآثار وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه والتصرف الكامل في فهم معانيه الى اطلاعه بالاداب وتحققه بالنظم والنثر ومهارته في الفقه ومشاركته في اللغة والعربية وبالجملة

---

(١) في علماء الدولة العثمانية للمولى احمد بن مصطفى المعروف بطاشكبرى زاده (٢) هي في الاصل ما وضع بين العدلين واراد بالعدلين تونس والجزائر وبالعلاوة زواوة.

فقد كان جمال العصر ومعجز الافق وينبوع المعرفة ومعدن الافادة واذا عدت رجالات المغرب فضلا عن الاندلس حسب فيهم صدراً وله تآليف مفيدة كتبها الناس وانتفعوا بها وكثر استعمال كل طائفة لها وفي مشارق الانوار منها كان ابوعمرو المعروف بابن الصلاح ينشد اخبرنا بذلك من اصحابنا من سمعه

مشارق انوار تسنت بسبتة　　وذا عجب كون المشارق بالغرب

وولي قضاء بلده مدة طويلة ثم نقل الى قضاء غرناطة فلم يطل مقامه بها واعيد الى سبتة ثانية ومنها اشخص الى مراكش وفيها توفى مغرباً عن وطنه يوم الجمعة السابع من جمادى الاخرة سنة ٥٤٤ ودفن بباب ايلان داخل المدينة ومولده منتصف شعبان سنة ٤٧٦ ﻫ وترجمة هذا الامام اشهر من قفا نبك ومن نار على علم واجلالا لمنصبه خصه المقري صاحب نفح الطيب بتأليف وسمه ازهار الرياض في اخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض ومن مصنفاته كتاب مشارق الانوار المذكور وهو كتاب مفيد جداً في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي الموطا والبخاري ومسلم والشفا بالتعريف بحقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم والاكمال في شرح صحيح مسلم كمل به المعلم في شرح كتاب مسلم للمازري وشرح حديث ام زرع شرحاً مستوفى وغير ذلك

﴿ من نفيس درره المنثورة . في كتاب الشفا ﴾

ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز(١) كثيرة وتحصيلها من جهة انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تأليفه(٢) والتئام كلمه وفصاحته . ووجوه ايجازه وبلاغته. الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشأن(٣) وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم . بما لم يخص به غيرهم من الامم . واوتوا من ذرابة(٤) اللسان. ما لم يؤت انسان. ومن فصل الخطاب(٥) . ما يقيد الالباب . جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة. وفيهم غريزة وقوة . يأتون منه على البديهة بالعجب . ويدلون(٦) به الى كل سبب(٧) . فيخطبون بديهاً في المقامات(٨) وشديد الخطب (٩). ويرتجزون بين الطعن والضرب . ويمدحون(١٠) ويقدحون(١١) .ويتوسلون ويتوصلون .ويرفعون ويضعون.فيأتون من ذلك بالسحر الحلال .ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللآل.فيخدعون الالباب.ويذللون الصعاب(١٢).ويذهبون الاحن(١٣). ويهيجون الدمن(١٤).ويجرءون الجبان.ويبسطون يد الجعد البنان(١٥).ويصيرون الناقص كاملا(١٦).ويتركون النبيه(١٧)خاملا(١٨).منهم البدوي ذو اللفظ الجزل (١٩) . والقول الفصل . والكلام الفخم . والطبع الجوهري (٢٠)

---

(١) انواع يعرف بها اعجازه (٢) نظم كلماته مؤتلفة متوافقة (٣) البلاغة (٤) حدةومضاء (٥) الكلام الفاصل (٦) يتوصلون (٧) طريق الى حصول مهمات امورهم كالزام الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف الملوك والرؤساء (٨) محافل الناس ومجامعهم (٩) الامر العظيم الشأن (١٠) من يستحق المدح (١١) يذمون ويهجون (١٢) يسهلون بفصاحتهم الامور الصعبة (١٣) جمع احنة وهي الحقد (١٤) جمع دمنة وهي الحقد المضمر (١٥) يصيرون البخيل كريما (١٦) بحثه على اكتساب الكمال (١٧) المشهور (١٨) متروكاً لا يذكر (١٩) المحكم القاطع الفاصل (٢٠) الخالص النقي .

والمنزع القوي(١). ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة. والالفاظ الناصعة(٢). والكلمات الجامعة. والطبع السهل. والتصرف في القول القليل الكلفة. الكثير الرونق الرقيق الحاشية(٣). وكلا البابين(٤) فلهما في البلاغة الحجة البالغة. والقوة الدامغة(٥). والقدح(٦) الفالج(٧). والمهيع(٨) الناهج(٩). لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم. والبلاغة ملك قيادهم. قد حووا فنونها. واستنبطوا عيونها(١٠). ودخلوا من كل باب من ابوابها. وعلوا صرحا(١١) لبلوغ اسبابها. فقالوا في الخطير والمهين. وتفننوا في الغث والسمين. وتقاولوا في القل والكثر. وتساجلوا في النظم والنثر. فما راعهم(١٢) الا رسول كريم. بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. احكمت آياته. وفصلت كلماته. وبهرت(١٣) بلاغته العقول. وظهرت فصاحته على كل مقول. وتظافر(١٤) ايجازه واعجازه. وتظاهرت(١٥) حقيقته ومجازه. وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه(١٦). وحوت كل البيان مجامعه(١٧) وبدائعه. واعتدل(١٨) مع ايجازه حسن نظمه. وانطبق(١٩) على كثرة فوائده مختار لفظه. وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا. واشهر في الخطابة(٢٠) رجالا. واكثر في الشعر والسجع ارتجالا. واوسع في الغريب واللغة مقالا. بلغتهم التي بها يتحاورون. ومنازعهم التي عنها يناضلون(٢١).

---

(١) مفعل من النزع وهو الجذب اي الذي يأتي بنوع من الكلام يستخرجه من انواع الكلام بطبعه السليم (٢) الخالصة من الالفاظ الوحشية (٣) عبارة عن رقته وحسن نسيجه (٤) القسمين (٥) الغالبة لغيرها من اللغات (٦) السهم قبل ان يراش وهو واحد قداح الميسر التي كانوا يقامرون بها في الجاهلية (٧) الفائز (٨) الطريق الواسع (٩) المسلوك (١٠) استخرجوا خيارها ومحاسنها (١١) البيت العالي المزخرف بناؤه (١٢) بينما هم كذلك اذ جاءهم بغتة (١٣) ادهشت (١٤) تظاهر (١٥) عضد كل منهما الاخر (١٦) تشابهت اوائله اواخره (١٧) كلمه التي جمعت المعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة (١٨) استقام (١٩) وافق (٢٠) انشاء الكلام في المحافل (٢١) اصل التناضل الترامي بالسهام والكلام على التشبيه .

فما زال صارخاً بهم في كل حين. ومقرعاً لهم على رؤوس الملا اجمعين. ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين(١) .

﴿ ومن نفيس درره المنظومة قوله عند ارتحاله عن حاضرة قرطبة ﴾

اقول وقد جد ارتحالي وغردت(٢) ... حداتي(٣) وزمت(٤) للفراق ركائبي
وقد غمصت(٥) من كثرة الدمع مقلتي ... وصارت هواء من فؤادي ترائبي(٦)
ولم تبق الا وقفة يستحثها ... وداعي للاحباب لا للحبائب
رعى الله جيراناً بقرطبة العلا ... وسقى رباها بالعهاد(٧) السواكب
وحيا زماناً بينهم قد ألفته ... طليق المحيا مستلين الجوانب
أاخواننا بالله فيها تذكروا ... معاهد جار او مودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفائهم ... كأني في اهلي وبين اقاربي

﴿ وقوله في خامات زرع(٨) بينها شقائق نعمان ﴾

انظر الى الزرع وخاماته ... تحكي وقد ماست(٩) امام الرياح
كتائباً تجفل(١٠) مهزومة ... شقائق النعمان فيها جراح

---

(١) انظر فيه الانواع الباقية من وجوه الاعجاز (٢) رفع صوته مطرباً به (٣) جمع حاد وهو من يغني للابل لتسير (٤) شدت (٥) من الغمص وهو ما سال من الرمص (٦) الترائب عظام الصدر (٧) جمع عهد وهو مطر بعد مطر يدرك آخره بلل اوله (٨) جمع خامة وهي الغضة الرطبة من النبات ومنه الحديث مثل المومن مثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا (٩) ماس تبختر (١٠) تسرع ذاهبة في الارض .

محمد بن بطوطة

ابوعبدالله محمد بن عبدالله الطنجي رحالة المغرب ولد ونشأ بطنجة ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره اوحت اليه نفسه الكبيرة بالتجول والترحال فامتطى(١) صهوة(٢) الاغتراب واخذ يضرب الارض ظهراً لبطن وقد بدأ رحلته من طنجة الى مكة فاقام مناسك الحج وفي غضون ثلاثين سنة جاب العراق ومصر والشام واليمن والهند ودخل حاضرة دهلي وحظي عند مالكها واستقضاه بها على مذهب المالكية ثم خرج يؤم الصين على طريق البحر فمر بجزيرة سيلان ومااديف وسوماطرة الى ان وصل الى الصين وتجول في ارجائه وابتلى هناك بالاسر وتملص منه بعد خطب طويل ثم دخل بلاد التتر ثم كر الى طنجة ومنها خرج الى اسبانيا ثم توغل في القارة الافريقية الى تمبكتو على نهر النيجر ثم القى عصا التسيار بفاس لما اتصل بملكها ابي عنان المريني وحظي عنده وافاض عليه من صلاته ما اغناه عن تجشم الاسفار واقتحام الاخطار وكان يستميل النفوس بما يمليه من عجائب رحلته فحرك ذلك من ابي عنان داعي الاستطلاع على تلك العجائب فاوعز اليه بان يملي ذلك على الكاتب محمد بن جزى الكلبي فلبى الامر وقص عليه ماجريات رحلته وجمع ذلك في جزء سماه تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار وكانت وفاته بطنجة سنة ٧٧٧

— نبذة من لطائفه في رحلته —

ذكر المدينة اي القسطنطينية — في عهد السلطان تكفور بن السلطان جرجيس

وهي متناهية في الكبر منقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم المد والجزر على

---

(١) ركب (٢) مقعد الفارس من الفرس .

شكل وادي سلا من بلاد المغرب وكانت عليه فيما تقدم قنطرة مبنية فخربت وهو الان يعبر في القوارب واسم هذا النهر «أبسمي» بفتح الهمزة واسكان الباء الموحدة وضم السين المهملة وكسر الميم وياء مد واحد القسمين من المدينة يسمى اصطنبول بفتح الهمزة واسكان الصاد وفتح الطاء المهملتين وسكون النون وضم الباء وواو مد ولام وهو بالعدوة الشرقية من النهر وفيه سكنى السلطان وارباب دولته وسائر الناس واسواقه وشوارعه مفروشة بالصفاح متسعة واهل كل صناعة على حدة لا يشاركهم سواهم وعلى كل سوق ابواب تشد عليه بالليل واكثر الصناع والباعة بها النساء والمدينة في سفح جبل داخل في البحر نحو تسعة اميال وعرضه مثل ذلك او اكثر وفي اعلاه قلعة صغيرة وقصر السلطان والسور يحيط بهذا الجبل وهو مانع لا سبيل لاحد اليه من جهة البحر وفيه نحو ثلاث عشرة قرية عامرة والكنيسة العظمى هي في وسط هذا القسم من المدينة واما القسم الثاني منها فيسمى « الغلطة » بغين معجمة ولام وطاء مهمل مفتوحات وهو بالعدوة الغربية من النهر شبيه برباط الفتح في قربه من النهر وهذا القسم خاص بنصارى الافرنج يسكنونه وهم اصناف فمنهم الجنويون والبنادقة واهل رومية واهل افرانسة وحكمهم الى ملك القسطنطينية يقدم عليهم منهم من يرتضونه ويسمونه القمص وعليهم وظيفة في كل عام لملك القسطنطينية وربما استعصوا عليه فيحاربهم حتى يصلح بينهم البابا وجميعهم اهل تجارة ومرساهم من اعظم المراسي ورأيت بها نحو مائة جفن من القراقر وسواها من الكبار واما الصغار فلا تحصى كثرة واسواق هذا القسم حسنة الا ان الاقذار غالبة عليها ويشقها نهر صغير قذر نجس وكنائسهم قذرة لا خير فيها . ه

وقال في رحلته الى الهند

— ذكر جبل سرنديب —

وهو من اعلى جبال الدنيا رأيناه من البحر وبيننا وبينه مسيرة تسع ولما صعدناه كنا نرى السحاب اسفل منا قد حال بيننا وبين رؤية اسفله وفيه كثير من الاشجار التي لا يسقط لها ورق والازاهير الملونة والورد الاحمر على قدر الكف ويزعمون ان في ذلك الورد كتابة يقرأ منها اسم الله تعالى واسم رسوله عليه الصلاة والسلام وفي الجبل طريقان الى القدم احدهما يعرف بطريق « بابا » والاخر بطريق « ماما » يعنون : آدم وحواء عليهما السلام .فاما طريق «ماما» فطريق سهل عليه يرجع الزوار اذا رجعوا ومن مضى عليه فهو عندهم كمن لم يزر .واما طريق «بابا» فصعب وعر المرتقى وفي اسفل الجبل حيث دروازته مغارة تنسب ايضاً للاسكندر وعين ماء ونحت الاولون في الجبل شبه درج يصعد عليها وغرزوا فيها اوتاد الحديد وعلقوا منها السلاسل ليتمسك بها من يصعده وهي عشر سلاسل ثنتان في اسفل الجبل حيث الدروازة وسبع متوالية بعدها والعاشرة هي سلسلة الشهادة لان الانسان اذا وصل اليها ونظر الى اسفل الجبل ادركه الوهم فيتشهد خوف السقوط ثم اذا جاوزت هذه السلسلة وجدت طريقاً مهملا ومن السلسلة العاشرة الى مغارة الخضر سبعة اميال وهي في موضع فسيح عندها عين ماء تنسب اليه ايضاً ملىء بالحوت ولا يصطاده احد وبالقرب منها حوضان منحوتان في الحجارة عن جنبتي الطريق وبمغارة الخضر يترك الزوار ما عندهم ويصعدون منها ميلين الى اعلى الجبل حيث القدم

ذكر القدم

واثر القدم الكريمة قدم ابينا آدم صلى الله عليه وسلم في صخرة سوداء مرتفعة بموضع فسيح وقد غاصت القدم الكريمة في الصخرة حتى عاد موضعها منخفضاً وطولها احد عشر شبراً واتى اليها اهل الصين قديماً فقطعوا من الصخرة موضع الابهام وما يليه وجعلوه في كنيسة بمدينة الزيتون يقصدونها من اقصى البلاد وفي الصخرة حيث القدم تسع حفر منحوتة يجعل الزوار من الكفار فيها الذهب واليواقيت والجواهر فترى الفقراء اذا وصلوا مغارة الخضر يتسابقون منها لاخذ ما بالحفر ولم نجد نحن بها الا يسير حجيرات وذهب اعطيناها الدليل والعادة ان يقيم الزوار بمغارة الخضر ثلاثة ايام يأتون فيها الى القدم غدوة وعشيا وكذلك فعلنا ولما تمت الايام الثلاثة عدنا على طريق «ماما» فنزلنا بمغارة شيم وهوشيت ابن آدم عليهما السلام ثم الى خور السمك ثم الى قرية كرملة بضم الكاف وسكون الراء وضم الميم ثم الى قرية جبركاوان بفتح الجيم والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الكاف والواو وآخره نون ثم الى قرية دلدينوة بدالين مهملين مكسورين بينهما لام مسكن وياء مد ونون مفتوح وواو مفتوح وتاء تأنيث ثم الى قرية آت قلنجة بهمزة مفتوحة وتاء مثناة مسكنة وقاف ولام مفتوحين ونون مسكن وجيم مفتوح وهنالك كان يشتى الشيخ ابوعبدالله بن خفيف وكل هذه القرى والمنازل هي بالجبل

وقال في رحلته الى الصين :

ذكر دراهم الكاغد التي بها يبيعون ويشترون

واهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا درهم وجميع ما يتحصل ببلادهم

من ذلك يسبكونه قطعاً وانما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد كل قطعة منها بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها «بالشت» (بباء موحدة والف ولام مكسور وشين معجم مسكن وتاء معلوة) وهي بمعنى الدينار عندنا واذا تمزقت تلك الكواغد في يد انسان حملها الى دار كدار السكة عندنا فأخذ عوضها جدداً ودفع تلك ولا يعطي على ذلك اجرة ولا سواها لان الذين يتولون عملها لهم الارزاق الجارية من قبل السلطان وقد وكل بتلك الدار امير من كبار الامراء واذا مضى الانسان الى السوق بدرهم فضة او دينار يريد شراء شيء لم يؤخذ منه ولم يلتفت اليه حتى يصرفه بالبالشت ويشتري به ما اراد . ه

ذكر ما خصوا به من احكام الصناعات

واهل الصين اعظم الامم احكاماً للصناعات واشدهم اتقاناً فيها وذلك مشهور من حالهم قد وصفه الناس في تصانيفهم فاطنبوا فيه واما التصوير فلا يجاريهم احد في احكامه من الروم ولا من سواهم فان لهم فيه اقتداراً عظيماً ومن عجيب ما شهدتهم من ذلك اني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت اليها الا ورأيت صورتي وصور اصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الاسواق ولقد دخلت الى مدينة السلطان فمررت على سوق النقاشين ووصلت الى قصر السلطان مع اصحابي ونحن على زي العراقيين فلما عدت من القصر عشياً مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتي وصورة اصحابي منقوشة في كاغد قد الصقوه بالحائط فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبه لا تخطى شيئاً من شبهه وذكر لي ان السلطان امرهم بذلك وانهم اتوا الى القصر ونحن

به فجعلوا ينظرون الينا ويصورون صورنا ونحن لم نشعر بذلك وتلك عادة هم في تصوير كل من يمر بهم وتنتهي حالهم في ذلك الى ان الغريب اذا فعل ما يوجب فراره عنهم بعثوا صورته الى البلاد وبحث عنه فحيثما وجد شبه تلك الصورة اخذ . قال ابن جزي هذا مثل ما حكاه اهل التاريخ من قضية سابور ذي الاكتاف ملك الفرس حين دخل الى بلاد الروم متنكراً وحضر وليمة صنعها ملكهم وكانت صورته على بعض الاواني فنظر اليها بعض خدام قيصر فانطبعت على صورة سابور فقال لملكه ان هذه الصورة تخبرني ان كسرى معنا في هذا المجلس فكان الامر على ما قاله وجرى فيه ما هو مسطور في الكتب.

(المكودي)

الاستاذ النحوي اللغوي ابوزيد عبدالرحمان بن علي بن صالح الفاسي داراً ومحتداً(١) ومدفناً الشهير بالمكودي بتخفيف الكاف كما هو الجاري على الالسنة وبتشديدها وهو المناسب لنسبته لبني مكود « احدى قبائل هوارة الذين مستقرهم فيما بين فاس وتازا » وكان آل المكودي بفاس اهل فقه وعدالة وكتابة وثروة ولهم زقاق يعرف بعقبة المكودي — كان اماماً في العلوم على العموم .اماماً في النحو . اماماً في العروض والشعر والنظم والنثر وهو آخر من اقرأ كتاب سيبويه بفاس وكان يقرئه بمدرسة العطارين اخذ عن الشيخ ابي محمد عبدالله الوانغيلي الضرير وغيره واخذ عنه جم من الشيوخ كالعلامة ابن مرزوق الحفيد واثنى عليه بالفضل والعلم والصلاح والشيخ ابي عبدالله الكاواني شيخ ابن غازي سمع عليه الالفية بمدرسة الصهريج ينقل عليها كلام المرادي ويباحثه

---

(١) الاصل

والشيخ ابي زيد عبدالرحمان الجاديري الفاسي روي عنه مقصورته وغيرها كما ذكره في الروض الهتون . ومن تآليفه شرح الخلاصة المشهور وهو اول شرح وضع عليها بفاس وبسببه اشتهرت في المغرب واكب الناس عليها الى الان وشرح للاجرومية ونظم المعرب من الالفاظ العجمية ورجز في التصريف في نحو اربعمائة بيت وهو المسمى بالبسط والتعريف .والمقصورة في مدحه صلى الله عليه وسلم على سنن مقصورة ابن دريد في نحو ثلاثمائة بيت وفيها يقول :

مقصورة لكنها مقصورة … على امتداح المصطفى خير الورى
ما شبتها(١) بمدح خلق غيره … لرتبة احظى بها ولا جدا(٢)
فاقت علاء كل ذي مقصورة … وان هموا نالوا الايادي واللهى(٣)
فحازم قد عد غير حازم … وابن دريد لم يفده ما درى

وكانت وفاته سنة ٨٠٧

نبذة من مقصورته الانيقة

ارقني بارق نجد اذ سرى … يومض(٤) ما بين فرادى وثنا
اهبّني اذ هبّ منه موهنا(٥) … ما سد ما بين الثريا والثرى
شممت من ارجائه اذ سمته(٦) … ريح صبا اضوع من ريح الكبى(٧)

الى ان قال ·

لله قوم قارعوا انفسهم … عن الهوى اذ قرعوا باب الرضا
عابوا نفيس الدر والعقيان اذ … باعوا نفوسهم بانفس علا

---

(١) من الشوب وهو الخلط (٢) العطية (٣) جمع لهية وهي العطية وفي المثل اللهى تفتح اللها
(٤) اومض البرق لمع (٥) الموهن نحو من نصف الليل او بعد ساعة منه (٦) نظر اليه
(٧) جمع كباء وهو عود البخور

وانت يا نفس شغفت بالهوى حتى هويت منه في قصر هوى
أفرطت(١)اذ فرطت(٢)في اكتساب ما يرضى ولم اسلك سبيل من نجا
كم خضت في بحر الضلال جامحا لا ارعوي نصحا للحى(٣)من لحا
وكم تعبت اذ تبعت املا قد انقضت لذاته وما انقضى
واحسرتا قد مر عمري ضائعا بين خزعبلات لهو وهوى
هلكت في الهلاك لولا انني ذخرت ذخرا ارتجى به الهدى
وليس ذخري غير مدح احمد(٤) سيد اهل الارض طرا وكفى

الى ان قال في غزوة الخندق

وغزوة الخندق فيها عجب اذ ابتلى الله بها من ابتلى
اقبل مشركو قريش كلهم وغيرهم من اليهود والعدا
وصارخوا من غطفان عسكرا عرمرما من كل جبار عصى
راموا بجيش المسلمين نقمة اذ جيشوا برومة(٥) ونقمى(٦)
اكثر من عشرة آلاف لهم في معضلات الحرب مكر ودها
من قيس عيلان ومن نجد ومن تهمة وغيرهم ممن طغى
هنالك ابتلى كل مومن وزلزلوا لما دهاهم ما دهى
فارسل الله على عدوهم ريحا اراحت منهمو كل عنا
وانزلت عليهم ملائك من السماء بجنود لا ترى
لما رأوا ان البلاء عمهم تفرقوا كأنهم ايدي سبا

---

(١) جاوزت الحد (٢) ضيعت وقصرت (٣) العتاب (٤) تخلص الى المقصود
(٥) بير بالمدينة (٦) موضع قرب المدينة المنورة

جلاهمو دون قتال ربنا　　اذ كف عنه المومنين وكفى

وانقرضت قريظه بالقتل اذ　　خانوا وخالوا انهم ذوو نهى

ما بين سبعمائة ونيف　　قد ضربت بالسيف منهم الطلا(١)

لم يقهم من المنايا والردى　　ما شيدوه من حصون وبنا

فما حيي حيي بن اخطب　　بما جنى عمدا ولا كعب نجا

راحت غداة غودروا رهن الثرى　　ارواحهم من الدنا(٢) الى لظى

(ابن غازي)

محمد بن احمد بن علي بن غازي المكناسي ثم الفاسي شيخ الجماعة بها قال في الروض الهتون : نشأت بهذه المدينة يعني مكناسة كما نشأ بها اسلافي وقرأت بها ثم ارتحلت الى مدينة فاس في طلب العلم اظنه سنة ثمان وخمسين وثمانمائة فاقمت بها ما شاء الله تعالى ولقيت من الاشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهيرهم في الفهرسة التي سميتها بالتعلل برسوم الاسناد بعد انتقال اهل المنزل والناد ثم عدت الى مدينة مكناسة فاقمت بها بين اهلي وعشيرتي ازماناً ثم انتقلت الى مدينة فاس كلأها الله تعالى فاستوطنتها

وكان ما كان مما لست اذكره　　فظن خيراً ولا تسئل عن الخبر

كان رحمه الله استاذاً ماهراً في القراءآت ووجوهها مبرزاً في علم العربية والفقه والتفسير والحديث وعلم الرجال والسير والمغازي والتاريخ والادب وكان يسمع البخاري في كل شهر من رمضان .ودرس بفاس على العلامة القوري وغيره وقصارى القول في حياته انه انفق عمره في العكوف على اخذ العلم ونشره

---

(١) جمع طلية بمعنى العنق　(٢) جمع دنيا

ومن تآليفه : شفا الغليل في حل مقفل خليل. وتكميل التقييد وتحليل التعقيد على المدونة وحاشية لطيفة على الخلاصة . ومنية الحساب في علم الحساب وشرحها ونظم مشكلات الرسالة وذيل الخزرجية . والروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون . وكانت وفاته بفاس سنة ٩١٩

ومما مدح به :

حبر تثبت والانصاف شيمته　　أكرم به طاب من خلق ومن خلق
انى به الدهر فرداً لا نظير له　　مثل البخاري لما جاء بالعتقي

(من فوائده في الروض الهتون)

قال وانما عرف هذا البلد بهذه الاضافة ليمتاز عن مكناسة تازا وذلك ان من قبائل زناتة قبيلا يقال له مكناسة. منهم فخذ بتازا شرقاً من مدينة فاس بينهما نحو سبعة برد . ومنهم فخذ ثان بهذا الموضع المراد غرباً من مدينة فاس وبينهما نحو ثلاثة برد ونصف بريد فتميزت احداهما عن الاخرى بما اضيفت اليه. ومكناسة الزيتون لها واد يسمى في القديم فلفلا ويعرف الان بابي عماير وفيه يقول شيخ شيوخنا الاستاذ ابو عبدالله بن جابر الغساني في ارجوزته المسماة بنزهة الناظر لابن جابر :

فلن ترى في سائر العمائر　　مثل محاسن ابي عمائر

يمر النهر من قبلة الى جوف قريباً من سورها اصله والله تعالى اعلم من جبال بني فازاز ومكناسة هذه بلدة خصيبة ذات عيون وانهار وثمار كثيرة واشجار وهي كما وصفها ابن الخطيب اذ يقول :

حييت يا مكناسة الزيتون قد صح عذر الناظر المفتون
طيب الهواء وصحة الماء الذي يجري بها وسلامة المخزون
وكفاك شاهد حسنها وجمالها ان أوثرت بالقرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجوه وجرت عذاب مياهه بعيون
فكأنما هو بربري نافذ في لوحه والتين والزيتون

وقال الاستاذ ابن جابر الغساني :

لا تنكرن الحسن من مكناسة فالحسن لم يبرح بها معروفا
ولئن محت أيدي الزمان رسومها فلربما ابقت هناك حروفا

﴿ السلطان احمد المنصور السعدي ﴾

قال ابن القاضي: كان المنصور رحمه الله خبيراً بالعلوم متضلعاً بالفنون من شعر وتاريخ وسير(١) ونحو ولغة وبيان وجبر ومقابلة وتعديل السيارة وله رواية في الحديث. ﻫ

وقال صاحب(٢) سلافة العصر في عد مفاخره ومزاياه الى أدب امضى به قلمه كامضائه حسامه ومن رأى براعته وشجاعته قال سبحان من علم بالقلم أسامه(٣) فهو متى كتب وخط فاخرت يراع(٤) الخط رماح الخط(٥) على ان لكيلهما الحظ منسوب وفضله باعترافه الى تيناد محسوب . وحلاه الشهاب في الريحانة بقوله وله شعر وانشا بهما طراز المجد موشى فهو رب السيف والطيلسان والقلم المسدد والسنان . قال في النفح: وقد بسطت الكلام على السلطان المذكور

(١) جمع سيرة (٢) هو ابن معصوم (٣) علم للاسد اوقعه على المنصور (٤) قلم الكتابة (٥) مرفا السفن بالبحرين تنسب اليه الرماح لانها تباع به

في كتابي روضة الآس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من اعلام مراكش وفاس واطال الكلام على ترجمته صاحبنا الوزير الكبير الشهير سيدي عبدالعزيز ابن محمد الفشتالي في كتابه المسمى بمناهل الصفا في فضائل الشرفا وعهدي به اكمل منه ثمان مجلدات وهو مقصور على دولة السلطان المذكور وذويه والف كاتب اسراره الرئيس ابوعبدالله محمد بن عيسى فيه كتاباً سماه الممدود والمقصور من سنا السلطان المنصور وهذه التسمية وحدها مطربة . رحم الله تعالى الجميع وكانت وفاته سنة ١٠١٢

من نفثات اقلامه

ما كتبه بخط يده الى سلطان مكة والمدينة والحجاز
الشريف ابي المحاسن حسن بن ابي نمى بن بركات ما نصه

من عبدالله المجاهد في سبيله الامام المنصور بالله احمد امير المؤمنين بن امير المؤمنين الشريف الحسني الى الاصالة التي تبجبحت(١) من ذوائبه هاشم في صميمها وتوغلت من غرفات حرمة الله بين زمزمها وحطيمها وتمتعت من عرارة نجد بانتشاق نفحاتها الاريجية وشميمها اصالة السلطان الاثيل الاثير الاسنى الاسمى الازكى السلطان حسن ابن ابي نمى ابقاكم الله والبيت ذو الاستار تتفيئون ظلاله وتلثمون من الحجر الاسود الاسعد خاله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اما بعد حمد الله الذي اعز هذه المثابة العلوية الامامية النبوية العزيزة الانصار السامية المحتد والنجار الساحبة اذيال عزها الوريف الظلال على اهل البيت(٢) السامي المقدار سكان الحمى والذين تبوءوا الدار والصلاة والسلام على مولانا محمد الذي اطلع شموس الهداية الساطعة الانوار والرضا عن آله

(١) تمكن يقال تبحبح تمكن في المقام والحلول (٢) يعني الكعبة

الذين تتضاءل لمجدهم السامي المنار الشموس والاقمار وعن اصحابه الذين استأصلوا شأفة الكفر عواصي الشفار وصلة الدعاء لهذا المقام العلي الامامي المنصوري الحسني بنصر نجني الفتوح من قضب رماحه وتجري الاقدار على وفق اقتراحه فكتابنا هذا اليكم من حضرة مراكش حاطها الله ووسع لها المجال في ميادين السجال(١) والايام بعز صولتها وعز دولتها بهذه المغارب باسمة الثغور مؤذنة باتصال امرنا العزيز بحول الله الى ان تطوى ملاءة الدهور بعز الله وعنايته هذا وان شيخ الركب المغربي وهو المرابط الخير الحاج محمد بن عبدالقادر لما ازمع الى المعاهد الشريفة الرحيل لتجديد رسم الطاعة الذي ليس بعاف ولا محيل(٢) وهب له من مخارم الله نسيم يميل(٣) وآن للمطايا ان تعمل الوخد والذميل مدّ الى على مقامنا اكف الرغبة في كتاب كريم يتشرف بحمله ويتعرف منه السعادة بحول الله في مرتحله وحله يتضمن الايصاء به اليكم في المورد والمصدر ومدة مقامه من جواركم بحرم الله تجاه البيت والمشعر فحملناه هذه العجالة لترعوا له ان شاء الله عنها الحق المعتبر وتوليه من جانبكم ما يصدق به الخبر الخبر وتدنوا له من آماله قطايف كل فنن مهتصر ومما نكلفكم النهوض لاجل حقوق الاخوة باعبائه وتحملكم لوشائج الرحم بالاعتناء بادائه التماس الدعاء مع الاحيان تجاه البيت الحرام وعند الملتزم والمقام ان يؤيدنا الله على عدو الدين بفضله وينجز لنا وعده الصادق في اظهار دينه على الدين كله ويسهل علينا بفضله ومعونته اسباب فتح الاندلس وتجديد رسوم الدين بها واحياء اطلاله الدرس حتى ينطق لسان الدين(٤) فيها بكلمات الله التي طالما سكت عنها نداؤه

---

(١) اراد المفاخرة (٢) متغير (٣) من الامالة (٤) تورية بابن الخطيب

وخرس وشرق بريقه فغص وخنس فذلك دعاء لا يرد لانه جرى من اهله في محله ومعاد السلام الاتم عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن انيق شعره قوله

من عنبر الشحرا ومن مسك دارين(١)   بلى ومنه نسيمات الرياحين
مهفهف ان تثنى قلت مقتضب   من قضب نعمان او من كثب يبرين(٢)
ذنبي اليه ولا ذنب محبته   من اجلها بسهام اللحظ يرميني
يا ما اميلحه ظلما رضيت به   لو انه دام منه كان يكفيني
معذبي قد حرمت النوم بعدكم   فامنن عليّ بنوم غير ممنون(٣)
وامض على ورد ذاك الخد برق ففي   يعوض الخد من ورد بنسرين

وقوله في وردة مقلوبة بين يدي محبوبة وهو من اوليات نظمه :

ووردة شفعت لى عند مرتهني   راقت وقد سجدت لفاتر الحدق
كأن خضرتها من فوق حمرتها   خال على خده من عنبر عبق

وقوله موريا بمصانع الثلاثة البديع والمسرة والمشتهى :

بستان حسنك ابدعت زهراته   ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى
وقوام غصنك بالمسرة ينثني   يا حسن رمان به للمشتهى

وله على هذه النغمة شيء كثير انظر نفح الطيب ونزهة الحادي وغيرهما

---

(١) يشير الى الخال العنبري الصناعي الذي يجعل على الخدود والشحر ساحل البحر بين عمان وعدن المشهور بالعنبر الجيد ودارين موضع بالبحرين (المعروف بالاحساء) اليه ينسب المسك الداري

(٢) موضع بحذاء الإحساء (٣) الممنون المقطوع

﴿ ابن القاضي ﴾

ابو العباس احمد بن محمد المعروف بابن القاضي يرتفع نسبه الى ابن ابي العافية المكناسي الشهير الذي ثار على الادارسة وشردهم وقد صرح في الجذوة برفع نسبه اليه الا انه تبرأ من سوء صنيعه بئال البيت عليهم السلام ولد بفاس وتخرج على جملة من علمائها كأبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي والمنجور والقصار والسراج وغيرهم ورحل الى المشرق فاخذ عن ابراهيم العلقمي وسالم السنهوري ويحيى الحطاب والبدر القرافي وابن فجلة الزرقاني وغيرهم وكان متضلعاً ريان من العلوم كالفقه والحديث والعربية والتاريخ لاسيما الحساب والفرائض فقد كان امامهما الفذ وعلمهما الفرد وكان مشغوفاً بالتدريس ونشر العلوم وناهيك بهمة رجل كان من ديدنه وعادته انه يختم مختصر خليل في كل اربعة اشهر مرة .قلت وهذه غاية قصوى في الشغف بنشر العلوم وبذل المعارف ودليل قاطع على كبر همة الرجل وغزارة عقله وشعوره بقيمة العمر وانها مما لا يستهان ببذلها امام تلك المناقشات اللفظية والاحتمالات الوهمية تلك المناقشات التي قضت ويالاسف على عدد غير قليل من شباننا واضطرتهم الى الرجوع القهقرى تلك المناقشات التي ما آب ولن يئوب المعانون لها الا بصفقة الحرمان لاسيما ان دفعوا الى ميادين العلوم الصحيحة . فبينما نرى العلماء وهم يتدبرون كتاب ربهم ويستخرجون من بحوره الزاخرة درراً ونفائس يقتنونها لمعاشهم ومعادهم واجتماع كلمتهم واتحادهم وتهذيب فلذ اكبادهم وتربيتهم تربية صحيحة علمية دينية اجتماعية خلقية الى غير ذلك ويعون احاديث نبيهم صلى الله عليه وسلم ويستطلعون معارفها ويتحلون بآدابها ويتهذبون

بتهذيبها كل هذا والشريعة تتمثل امامهم غضة طرية في ابهى مظاهرها بجلى سرها كأنهم يتلقونها من فم ابي القاسم صلى الله عليه وسلم . اذا اخوك المغربي يذوب عرقاً لحل جدول يتضمن صوراً وهمية لا وجود لها الا في عالم الخيال بينما الامم تشتغل بعلومنا الكفائية من طب وهندسة وميكانية وفنون حربية وتجارية واقتصادية وجغرافياً وتاريخ وغير ذلك من العلوم النافعة اذا صاحبنا يقتحم تقدير مضاف او تقويم عبارة او تطريق احتمال او نحو هذا من المناقشات السقيمة

نصحتك علماً بالهوى والذي ارى   مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو

واستقضى ابن القاضي بسلا ردحاً من الدهر ثم آب الى فاس واكب على التدريس طبق عادته الى ان لبى داعي ربه وهو يقريء الصحيح ووراقه يومئذ العلامة الفاضل سيدي عبدالواحد بن عاشر صاحب المرشد رحمه الله الجميع . وكان يجيز الحاضرين آخر كل درس كما يفعله علماء المشرق رغبة في ان تعم الرواية ولو من سمع حديثاً واحداً .وخلف من التآليف النفيسة نحو اربعةعشر منها جذوة الاقتباس في من حل من الاعلام مدينة فاس.والمنتقى المقصور على محاسن الخليفة ابي العباس المنصور . والمدخل في الهندسة .الخ . وكانت وفاته سنة ١٠٢٥ —

ومن فوائده في الجذوة — ترجمة ابن خلدون قال :

ابن خلدون الحضرمي

عبدالرحمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن جابر ابن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبدالرحمان بن خلدون الحضرمي ينسب

سلفهم الى وائل بن حجر انتقل سلفه عن مدينة اشبيلية عند الحادثة بها من تغلب ملك الجلالقة ابن اذفنش عليها الى تونس في اوائل المائة السابعة فاستقر بتونس منهم ثالث المحمدين محمد بن الحسين وتأسروا بها على سراوة وحشمة وتصرف جد المترجم له لملوكها في القيادة. كان حسن الخلق جم الفضائل رفيع القدر ظاهر الحياء اصيل المجد وقور المجلس عالى الهمة عزوفاً عن الضيم صعب المقادة قوي الأنفة شامخ الرأس للرئاسة متقدماً في فنون عقلية ونقلية شديد البحث كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط جواد الكف حسن العشرة مبذول المشاركة. قرأ القرآن على الاستاذ ابي عبدالله بن نزال وتعلم العربية على والده وعلى الاستاذ ابي عبدالله محمد بن العربي الحصايري صاحب شرح التسهيل وعلى ابي عبدالله بن الشواش الزواوي وعلى احمد بن القصار صاحب شرح البرودة وسمع من ابن عبدالسلام واخذ عن السبكي وعن الحضرمي وعن الأستاذ ابي العباس الزواوي ولازم ابا عبدالله الأبلي وكان دخوله مدينة فاس عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة وقدم بها للعلامة عند ابي عنان فارس بن علي بن عثمان المريني واستعمله في الكتابة اوائل عام ستة وخمسين ثم استخلصه اغروه به فاعتقله في ايام دولته فكان ايام اعتقاله على سنن الاشراف من الصبر وعدم الخشوع واهمال التوسل الى ان افضى الامر الى السعيد فاعاده الى رسمه وخلد في ديوان الانشاء عند ابي سالم ثم انصرف الى غرناطة ودخلها عام اربعة وستين وسبعمائة وانزله السلطان واركب خاصته الى لقائه واكرم وفادته واخلع عليه واجلسه بمجلسه الخاص وخاطب ابن الخطيب بمخاطبته فجابه ابن الخطيب بقوله:

حللت حلول الغيث في البلد المحل   على الطائر الميمون والرحب والسهل
يميناً بمن تعنو الوجوه لوجهه   من الشيخ والطفل المضعف والكهل
لقد نشأت عندي للقياك غبطة   تنسي اغتباطي بالشبيبة والاصل

تاليفه : شرح البردة وتعليق في المنطق. ولخص محصل الامام فخر الدين الرازي لابن الخطيب . قال ابن الخطيب في احاطته : وبذلك داعبته اول ما لقيته ببعض منازل الاشراف بمدينة فاس فقلت له لي عليك مطالبة لانك لخصت محصلي. وألّف كتاباً في الحساب وديوان العبر التاريخ الكبير المشهور . مولده بمدينة تونس في شهر رمضان من عام اثنين وثلاثين وسبعمائة وتوفي بالقاهرة المحروسة سنة ثمان وثمانمائة . .

﴿ محمد بن علي الفشتالي ناظم الوفيات ﴾

قال الشهاب في الريحانة : وزير مولاي احمد. اديب فاس وريحانة فضلائها الاكياس تقدم فيها متقلداً خطة انشائها فائقاً برسائله على سائر ادبائها وكان في عصره من اجلّ وزرائها رافلاً في حلل الحبور تبسم له الدولة الاحمدية بثغور السرور وعاد الى القسطنطينية رسولا من ملك المغرب والعود احمد معيناً للسفارة وهل احد اولى بالرسالة من محمد لانه ممن القى فيه مقاليد النهي البشر وسلمت اليه يد التدبير مفاتيح الرأي والحذر . وله ماء شعر تشربه افواه الاسماع ورياض منثور تغرد حمائم قوافيه بمطرب الاسجاع . بخ . . ومن بديع نظمه قصيدته التاريخية التي نظم فيها ما تضمنه تأليف ابن قنفذ من وفيات الاعيان من زمان النبوءة المحمدية الى تمام المائة الثامنة وزاد عليها الى تمام الف سنة وذيل عليها الاديب المكلاتي واشار لوفاة صاحب الترجمة بقوله :

«شكى» الدر فقد ناظم وبكى له   بكاء محب بان عن مترحل

وفيه من الجودة ما لا يخفى وذيل على ذيل المكلاتي الحافظ الفاسي

من لطائفه

قوله من رسالة مجيباً عن تهنئة الشهاب له بالقدوم الى بلاد الروم : طالعت ابقاكم الله السحاة التي لو رآها الفتح لما انفتح له الى الاحسان باب ولو رآها البديع ما ار[illegible] ميسه بجلباب اقسم بتلك الفقر والقوافي وهن القوادم في جناح الاحسان والخوافي لقد سقتني من الانس بعد [illegible] كأساً دهاقا وملأت فكري وهو المظلم بتناءي السكن اضاءة واشراقاً واني لتارك لعتاب الليالى اذ جمعتنا في هذه الديار بامثالكم لا زلتم تقيمون رسوم المعالى وتجمعون في المكارم بين المقدم والتالي بمنه وطوله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ومن شعره قوله من قصيدة يهنىء فيها بفتح :

يا نجل فاطمة وكل مفاخر   فهو المفاخر دركم بالجندل

لولا ضياء المشرفية والقنا   ضلت كتائبهم بليل أليل

بعساكر رمدت بعثير(١) نقعها   عين الغزالة في الرعيل(٢) الاول

خطبت سيوفك في منابر هامهم   خطباً تذيقهم نقيع الحنظل

ومنها في ختامها :

هاكم امير المومنين قوافيا   فاحت مجامر طيبها بالمندل

بمديح اهل البيت هزت معطفا   هزؤاً بمدح جريرهم والاخطل

---

(١) الغبار (٢) القطعة من الخيل القليلة

وقوله يخاطب المنصور لما وافته البشرى بان زعيم الفئة الجهادية فتك بنصارى سبتة وقد زجر له الفأل باستيلائه عليها :

هذه سبتة تزف عروسا   نحو ناديك في شباب قشيب
وهي بشرى وانت كفؤ اللواتي   كافأت بعلها بفتح قريب

واشعاره وماجرياته كثيرة انظر ريحانة الالباء

﴿ عبدالعزيز الفشتالى ﴾

ابو فارس عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالى مفتخر دولة المنصور وبهجة تلك المقاصر(١) والقصور الكاتب الذي خضعت فنون البلاغة لمبانيه وتضاءلت(٢) جواهر البحار لمعانيه الشاعر الذي ان وصف هلهل(٣) الوصف واحكم سبكه وان مدح اجاد المدح ورفع سمكه الذي ابدع في زوايا البديع(٤) وروضه الخصب المريع(٥) ما شاء من كل لفظ انيق ومعنى بديع وشعره الغزير كله متين السبك محكم الرصف عزيز المنال صقيل الالفاظ ناصع المعاني اعذب من ليالي الوصال

بكل لفظ كأنه نفس   غير ممل تطول ترديد
فيطرب السمع لالفاظه   ويرقص القلب لمعناه

وناهيك بمن كان يقول فيه المنصور ان الفشتالى نفتخر به على ملوك الارض ونباري به لسان الدين بن الخطيب . درس على ابي العباس المنجور وابي العباس الزموري وابي مالك عبدالواحد الحيمدي وغيرهم وله تاريخ

(١) جمع مقصورة (٢) تصاغرت (٣) اتى به في رقة (٤) تورية بقصر المنصور المسمى بذلك وما نقش في قبابه من اشعاره البديعة (٥) الخصيب

الدولة المنصورية في مجلدات اشتمل على تاريخ دولة الاشراف السعديين من اولها الى وقته مشتملا على وقائعها ومغازيها وحوادثها وغير ذلك وعلى محاسن ابي العباس المنصور احمد الذهبي وله مدد(١) الجيش ذيل به جيش التوشيح(٢) لابن الخطيب ومقدمة في ترتيب ديوان المتنبي على حروف المعجم وله من القصائد الطنانة والمقطعات شيء كثير توفي سنة ١٠٣٢

من نقرات اقلامه

قال : لما رجعت ارسال المنصور اليه من عند اسحاق سكية(٣) واعلموه بمقال سكية وامتناعه واحتجاجه بانه امير ناحيته وانه لا تجب عليه طاعته شاور المنصور اصحابه وجميع اعيان دولته وانتقى اهل الرأي والمشورة فاجتمعوا وكان يوم اجتماعهم يوماً مشهوداً فقال لهم المنصور اني عزمت على منازلة امير كاغوا وصاحب السودان وبعث الجيوش اليهم لتجتمع كلمة الاسلام وتتفق ولان بلاد السودان وافرة الخراج كثيرة المال يتقوى بها جيش المسلمين ويشتد ساعد كتيبة المؤمنين مع ان صاحب امرهم والمتولى عليهم اليوم معزول عن الامارة شرعاً اذ ليس بقرشي ولا اجتمعت فيه شرائط السلطنة العظمى . فلما نثل(٤) المنصور ما في كنانته(٥) وأبدى ما في وطابه(٦) وفرغ ما في عيبته(٧) من اسراره سكت الحاضرون ولم يراجعوا بشيء فقال أسكتم استصواباً للرأي

---

(١) استهله بقوله حمداً لمن امد جيش محمد بعترته قال في النفح اتى فيه بكثير من موشحات اهل عصرنا من المغاربة (٢) في فن التوشيح اتى فيه بالغرائب (٣) انظر ذكر ذلك في ترجمة الافراني (٤) افرغ (٥) هي في الاصل جعبة السهام (٦) جمع وطب وهو في الاصل سقاء اللبن (٧) هي في الاصل زبيل من أدم وما يجعل فيه الثياب

او ظهر لكم خلاف ما ظهر لى فأجابوا كلهم بلسان واحد ورأي متفق ان ذلك رأي عن الصواب بعيد وانه بمهامه من الاراء السديدة ولا يخطر ببال السوقة فكيف بالملوك فقال وما بيان ذلك ؟ فقالوا ان بيننا وبين السودان مهامه فيحاً يقصر عنها الخطا وتحار فيها القطا وليس فيها ماء ولا كلأ فلا يتأتى السفر فيها لاعتساف طرقها مع كونها مخوفة مملوءة الجوانب ذعراً وايضاً فان دولة المرابطين على ضخامتها ودولة الموحدين على عظمتها ودولة المرينيين على قوتها لم تطمح همة احد منهم لشيء من ذلك ولا تعرضوا لما هنالك وما ذلك الا لما رأوا من صعوبة مسالكها وتعذر مداركها وحسبنا ان نقتفى آثار تلك الدول فان المتأخر لا يكون اعقل من الاول .فلما قضى اولئك الاقوام كلامهم وابدوا اليه رأيهم وافهامهم قال لهم المنصور ان كان هذا غاية ما استضعفتم به امري وقابلتم به رأيي فليس فيه حجة ولا يخدش فيما عندي اما قولكم بيننا وبينها صحار مخوفة ومفاوز مهلكة من جدبها وعطشها فنحن نرى التجار على حالة ضعفهم وقلة استعدادهم يشقون تلك الطرق في كل وقت ويخوضون في احشائها مشاةً وركباناً ومثنى وفرادى وقط لم تنقطع ركاب التجار عنها وانا اقوى اهبة منهم وللجيش همة وهيبة ليست للقوافل واما قولكم ان من قبلنا من الدول الطنانة لم تطمح ابصارهم لذلك فاعلموا ان المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الاندلس ومقابلة الافرنج ومن بذلك الساحل من امم الاروام والموحدون اقتفوا سبيلهم في ذلك وزادوا بحرب ابن غانية والمرينيون كانت غالب وقائعهم مع بني عبد الواد بتلمسان ونحن اليوم قد انسدت عنا ابواب الاندلس باستيلاء العدو الكافر عليها جملة وانقضت عنا حروب تلمسان ونواحيها من الجزائر باستيلاء

الترك عليها ثم اهل تلك الدول لو ارادوا ما اردنا لصعب عليهم ادراكه لان جيوشهم فرسان رامحة ورماتهم ناشبة ولم يكن عندهم هذا البارود وعساكر النار المرهبة بالصواعق واهل السودان لم يكن عندهم الان الا الرماح والسيوف وهي لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة فمقاتلتهم سهلة وحربهم اسهل من كل شيء وايضاً فان بلاد السودان انفع من افريقية فالاشتغال بها اولى من منازلة الاتراك لانه تعب كثير في نفع قليل فهذا جواب ما عرض لكم ولا يحملنكم ترك الملوك الاول ذلك على استبعاد القريب واستصعاب السهل فانه كم ترك الاول للاخر وقد يفتح للمتأخر بما لا يفتح به على المتقدم . فلما فرغ المنصور من خطابه استحسن الحاضرون جوابه واستملحوا اشارته واستجادوا رأيه وقالوا له طبقت المفصل والهمت الصواب ولم يبق لاحد ما يقول وصدق من قال عقول الملوك ملوك العقول فانفصل الجمع على البعث للسودان ومناهضة اهله ومتابعة المنصور في رأيه . ه

ومن اعلى شعره قصيدته الميلادية المشهورة(١) ودونك نبذة من عيونها :

هم سلبوني الصبر والصبر من شاني — وهم حرموا من لذة الغمض اجفاني
وهم اخفروا في مهجتي ذمم الهوى — فلم يثنهم عن سفكها حبي الجاني
لئن انزعوا من قهوة البين أكوسي — فشوقهم اضحى سميري وندماني
وان غادرتني بالعراء(٢) حمولهم — كفى ان قلبي جاهد اثر اظعاني
قف العيس واسئل ربعهم أيةً مضوا — أللجزع ساروا مدلجين ام البان

(١) يبلغ عدد ابياتها ١١١ وهي بديعة جداً اثنى عليها المقري في النفح وعززها بعدة قصائد مثلها في الوزن والروي انظر اول الجزء الثالث (٢) المكان المتسع الذي لاسترة فيه

وهل باكروا بالسفح من جانب اللوا ملاعب آرام هناك وغزلان
واين استقلوا هل بهضب تهامة اناخوا المطى ام على كثب(١) نعمان
وهل سال في بطن المسيل(٢) تشوقاً نفوس ترامت للحمى قبل جثمان

ومنها في مدحه صلى الله عليه وسلم

له معجزات اخرست كل جاحد وسلت على المرتاب صارم برهان
له انشق قرص البدر شقين وارتوى بماء همى من كفه كل ظمئان

ومنها :

وان كتاب الله اعظم آية بها افتضح المرتاب وابتأس الشاني
وعدى على شأو البليغ بيانه فهيهات منه سجع قس وسحبان
نبي الهدى من اطلع الحق انجما محى نورها اسداف(٣) افك وبهتان
بعزتها ذل الاكاسرة الالى هم سلبوا تيجانها آل ساسان
واحرز للدين الحنيفي بالظبا تراث الملوك الصيد(4) من عهد يونان
ونقع من سمر القنا السمر قيصرا فجرعه منه مجاجة ثعبان
واضحت ربوع الكفر والشرك بلقعا يناغي(5) الصدا فيهن هاتف شيطان
واصبحت السمحا تروق نضارة ووجه الهدى بادي الصباحة للرائي(6)

ومنها في ذكر المنصور

هزبر اذا زار البلاد زئيره تضاءل في اخياسها(7) اسد خفان(8)
وان اطلعت غيم القتام جيوشه وارزم(9) في مركوبه رعد نيران

(١) جمع كثيب (٢) موضع بمكة معروف يخب فيه الحاج (٣) جمع سدف وهو الظلام
(٤) جمع اصيد وهو الذي لا يلوي عنقه كبراً (٥) يخاطب ويكلم (٦) الناظر (٧) جمع خيس
بالكسر وهو موضع الاسد (٨) بوزن عقان مأسدة قرب الكوفة (٩) يقال ازرم الرعد اذا اشتد صوته

صببن على ارض العداة صواعقا   اسلن عليهم بحر خسف ورجفان

كتائب لو يعلون رضوى لصدعت   صفاه(1) الجياد الجرد تغدو بعقبان

عديد الحصا من كل اروع معلم   وكل كمي بالرديني(2) طعان

اذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا(3)   هدتهم الى اوداجها شهب خرصان(4)

من اللاء جرعن العدى غصص الردى   وعفرن في وجه الثرى وجه بستان(5)

وفتحن اقطار البلاد فاصبحت   تؤدي الخراج الجزل املاك سودان

﴿ المقري ﴾

ابو العباس احمد بن محمد بن احمد المقري القرشي التلمساني نزيل فاس الباهرة ثم مصر القاهرة لم تحضرني الان عبارة ارتضيها للافصاح عن عراقته في الفضل وتمكنه من ازمة العلوم وعلو كعبه وغزارة مادته في فنون الادب فان كنت قائلا ولا بد فقول الشهاب في الريحانة ذو رأي يرد اللبن في الضرع والنار في الزند وله آثار يثنى عليها ثناء النسيم على الند وادب امتزج باللطف امتزاج الماء في الخمر وفيصل(6) حكم رفع به التنازع بين زيد وعمر وهو لفقه مالك اكرم سيد مالك وقد بوأه الله في الحديث تكرمة بين العلياء(7) والسند وجد في ارث المجد بغير كلالة من اكرم اب وجد .

مضت الدهور وما اتين بمثله   ولقد اتى فعجزن عن نظرائه

اما الشعر فهو اصمعي باديته وسلمان بيته وحسان فصاحته فما مس قصب

---

(١) يعني صفا رضوى وهي جمع صفاة (٢) الرمح (٣) يعني اذا سترت ظلمة الليل عنهم اعناق العدا (٤) جمع خرص مثلث الخاء بمعنى الرمح (٥) المراد به سبستيان ملك البرتغال غير انه عربه الى بستان ولمح بهذا الى ما نالوا من الظفر والنصر في واقعة وادي المخازن الشهيرة (٦) حكم فيصل ماض (٧) متن الحديث

الاقلام الا سجدت شكراً اذ رأته قبلة الامال واقسمت ان من البيان لسحراً لاكنه السحر الحلال وهو من قوم تعاويذهم(1) الصرازم(2) وآثارهم في كل جيد تمائم . انفق عمره في كسب الخير الرابح . لما علم ان ما ل المال غادر ورائح ه . ولد ونشأ بتلمسان وتخرج على علمائها ورحل في شبيبته الى فاس مرتين ثم ارتحل للمشرق سنة 1027 فحج وزار مراراً واملى الحديث بالحرمين الشريفين ودخل الشام ومصر وبها توفى سنة 1046 . ومن مؤلفاته نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب . وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب يقع في اربع جلود ضخام قال في آخره كفى انه لم يوجد مثله في فنه وهو لعمر الله غاية الغايات في رشاقة التعبير وحسن الانتقاء وصفاء المورد لا يمل مطالعه ولا ينفد معينه وهو المرآة الصقيلة لفكره الدفاق وقلمه السيال . وقد شيد شاهق مبناه على موضوعين الاول في تاريخ جزيرة الاندلس وذكر الدول التي تعاقبت عليها من لدن افتتاح المسلمين لها على يد الفخر طارق بن زياد الى تقلص ظلهم عنها وقد اناخ الركاب وحط الرحال في ذكر مدنها وخلفائها وامرائها وعلمائها وادبائها واديباتها والراحلين منها واليها . الثاني مختص بلسان الدين ابن الخطيب استوفى فيه ذكر حياته وتقلباته من نشأته الى نكبته واتم بذكر اصوله وفصوله ومحصوله وكل ما آل اليه . ومنها ازهار الرياض في اخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض . وفتح المتعال .في مدح النعال .المتشرفة بخير الانام عليه وعلى آله الصلاة والسلام. واضاءة الدجنة في عقائد اهل السنة وقد ترجمه المحبي في خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر بترجمة انيقة حافلة فراجعها.

---

(١) جمع تعويذ وهو الرقية (٢) السيوف

من عبقرياته في ازهار الرياض

يذكر اقامته بفاس ويردد حنينه الى وطنه تلمسان

انه لما سبق القضاء وجرت الاقدار بارتحالي عن الوطن المحبوب والقرار بعد ان شممت عراره النجدي ولا اشجان ولا اكدار في عشية لم يكن بعدها من عرار(1) ونزحت(2) عن بلد به الوالد وما ولد محل قطع التمايم وفتح الكمايم(3) سقى الله عهاده صوب الغمايم .

بلد تحف به الرياض كأنه   وجه جميل والرياض عذاره
وكأنما واديه معصم غادة   ومن الجسور المحكمات سواره

وكان ذلك وغصن النشاط يانع وبرد(4) الشباب قشيب(5) وشمل النفس مجتمع دون مانع وكاس الانس مزج بتسنيم القرب وشيب وفود(6) الراس غير خاضع ولا خانع اذ لم تطرق ساحة ولم تجس خلاله جيوش المشيب حللت الحضرة الفاسية حاطها الله حيث المجالس غاصه بالعامة والخاصه والمساجد آهلة معموره والمشاهد بالزوار مغموره وحلل المعارف فضفاضه(7) والعوارف الجليلة مفاضه حضرة ديباجها ربيعي وامتزاجها بالنفوس طبيعي ولم لا وقد نظمت المفاخر ونسقتها وجمعت المآثر ووسقتها(8) جادتها غر السحاب وسقتها .

بلاد بها الحصباء در وتربها   عبير وانفاس الرياح شمول(9)
تسلسل منها ماؤها وهو مطلق   وصح نسيم الروض وهو عليل

---

(١) حل لقوله : تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار (٢) بعدت
(٣) المراد انه شب فيه (٤) بضم الباء (٥) جديد (٦) معظم شعر الراس مما يلي الاذن
(٧) واسعة (٨) وسق جمع (٩) الخمر

فالقيت بها عصا التسيار وقاها الله من الافات والاغيار واقتفيت في ذلك سنن بعض سلفي الاخيار اذ كان اشهر اسلافنا الشيخ الامام صاحب التصانيف الشهيرة التي اقتادت المحاسن بزمام القاضي الاشهر العلامة الاظهر سيدي ابوعبدالله محمد بن احمد المقري القرشي التلمساني النشأة والقبر افاض الله سجال الرحمة على مثوى ذلك الحبر انتقل اليها ايام السلطان المرحوم ابي عنان فارس فولاه قضاء جماعتها وبذله المتوكلية اعظم المدارس حسبما ذكره غير واحد من اهل الفهارس واشار اليه الوزير ابن الخطيب في كتاب الاحاطة التي احيت من التاريخ الرسم الدارس ولم تزل كتب الاقارب والاخوان ترد علي وتثني عنان اعتنائها الي وتكرر وتعدد وتنتاب وتردد وتتنزع(1) وتتجدد فارتاح اليها ارتياح الغصن عند هزته واحن اليها حنين كثير الى معاهد عزته .

يا من يذكرني حديث احبتي　　　طاب الحديث بذكرهم ويطيب
اعد الحديث علي من جنباته　　　ان الحديث عن الحبيب حبيب

وكثيراً ما يحرك ذلك مني كامن شوق شب عمره عن الطوق واجد من لواعج(٢) الاوار(٣) ما وجد الفرزدق من مباينة النوار .

بلد الجدار(٤) ما أمر نواها　　　كلف الفؤاد بحبها وهواها
ياعاذلي في حبها كن عاذري　　　يكفيك منها ماؤها وهواها

والحنين الى الوطن مجال لكل حر ومضمار

ايه احاديث نعمان وساكنه　　　ان الحديث عن الاحباب اسمار(٥)

---

(١) التنزع التسرع　(٢) مؤلمات　(٣) هو في الاصل حر النار والشمس والمراد حرارة الشوق　(٤) تلمسان　(٥) جمع سمر وهو حديث الليل

وليس بمستنكر حنين الناب الى عطنه والمرء الى محل نشأته ووطنه وقد روينا في الصحيح من حنين سيد الوجود عليه الصلاة والسلام واصحابه الى مكة ما لايجهله الامن هو عن العلوم بمعزل ومن الابيات السائرة .

كم من منازل كان يألفها الفتى وحنينه ابداً لاول منزل

ورب ذكرى اثارت الاشواق وحركتها وانشبت النفوس في حبائل البؤس وتركتها وكم من ماجد بكى لفقد المشاهد واهتم لبعد المعالم والمعاهد

سلام على تلك المعاهد انها مراتع ألآفي(١) وعهد صحابي
وياسرحة(٢) الحيّ انعمي فلطالما سكبت على مثواك ماء شبابي

فلله تلك المعاهد ما ابهج محياها وبعين كلاءته تلك المشاهد فما اطيب رياها حين باكرها الوسمي(٣) وحياها

حيّا تلمسان الحيا فربوعها صدف يجود بدره المكنون
ما شئت من فضل عميم ان سقى أروى ومن ليس بالممنون
اوشئت من دين اذا قدح الهدى اورى ودنيا لم تكن بالدون
ورد النسيم لها بنشر حديقةٍ قد ازهرت أفنانها بفنون
واذا حبيبة ام يحيى انجبت فلها الشفوف على عيون العون

طالما ذكّرت الابلّة(٤) وشعب بوّان وأنست صروف الزمان الخوان وانبتت ازهار انس ذات ألوان وثمار نخل من العزب صنوان وغير صنوان والشمل مجتمع بالاقارب والاخوان والروض مطلول النبات(٥) مخضر العذبات(٦)

---

(١) جمع آلف (٢) واحدة السرح شجر عظام (٣) مطر الربيع الاول (٤) موضع بالبصرة وشعب بوان موضع بشيراز وكلاهما من جنان الدنيا (٥) طلت الارض نزل عليها الطل (٦) الاطراف

مخضل(١) الجنبات(٢) مفوّف الخمائل(٣) متضوع الشمائل منساب الماء منجاب السماء(٤) والغصن متاودة(٥) الاعطاف دانية الجنى والقطاف والنسيم يعبق نشراً والجو يتألق(٦) رونقاً وبشراً فتقصر عنه اوصاف ذي الانصاف

والزهر حيانا بثغر باسم　　والنهر قابلنا بقلب صاف

ولآلئ الانداء في الغدير غرقى ودموع النهر لا ترقى والزهر يسقط واكف الريح تكتب والغمام ينقط .

كأن اكف الريح تكتب اسطرا　　على النهر الا ان احرفها زرق
فتحني عليهن الغصون قدودها　　لتقراها جهراً من الورق(٧) الورق(٨)

والورقاء تهتف لفقد الف نازح فتهيج شجو الجاد والمازح .

رب ورقاء هتوفاً بالضحى　　ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت الفا ودهراً صالحاً　　فبكت شجواً فهاجت حزني
فبكاءي ربما ارقها　　وبكاها ربما ارقني
فاذا تبدأني اسعدها　　واذا ابدأها تسعدني
ولقد تبكي فما افهمها　　ولقد ابكي فما تفهمني
غير اني بالشجا اعرفها　　وهي ايضاً بالشجى تعرفني

فأكرم بها من ذات طوق عبرت عما في ضميرها من جوى وشوق فساقت لواعج الافكار اي سوق وبينها وبين الصب فرق عند ذوي الذوق .

---

(١) ندى يرتشف نداه　(٢) الجوانب　(٣) برد مفوف رقيق والخمائل في الاصل جمع خميلة وهي القطيفة والمراد ارض الروض المدبجة بانواع النبات　(٤) صافي الجو　(٥) منعطفة　(٦) يلمع　(٧) الرق　(٨) جمع ورقاء وهي الحمامة

وترنمت ذات الجناح بسحره ... بالواديين فهيجت اشواق
ورقاً تعلمت البكا والبث من ... يعقوب والالحان من اسحاق(١)
أنى تضاهيني هوى وصبابة ... واسى وفرط جوى وفيض مئاق
وانا الذي املى الهوى من خاطري ... وهي التي تملى من الاوراق

فما كان باسرع من تمزيق ذلك الاهاب(٢) وحصول شمله في يد الانتهاب وانشاد لسان حاله عند الذهاب

ألم تر ان الدهر يوم وليلة ... يكران من سبت عليك الى سبت
فقل لجديد العيش لا بد من بلى ... وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت

وهكذا الدنيا احلاء وامرار واقرار وانكار واعلان واسرار تعفي كل ربع عامر وتبدد شمل كل مأمور وآمر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر

بعدما نعمنا برهة من الزمان في ظلال الامان وقطعنا نبذة من الشباب في مواطن الاحباب ما بين دراسة ودراية ورواية وممارسة امور تبعد عن طرق الغواية وتحبير طروس وملازمة دروس ومثول بين يدي اشياخ مجالسهم نامية الغروس وخصوصاً شيخهم الذي فضله لا يفتقر الى دلالة عمنا مفتيها سيدي سعيد بن احمد المقري شكر الله خلاله فهو شيخ اولئك الاعلام الذين ورثوا العلم لا عن كلاله وعمروا ربوع المجد وتفيئوا ظلاله وارشدوا الى سبل الهدى وازاحوا عن الضلاله وعمرت ارضهم بكل مجد وجلاله وان نفت(٣) بي لا عن جفوة وملاله فآهاً على ذلك العصر ما ابهاه واجمله واتمه واكمله عصر يكاد

(١) المغني المشهور ولا يخفى ما فيه من التورية العذبة (٢) الجلد (٣) رمت بي

يكلمنا فيه الجماد ويروينا الثماد(١) وتحيينا العشيات والبكر ولا تتنابنا التعلات(٢) ولا الفكر فان سألنا فعنه في الحقيقة وان صرحنا او كنينا فنعني حماه وعقيقه

نسايل عن ثمامات بحزوى وبان الرمل يعلم ما عنينا
وقد كشف الغطاء فما نبالي اصرحنا بذكرى ام كنينا
ولو اني انادي يا سليمى لقالوا ما اردت سوى لبينا
الا لله طيف كان يسقى بكاسات الكرى زوراً ومينا
فأمسينا كأنا ما افترقنا واصبحنا كأنا ما التقينا

وكنا نحسب ان الدهر لا يدور وان الاعجاز صدور والاهلة بدور حتى ضرب الدهر ضربانه(٣) وبدد الرفيق من ذلك الفريق وابانه فلم تتاود قدود ولم تترنح اعطاف البانه(٤) وانقطعت الاسباب عن مواصلة الجيران والاحباب الذين

حدا بعضهم ذات اليمين وبعضهم شمالا وقلبي بينهم متوزع
فوالله ما ادري بليل وقد مضت حمولهم(٥) اي الفريقين اتبع

ومن نفائسه في النفح

قال : ومن غرائب الاندلس البيلتان(٦) اللتان بطليطلة صنعهما عبدالرحمن لما سمع بخبر الطلسم الذي بمدينة ارين من ارض الهند وقد ذكره المسعودي وانه يدور باصبعه من طلوع الفجر الى غروب الشمس فصنع هو هاتين البيلتين خارج طليطلة في بيت مجوف في جوف النهر الاعظم في الموضع المعروف بباب الدباغين ومن عجبهما انهما يمتلئان وينحسران مع زيادة القمر ونقصانه وذلك

(١) الماء القليل لا مادة له (٢) جمع تعلة وهي ما يتعلل ويشتغل به (٣) بعد بيننا
(٤) واحدة البان (٥) الحمول بالضم الهوادج الواحد حمل بالكسر ويفتح (٦) البيلة كلمة يونانية ومعناها الفسقية

ان اول استهلال الهلال يخرج فيهما يسير ماء فاذا اصبح كان فيهما سبعهما من الماء فاذا كان آخر النهار كمل فيهما نصف سبع ولا يزال كذلك بين اليوم والليلة نصف سبع حتى يكمل من الشهر سبعة ايام وسبع ليال فيكون فيهما نصفهما ولا تزال كذلك الزيادة نصف سبع في اليوم والليلة حتى يكمل امتلاؤهما بكمال القمر فاذا كان في ليلة خمسة عشر واخذ القمر في النقصان نقصتا بنقصان القمر كل يوم وليلة نصف سبع فاذا كان تسعة وعشرون من الشهر لا يبقى فيهما شيء من الماء واذا تكلف احد حين ينقصان ان يملأهما وجلب لهما الماء ابتلعتا ذلك من حينهما حتى لا يبقى فيهما الا ما كان فيهما في تلك الساعة وكذا لو تكلف عند امتلائها افراغهما ولم يبق منهما شيئاً ثم رفع يده عنهما خرج فيهما من الماء ما يملأهما في الحين وهما اعجب من طلسم الهند لان ذلك في نقطة الاعتدال حيث لا يزيد الليل على النهار واما هاتان فليستا في مكان الاعتدال ولم تر الا في بيت واحد حتى ملك النصارى طليطلة فاراد ألفنش ان يعلم حركاتهما فأمر ان تقلع الواحدة منهما لينظر من اين يأتي اليها الماء وكيف الحركة فيهما ففعلت فبطلت حركتهما وذلك سنة ٥٦٨ وقيل ان سبب فسادهما حنين اليهودي اراد ان يكشف حركة البيلتين فقال له ايها الملك انا اقلعهما وأردهما احسن مما كانتا وذلك اني اجعلهما تمتلئان بالنهار وتحسران في الليل فلما قلعت لم يقدر على ردهما . ه بخ —

ومنها : — رسالة(١) الشقندي(٢) في تفضيل الاندلس على المغرب يقول

---

(١) رسالة بديعة جداً يجتلي الناظر فيها جزيرة الاندلس في ابهى محاسنها متبرجة في كل حليها وحللها (٢) ابو الوليد اسماعيل بن محمد وشقندة المنسوب اليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب مات باشبيلية سنة ٦٢٩ وترجمته في النفح اثر ذكر رسالته

منها اما قولك(١) الملوك منا فقد كان الملوك منا ايضاً وما نحن الا كما قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

ان كان الان كرسي جميع بلاد المغرب عندكم بخلافة بني عبدالمؤمن ادامها الله تعالى فقد كان عندنا بخلافة القرشيين الذين يقول فيهم مشرقيهم :

واني من قوم كرام اعزة لاقدامهم صيغت رؤوس المنابر
خلائف في الاسلام في الشرك قادة بهم واليهم فخر كل مفاخر

ويقول مغربيهم :

ألسنا بني مروان كيف تبدلت بنا الحال او دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت له الارض واهتزت اليه المنابر

وقد نشأ في مدتهم من الفضلاء والشعراء ما اشتهر في الافاق وصار اثبت في صحائف الايام من الاطواق في اعناق الحمام

وسار مسير الشمس في كل بلدة وهب هبوب الريح في البر والبحر

ولم تزل ملوكهم في الاتساق كما قيل :

ان الخلافة فينا لم تزل نسقا كالعقد منظومة فيه فرائده

الى ان حكم الله بنثر سلكهم وذهاب ملكهم فذهبوا وذهبت اخبارهم ودرسوا ودرست آثارهم

جمال ذي الارض كانوا في الحياة وهم بعد الممات جمال الكتب والسير

فكم مكرمة انالوها وكم عثرة اقالوها

وانما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

---

(١) يخاطب خصمه ابا يحيى الطنجي

وانك ان تعرضت للمناضلة بالعلماء فاخبرني هل لكم في الفقه مثل عبد الملك بن حبيب الذي يعمل باقواله الى الان ومثل ابي الوليد الباجي ومثل ابي بكر بن العربي ومثل ابي الوليد بن رشد الاكبر ومثل ابي الوليد بن رشد الاصغر وهو ابن الاكبر نجوم الاسلام ومصابيح شريعة محمد عليه السلام وهل لكم في الحفظ مثل ابي محمد بن حزم الذي زهد في الوزارة والمال ومال الى رتبة العلم ورآها فوق كل رتبة . وقال وقد احترقت كتبه :

دعوني من احراق رق وكاغد	وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي	تضمنه القرطاس اذ هو في صدري

ومثل ابي عمر بن عبدالبر صاحب الاستيعاب والتمهيد ومثل ابي بكر بن الجد(١) حافظ الاندلس في هذه الدولة وهل لكم في حفاظ اللغة كابن سيده صاحب كتاب المحكم وكتاب السمار العالم الذي ان اعمى الله بصره فما اعمى بصيرته وهل لكم في النحو مثل ابي محمد بن السيد وتصانيفه ومثل ابن الطراوة ومثل ابي علي الشلوبين الذي بين اظهرنا الان وقد سار في المغارب والمشارق ذكره وهل لكم في علم اللحون والفلسفة كابن باجه وهل لكم في علم النجوم والهندسة والفلسفة ملك كالمقتدر بن هود صاحب سرقسطة فانه كان في ذلك آية وهل لكم في الطب مثل ابن طفيل صاحب رسالة حي بن يقظان المقدم في علم الفلسفة ومثل بني زهر ابي العلاء ثم ابنه عبدالملك ثم ابنه ابي بكر ثلاثة على نسق وهل لكم في الاعتناء بتخليد مآثر فضلاء اقليمه والاجتهاد في حشد محاسنهم مثل ابن بسام صاحب الذخيرة وهب انه كان يكون لكم مثله فما تصنع الكتيبة

(١) الاشبيلي المتوفى سنة ٥٦٨ وترجمته في التكملة لابن الابار

في البيت الفارغ وهل لكم في بلاغة النثر كالفتح بن عبيدالله الذي ان مدح رفع وان ذم وضع وقد ظهر له من ذلك في كتاب القلائد ما هو اعدل شاهد ومثل ابن ابي الخصال في ترسله ومثل ابي الحسن بن مالك الذي بين اظهرنا الان في خطبه وهل لكم في الشعر مثل المعتمد بن عباد في قوله :

وليل بسد النهر انساً قطعته　　بذات سوار مثل منعطف النهر
نفت(١) بردها عن غصن بان منعم　　فياحسن ما انشق الكمام عن الزهر

وقوله في ابيه

سميذع يهب الالاف مبتدئاً　　وبعد ذلك يلفى وهو يعتذر
له يد كل جبار يقبلها　　لولا نداها لقلت انها الحجر

ومثل ابنه الراضي في قوله

مروا بنا اصلا(٢) من غير ميعاد　　فاوقدوا نار قلبي اي ايقاد
لا غرو ان زاد في وجدي مرورهم　　فرؤية الماء تذكي(٣) غلة الصادي(٤)

وهل لكم ملك ألف في فنون الادب كتاباً في نحو مائة مجلدة مثل المظفر بن الافطس ملك بطليوس ولم تشغله الحروب ولا المملكة عن همة الادب وهل لكم في الوزراء مثل ابن عمار في قصيدته التي سارت اسرد من مثل واحب الى الاسماع من لقاء حبيب وصل التي منها :

اثمرت رمحك من رؤوس كماتهم　　لما رأيت الغصن يعشق مثمرا(٥)
وصبغت درعك من دماء ملوكهم　　لما رأيت الحسن يلبس احمرا

(١) ازالت　(٢) جمع اصيل　(٣) تشعل　(٤) العطشان　(٥) خص هذين البيتين بالذكر لان فيهما حكاية فتكة المعتمد الممدوح بالبربر سكان المغرب والاقتصار على هذا دون البيت الذي فيه التصريح بهم اشد لسعاً واعظم ايلاماً كما لايخفى فلله حذقه غفر الله له

ومثل ابن زيدون في قصيدته التي لم يقل مع طولها في التشبيب ارق منها التي يقول فيها :

كأننا لم نبت والوصل ثالثنا والسعد قد غض من اجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وهل لكم من الشعراء مثل ابن وهبون في بديهته بين يدي المعتمد بن عباد واصابته الغرض حين استحسن المعتمد قول المتنبي

اذا ظفرت منك العيون بنظرة اثاب بها معيي المطي ورازمه(١)

فارتجل :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما يجيد العطايا واللها(٢) تفتح اللها(٣)
تنبأ عجباً بالقريض ولو درى بانك تروي شعره لتألها(٤) .ه

ومن املائه لبعض فضلاء دمشق انه قال : حكي ان افلاطون كتب الى بقراط قبل ان يتعلم منه اني اسألك عن ثلاثة اشياء ان اجبت عنها تلمذت لك. فكتب اليه بقراط : سل وبالله التوفيق . فكتب اليه : اخبرني من احق الناس بالرحمة ومتى يضيع امر الناس وما تتلقى به النعمة من الله . فكتب اليه بقراط : اما احق الناس بالرحمة فثلاثة البر يكون في سلطان فاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع. والعاقل في تدبير الجاهل فهو الدهر متعب مغموم . والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع ذليل . واما تضييع امور الناس فاذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله. والمال عند من لا ينفقه . واما ما

---

(١) البعير لايقوم هزالا (٢) العطايا جمع لهية كغرفة (٣) هي في الاصل جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق . (٤) لادعى الالوهية

به تلقى النعمة من الله فبكثرة الشكر ولزوم طاعته واجتناب معصيته فأقبل اليه افلاطون وصار تلميذاً له الى ان مات . قال المقري وقد نظمت هذا السؤال والجواب في قولي :

ارسل افلاطون وهو الذي قدماً سما في الناس بالحكمه
لشيخه بقراط من قبل ان يكون ممن قد حوى علمه
ان انت حققت جوابي على ثلاثة محضتك الخدمه
وكنت تلميذاً مقراً بما تسديه من علم ومن حرمه
فقال بيّنها فقال اكشفن عمن احق الناس بالرحمه
وعن امور الناس اوضح متى تضيع واستقبالنا النعمه
من ربنا سبحانه ما الذي به تلقى فاشرح القسمه
فقال بقراط احق الورى برحمة يا موفي الذمه
ذو العقل في تدبير ذي الجهل لا يبرح طول الدهر في غمه
والبر ان اضحى بسلطان من فجوره عم الورى نقمه
يحزنه ما يسمع او ما يرى منه لان الظلم ذو ظلمه
كذا كريم النفس ذو حاجة الى لئيم ساقط الهمه
يغدو ذليلا خاضعاً خاشعا له وناهيك بذا وصمه
فاسأل من الرحمن سبحانه عن الثلاث الحفظ والعصمه
وذي ثلاث ان تكن في الورى ضاعت امور الناس في مهمه
المال في كف امرىء ممسك له يرى انفاقه ثلمه
والرأي ان كان لدى من أبوا منه قبولا وابوا حزمه

وذو سلاح ليس مستعملاً　　له ولم يكسب به حشمه
وذي ثلاث غيرها اوضحت　　عما به تستقبل النعمه
ترك المعاصي ولزوم التقى　　وكثرة الشكر فصن نظمه

(العلامة اليوسي)

ابو علي الحسن بن مسعود اليوسي احد الفحول الذين يفتخر بهم المغرب كان علامة ماهراً ريان من العلوم النقلية والعقلية راوية يستحضر ديوان ابي الطيب وابي تمام والمعري وقصائد جمة كل ذلك على طرف لسانه وسن قلمه وشعره مثال المتانة والرصانة وفحولة اللهجة وجال في بلاد المغرب يرتاد لفكرته الوقادة ما أث من رياض العلوم واشرق من ازاهرها فقصد مراكش ودرعة وسجلماسة والزاوية الدلائية وكان معظم قرءاته بها ولم يزل بها عاكفاً على نشر العلم الى ان استولى عليها المولى الرشيد بن الشريف فنقله الى فاس فاقام بها مدة ثم خرج الى البادية فاستوطن قبيلته آيت يوسي(١) الى ان وافاه اجله

ومن اعاظم شيوخه العارف الكبير ابو عبدالله سيدي محمد بن ناصر الدرعي والعلامة الماهر ابو مهدي عيسى بن عبدالرحمن السكتاني في كثير من اكابر عصره . ومن تآليفه العظيمة المتلاطم بحرها بفرائد الفوائد : زهر الاكم في الامثال والحكم يوجد منه مجلدان . والمحاضرات جعله كالجواب عما اجاب به بعض اهل فاس عن بيتين قالهما فيمن يتأخر عن مجلسه من اهلها وهما :

ما انصفت فاس ولا اعلامها　　علمي ولا عرفوا جلالة منصبي

---

(١) قبيلة من برابر ملوية

لو انصفوا لصبوا اليّ كما صبا   راعي سنين الى الغمام الصيب(١)

واعتذر عنهما في هذا المصنف بقوله : لكن للنفس فرطات ولا بد لها احياناً من سقطات .والقانون في ابتداء العلم .وقصيدة دالية في امتداح شيخه ابن ناصر عالية غالية معنىً ومبنىً وديوان شعر على طريقة فحول المتقدمين وغير ذلك وكانت وفاته سنة ١١٠٢ ومدفنه بالقرب من مدينة صفرو . روح الله روحه .ولله ابوسالم العياشي اذ يقول فيه :

من فاته الحسن البصري يصحبه   فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

من فوائده في القانون . قال :

الفصل السابع عشر في ذكر جمل وجيزة
في مدح العلم والعالم والمتعلم جمعها بعض الادباء
ومنها حديث ومنها حكمة وهي هذه :

اغد عالماً او متعلماً ولا تكن الثالث فتهلك . العلم خير من المال لان العلم يحرسك والمال تحرسه والعلم حاكم والمال محكوم عليه . العلماء ورثة الانبياء . العلم اكثر من ان يحاط به فخذوا من كل علم احسنه . قيمة كل انسان ما يحسن. قلت : وهذه مروية عن الامام علي كرم الله وجهه وانه قال في خطبة خطبها : واعلموا ان الناس ابناء ما يحسنون وقدر كل امرىء ما يحسن فتكلموا في العلم تتبين اقداركم قيل ولم يسبق اليها وقال بعضهم: ليس كلمة احض على طلب العلم منه ولا كلمة اضر بالعلم وبالعلماء والمتعلمين من قول القائل : ما ترك الاول للاخر شيئاً وقول الشاعر في معناه :

(١) تلميح لقول العربي :

وحديثها كالقطر يسمعه   راعي سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو ان يكون حياً   ويقول من فرح ايا ربا

لم يدع من مضى للذي قد غبر فضل علم سوى اخذه بالاثر

وقد نظم الناس كلمة علي اعجاباً بحسنها فمن ذلك قول الشاعر :

لا يكون السري مثل الدني لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي
قيمة المرء كل ما يحسن المر ء قضاء من الامام علي

غيره :

يلوم على ان رحت للعلم طالباً اجمع من عند الرواة فنونه
فيالائمي دعني اغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

غيره :

تأمل بعينك هذا الانام وكن بعض من صانه عقله
فحكمة كل فتىً فضله وقيمة كل امرىء نبله
فلا تتكل في طلاب العلا على حسب ثابت اصله
فما من فتى زانه قوله لشيء يخالفه فعله

الحكمة ضالة المؤمن . الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك . شكر العالم على علمه ان يبذله لمن يستحقه . كل شيء يعز حين يندر والعلم يعز حين يغزر . العالم مثل السراج من مر به اقتبس منه . خير العلم ما نفع . العلم نور الدين . هلاك العلم بالجهال وهلاك الجهال بالعلم . علامة العلم التصرف في كل معنىً . لا عدو اضر من الجهل . لا يستغني الانسان عن العلم حتى يستغني عن الحياة . بالعلم تعرف النعمة وبالمعرفة تشكر وبالشكر تستحق . العلم ثمرة الطلب والطلب ثمرة التوفيق . افضل العلم وقوف الرجل عند علمه . عمل قليل في علم خير من كثير في جهل . ما تعلمه ولا تعمل به لغيرك نورد

وعليك بوره . فضل من وعى العلم على من علمه اياه كفضل لبس التاج على من صاغه فان زينة التاج للابسه وحظ صانعه الدخان وحمل المطرقة . انالرجل يطلب العلم لغير الله فيأبى العلم ان يكون الا لله حتى يرده الى الله . النظر الى العالم عبادة العلم بصر والجهل عمى تعلموا العلم فان تعلمه حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة . الناس موتى الا العلماء . اذا استرذل الله عبداً حظر عنه العلم والادب. كاد العلماء يكونون ارباباً كل عز لم يؤكد بعلم فالى الذل يصير . لا غنى عن علم الفرائض والنوافل وعلم الفرائض اولى . ما ازداد احد علماً الا ازداد على العلم حرصاً . منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال . العلم منار سبل اهل الجنة والانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء . اربعة يسود بها العبد العلم والادب والفقه والامانة . اقرب الاشياء من الله العلم يرفع الله بالعلم اقواماً فيجعلهم في الخير قادة وايمة تقتص آثارهم ويقتدى بافعالهم . العلم يرفع الخسيسة ويتم النقيصة. الناس مع العلماء كالايتام في حجور الاوصياء . العلم حافظ العمل من التقصير والغلو ..جفاء العلم ترك العمل به والتعليم له . هلك خزان المال وهم احياء والعلماء باقون اعيانهم مفقودة وامثلتهم في القلوب مشهودة . ليس من حملة العلم لقن غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستظهر بنعمة الله على اهل دينه ولا ينقاد لاهل الحق . العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم . علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر . موت العالم كانكسار السفينة تغرق ويغرق معها خلق كثير . قلت هذا كقول الشاعر :

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولاكن الرزية موت نفس يموت بموتها بشر كثير

غيره :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولاكنه بنيان قوم تهدما
عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء ان يترحما

العلم من الله وله من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل الشبهة آفة العلم

وقال في تعريف الاقرآء

الاقرآء تصحيح المتن وحل المشكل والزيادة على هذا ضررها اكثر من نفعها . قال ولا بد ان يدرج فيما ذكر من تصحيح المتن او حل المشكل التنبيه على النقص او الحشو وتوجيه ما يحتاج الى التوجيه ونحو ذلك فهذا وظيفة الاقرآء وهذا كله للمبتدي واما غيره فيعامل بما يليق به وان لم يكن ماهراً طبيباً فضرره اكثر من نفعه والله اعلم .

نبذة من داليته

يقول في طالعتها

عرج(١)بمنعرج(٢)الهضاب(٣)الورد(٤) بين اللصاب(٥) وبين ذات الارمد(٦)
واجز(٧) من الجزع الذي بحضيضه(٨) اجداث(٩)اصدآء(١٠)العشير الهمد(١١)
واربع(١٢)على الربع المحيل(١٣)هنيئة ان الربوع ربيع قلب الاكمد
وقف المطي على ديار احبة كانوا الغياث من الزمان الانكد

(١) التعريج حبس المطية على المنزل (٢) المنعطف (٣) جمع هضبة وهي الجبل المستوي بالارض (٤) جمع وارد وهو المشرف على الماء (٥) الشعاب الضيقة جمع لصب بكسر اللام (٦) تراب على لون الرماد (٧) من الاجازة (٨) القرار من الارض حيث ينقطع الجبل (٩) القبور (١٠) اجساد الموتى (١١) جمع هامد (١٢) الربع الوقوف (١٣) الذي اتى عليه حول

واذا مررت فحي حيي ان هم   اذنوا اليك او المنازل تردد
قوم عزيز جارهم لكنهم   يسلو بهم عن والدين ومولد

يقول فيها في مدح الشيخ ابن ناصر :

واعاد وجه الدين ابيض مسفرا   بهجاً مقراً عين كل موحد
واقام سمك بنائه حتى سما   فوق السماك على الاواسي الوطد
وازاح عنه كل حندس(١) شبهة   وضلالة وغواية وتشدد
كم سنة احييت بعد اماتة   وضلالة اخمدت بعد توقد
وافيت والبدع الحوادث قد دجت   ظلماتها والجهل واري(٢) الازند
والدين مطموس المعالم والهدى   بيض الانوق(٣) ولقطة(٤) لم تنشد
والسنة الغراء قفر موحش   ما فيه من هاد ولا من مهتد
نشبت بضبعيها(٥) مخالب ضيغم   من مألف العادات عاد محرد(٦)
ومحا المحاق بدورها فتكنفت   مقل النهى ظلماء ليل سرمد
وعفت(٧) اعاصير(٨) الهوى آثارها   فاستبهمت عن ناشد(٩) او منشد(١٠)
واستوثقت ايدي الغواية والهوى   بازمة الالباب شلت من يد(١١)
والعلم ضاح ظله(١٢) وصدى التقى   قد صم والغي اعتلى بمجند
فكشفت جلباب الجهالة عن سنا   بدر لسائمة الضلال مندد(١٣)
بل ضوء صبح بل نهار ناسخ   آياته ليل الشكوك الزرد(١٤)

---

(١) الظلمة (٢) يقال ورى الزند اذا خرجت ناره وازند جمع زند (٣) الرخمة وبيضها يكون في الشواهق فلا يوصل اليه فيضرب مثلا في الشيء العزيز المنال (٤) المال الضائع (٥) العضد وقيل الابط (٦) الكثير الحرد وهو الغضب (٧) العفو التغيير (٨) جمع اعصار وهو اقوى الريح (٩) الطالب (١٠) المعرف (١١) بضم الياء وكسرها جمع يد كعصى جمع عصا (١٢) الضاح البارز للشمس وظله ضاح كناية عن ذهابه وعدمه لان المعدوم لا ظل له فليس الا الشمس (١٣) مفرق (١٤) الخنق وهذا زارد وهم زرد والمراد الشكوك التي تخنق العقل وتضيق الصدر

﴿ الشيخ سيدي محمد بن زاكور ﴾

ابو عبدالله سيديْ محمد بن قاسم بن محمد بن عبدالواحد بن احمد بن زاكور الفاسي منشئاً وداراً . قال في الانيس المطرب : وحيد البلاغة وفريد الصياغة(١) الذي ارسخ في ارض الفصاحة اقدامه(٢) واكثر وثوبه على حل المقفلات(٣) اقدامه(٤) فتصرف في الانشاء(٥) وعطف انشاءه على الاخبار واخباره على الانشاء(٦) وقارع الرجال في ميادين الارتجال(٧) وثار في معترك الجدال ما شاء وجال(٨) فهو الذي باسمه في الاوان(٩) هتف(١٠) وهو الذي يعرف في كل العلوم من اين تؤكل الكتف(١١) جلس للاقراء في شبابه فأتى بيت التدريس من بابه وتأسى في الصلاح بارباب ولم يصب(١٢) لربوبه(١٣) ولاربابه(١٤) فتكلم في المذهب وذهب في التحقيق كل مذهب واوجز ما شاء واسهب وطاول في الفروع ابن القاسم وأشهب وخاض في المعقول فبهر العقول ووقف التحقيق عندما يقول وتصدر في السيرة واحكم القرآن وتفسيره وحرر حرز أمانيه وتيسيره(١٥) ونجا في الرواية من الغواية والف في الاصول ما لم يزل به بين الاقران يصول وقام للعروض بالنوافل والفروض ففك منه الدوائر(١٦)

---

(١) سبك الكلام على وجه يستحسن (٢) جمع قدم (٣) الصعاب والمشكلات (٤) مصدر اقدم على الامر اذا شجع (٥) الفن المخصوص (٦) كناية عن التفنن في اساليبه (٧) ارتجل الخطبة او الشعر اذا قاله من غير روية (٨) جال الفرس في الميدان اذا قطع جوانبه (٩) العصر الحاضر (١٠) دعي ونودي (١١) كناية عن الخبرة بالامور . قال بعضهم ان الكتف تؤكل من اسفلها مخافة ان يصيب الآكل المرق الجاري من اللحم والعظم اذا اكلها من اعلى (١٢) لم يمل (١٣) جمع رب بضم الباء (١٤) آلة لهو يضرب بها او اسم محبوبة والمراد انه لم يجب داعي الشباب (١٥) مؤلفان في علم القراءة (١٦) الدوائر والمراقبة والمعاقبة الفاظ اصطلاحية عند العروضيين

وسلم فيه من الدوائر(١) واختار المراقبة(٢) فبرىء من المعاقبة .اخذ بفاس عن جماعة من الاجلة منهم سيدي عبدالقادر الفاسي وسيدي المهدي الفاسي وابي العباس بن الحاج والقاضي بردلة وابي عبدالله القسمطيني والشيخ سيدي الحسن اليوسي وسيدي عبدالسلام القادري ورحل فاخذ بتطوان عن سيدي الحاج علي بركة وبالجزائر عن مفتيها سيدي محمد بن سعيد قدورة وغيرهما وله مؤلفات مرصعات(٣) مفوقات(٤) جزلة العبارة لا يشق فيها احد غباره منها عنوان النفاسة في شرح الحماسة في ثلاثة اسفار ومقباس الفوائد في شرح ما خفي من القلائد والجود بالموجود في شرح المقصور والممدود لابن مالك وتفريج الكرب في شرح لامية العرب والنفحات الارجية والنسمات البنفسجية بنشر ما راق من مقاصد الخزرجية والمعرب المبين عما تضمنه الانيس المطرب وروضة النسرين وغير ذلك مما ذكره في الانيس والسلوة وغيرهما . وكانت وفاته بفاس سنة عشرين ومائة والف

من فوائده في شرح القلائد

قال في قول الفتح : (الحمد لله الذي راض لنا البيان حتى انقاد في أعنتنا وشاد مثواه في اجنتنا) قد انتقده عليه بلغاء قطره بان ما اشتملت عليه الفقرة الاولى افضل مما اشتملت عليه الثانية والصواب العكس. حكى معناه شيخ اكبر

---

(١)يعني من هفوات الخطأ والخلل (٢) مراقبة الله تعالى : تنبيه — ملخص كلام الانيس انه وصف المترجم له بالرسوخ في علم البلاغة وملكة الانشاء وارتجال الشعر وعلم الجدل والمناظرة والمشاركة في العلوم والصلاح ثم بالمهارة في الفقه على مذهب مالك والسيرة والتفسير واحكام القرآن والقراءآت والحديث والاصول والعروض والتصوف فتدبر (٣) من الترصيع بمعنى التركيب والنسج كما يرصع الطائر عشه وتاج وسيف مرصع بالجواهر محلى (٤) برد مفوف رقيق او فيه خطوط بيض

مشايخنا ابو العباس المقري في نفح الطيب عن ابي الحسن بن سعيد .قلت:وبيان هذا الكلام على التمام يستدعي تقديم شرائط للسجع واحكام وهي على ما ذكره سعد الدين عن ابن الاثير اربعة اختيار مفردات الالفاظ اختيار التأليف وكون اللفظ تابعاً للمعنى لا عكسه وكون كل واحدة من الفقرتين غير دالة على معنى الاخرى والا كان تطويلا كقول الصابىء لا تدركه الاعين بالحاظها ولا تحده الالسن بالفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها والصلاة على من لم ير للكفر اثراً الا طمسه ومحاه ولا رسماً الا ازاله واعفاه اذ لا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور ولا بين محو الاثر واعفاء الرسم انتهى . فليس في هذه الشروط كون الفقرة الثانية افضل من الاولى حتى ينتقد بعدمه على المصنف اللهم الا اذا قيل يستروح ذلك من كون الثانية مشتملة على معنى الاولى لان المقصود بذلك تفسيرها وتبيينها وايضاح خفائها ولا يتم ذلك الا بكون مضمونها اوضح وابين والاوضح احسن وافضل من غيره والله اعلم سبحانه واذا تقرر هذا فاعلم ان الفقرة الثانية عند المنتقدين على المصنف ما تضمنت غاية رياضة البيان من انقياده في الاعنة فان مضمونها قد رتع من بساتين البلاغة في جنة بخلاف مضمون ما عطفه عليها من تشييد مثواه في الاجنة فانه عند نسبته اليه يشبه كلام من به جنة وبيان ذلك ان المعطوف على الغاية غاية ولا مناسبة تجمع بين الرياضة وتشيد المثوى ولا نهاية لا بحسب الحقيقة ولا بحسب المجاز اذ المستعار منه وهو الفرس مثلا كالمستعار له وهو البيان ليس من شأنه ان يشيد مثواه اي يرفع بناءه فلا يكون ترشيحاً ولا تجريداً ولا يفيد معنى اكيداً فلا يكون سديداً ولا شديداً وقد فاته بذلك اشتمال الثانية على معنى

الاولى فقد ابدى كلامنا هذا ان فاعل شاد ضمير البيان وان الجملة معطوفة على جملة انقاد واما عطفها على جملة راض لنا البيان والفاعل ضمير الله تعالى فيزداد به الكلام ركاكة على ما تقدم والله اعلم .

ومنها ايضاً

قوله في بيت ابن زيدون :

يكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الاسي لولا تآسينا

يكاد اي يقرب يقضي علينا الاسى اي الحزن لولا اقتداؤنا بمن اصابه مثل ما اصابنا من الفراق حيث تحادثكم قلوبنا فالمنفى بالتآسي على هذا قرب القضاء عليه لا نفس القضاء عليه واين هذا من اصله قول الخنساء حاملة الراية لشواعر النساء :

ولولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل اخي ولاكن ... اسلي النفس عنك بالتآسي

فان الذي نفاه تأسيها بكثرة الباكين نفس قتلها لنفسها لا قرب ذلك فقط فانه حاصل لها مع التآسي وايضاً تآسيها بكثير وقد فقد هذا القيد في بيت ابن زيدون كما فقد منه اثبات المدح للمحزون على فراقه بنفي مماثلة غيره له ممن حزن عليه كما افاده قولها وما يبكون مثل اخي فانه لم يحترس كما احترست وذلك يصدق بان من ائتسى به صبر على مثل ما صبر عليه هو او على افضل وذلك يخل بمرتبة المأسوف على فراقه وثبوت المزية لكلام الذين نزل القرآن افصح كلام بلغتهم ليس ببدع لاسيما اهل زمان نزوله منهم كالخنساء فانغيرهم تابع لهم ومقتبس منهم فقد يصيب الغرض وقد يزل عما قصدوه ويدحض . وقد

يجاب عن الاول بان قوله لولا تآسينا يرجع ليقضي علينا لا ليكاد والتقدير لولا تآسينا قضى علينا وهذا ليس ببعيد والله سبحانه اعلم(١)

ومنها في المعرب المبين

قال لدا ذكر الدولة الادريسية :

فاول بدورهم من اليه انتماء نورهم وهو المولى ادريس بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . دخل رضى الله عنه المغرب ونزل بمدينة وليلي قاعدة جبل زرهون على عبدالحميد الاوربي غرة ربيع الاول سنة اثنين وسبعين ومائة واخذ له البيعة عبدالحميد المذكور على جميع من في ايالته يوم الجمعة رابع رمضان السنة المذكورة وتوفى رضى الله عنه بعد ان استقام له امر المغرب وفتح مدينة تلمسان مفتتح ربيع الاخير سنة سبع وسبعين ومائة مسموماً وسمّه على ما قيل سليمان بن جرير رجل ذو حزم ومكر بعثه الرشيد لما غصّ بمكان ادريس من المغرب باشارة وزيره يحيى بن خالد البرمكي وقد ادرك عدو الله على ما قيل بقرب ملوية ادركه المولى راشد وقد جد السير في طلبه بعد وفاة مولاه ادريس فقطع يمناه وشجه في رأسه وجرحه في جسده وكبا جواد راشد فنجا الشقي الى ان بلغ بغداد حضرة الرشيد ودولته رضي الله عنه اربع سنين وستة اشهر غير اربعة ايام . قلت فان كان ما ذكروه حقاً من تسبب يحيى في قتل المولى ادريس بن عبدالله لينال بذلك عند سلطانه علي الرتبة والجاه فقد

---

(١) تنبيه. لا يخلو ما اوردنا من فوائد المترجم له من صعوبة ولكن القصد ان يلتفت التلميذ لكيفية الانتقاد ويتمرن على مثل تلك العبارات الرائجة في كلام المؤلفين

عامله الله بعكس قضيته واعان على وضعه رافع رتبته فقطع على اثر ذلك دابره واباد حاميه وناصره وألبس الهوان سائره وما ذلك بكثير في كرامات اهل البيت رضوان الله عليهم من استئصال من عاملهم بنقيض ما يجب من الاجلال والاكرام اليهم واعتبر بقتلة مولانا الحسين وما رموا به من عظيم الحين ومحو آثارهم بعد العين ولم يترك المولى ادريس مولوداً بيد انه خلف جارية اسمها كنزة من تالد البرابر في الشهر السابع من حملها فولدت المولى ادريس بن ادريس فكفله الامام راشد وبذل الجهد في تدريبه وتأديبه الى ان بلغ احدى عشرة سنة فأخذ له البيعة على قبائل المغرب وقيل انه بويع بعد قتل الامام راشد بتدبير(١) ابراهيم بن اغلب عامل الرشيد على افريقية فالله اعلم بما صح من ذلك وتوفي الامام ابوالقاسم ادريس بن ادريس بعد ان دوخ المغرب باسره ووفدت عليه الوفود من افريقية والاندلس وبنى مدينة فاس وبه دفن ازاء الحائط الشرقي من جامع الشرفاء وقيل بوليلي ودفن الى جانب قبر ابيه ثاني عشر جمادى الاخيرة سنة ثلاثة عشر ومائتين عن ست وثلاثين سنة فايام ملكه ست وعشرون سنة . ه

﴿ العلمي ﴾

صاحب الانيس المطرب

ابوعبدالله محمد بن الطيب الشريف العلمي ولد ونشأ بفاس واقتبس من مشكاة افاضل عصره فيهم الشيخ سيدي عبدالقادر الفاسي والقاضي سيدي العربي بردلة وابن زاكور وغيرهم ممن ذكر في كتابه الانيس وكان اديباً رقيق الحاشية

(١) يعني ان قتل راشد كان بتدبيره

صفيل الفكرة طلق اليراع تلين معاني الشعر بين بنانه وتنفعل النفوس لسحر بيانه وقد جمع شعره بين رقة اللفظ ونباهة المعنى . وله الانيس المطرب فيمن لقي من ادباء المغرب ترجم فيه اثني عشر من ادباء وقته ونسج فيه على منوال قلائد العقيان للفتح ابن خاقان وضمنه غالب شعره . سافر للمشرق بقصد الحج فمات بمصر القاهرة سنة خمس او اربع وثلاثين ومائة والف بعد ان طال تشوقه لمكة ومدينة الرسول فلم يقدر له اليهما وصول

من لطائفه في الانيس

قال : اخبرنا بعض الظرفاء . من ذوي المروءة والوفاء . ممن اعتمد على نقله وروايته . وأحكم بصحة عقله ودرايته . قال : جلست يوماً مع جماعة من الاحباب . على شيء من الشراب نتذاكر ما مر في ايام الشباب . وبيننا شاب حسن الصورة . عليه الملاحة مقصورة . واللطائف في شمائله محصورة . الا ان شعر شاربه قد طال . واسترسل غاية الاسترسال . فسألناه عن سبب طوله . وعدم قص طويله . فقال انا اخبركم بخبر يعجب لذكره الحاضرون . ويطرب لسماعه المنصتون والناظرون . كنت من شأني اتزخرف المكاسب . واتخير منها ما يناسب . فصليت يوماً صلاة الاستخارة . فوجدت نفسي مائلةً الى التجارة . فقصدت مدينة سنجار . وفتحت بها حانوتاً بسوق التجار . ووضعت فيه من محاسن القماش . ما استعين به على المعاش . وزينت الدكان بحسب الامكان . وكسوتها بالاستار على اربعة اركان . وعاملت اهل الاسواق . بمكارم الاخلاق . واستعنت بالقربة . على ليالى الغربة . فاتفق لى في بعض الايام . ضرورة الى دخول الحمام . فوجدت في طريقي جماعه من النسوان . بينهن فتاة كأنها قضيب البان . فلمحت من تحت الازار معصمها .

وقد سطع صفاؤه . وابصرت من تحت النقاب مبسمها . وقد لمع ضياوه . فوقفت وقد جرى من الجفون دمي . وعجزت عن نقل قدمي. ثم تتبعتها من بعيد . ولاحظتها الى اين تريد . فدخلت داراً يدل اتقان بابها . على سعادة اربابها. فنظرت فاذا بالقرب من ذلك المكان . خياط يخيط في دكان . وعنده من الصناع الوان. ذوو اذقان ومردان . صنوان وغير صنوان . فقلت في نفسي من هذا الخياط استفهم . عما علي ابهم . فرجعت الى دكاني . ثانياً عناني . واحضرت عدة من التفاصيل . وجئت بها حانوت الخياط بقصد التفصيل. فجالسته. وحاورته ووانسته . وفصلت ذلك القماش. وعجلت له من الاجرة ما يحصل به الانتعاش. ففرح بحضوري .واعتنى بامري. ووجدت عنده معرفة بالادب. وشكا لى من ضيق الحال والسغب. وانشدني لنفسه من شعره المستعذب :

انا الخياط لي رزق ولكن ارى حالي من الافلاس عبره
ذراعي فيه من فقري مقصٌ ورزقي خارج من عين ابره

فاستحسنت نظمه . وحملت همه . وصار يتلقى كلامي بالقبول . ويقف ممتثلا ما اقول . فسألته عن صناع دكانه . وديار جيرانه . فما زال يشير الى كل دار ويشرح حالها . ويعرفني تفصيلها واجمالها . حتى افضى الحديث الى الدار التي اختارها . وقصدي ان تتضح لى اخبارها . فقال هي دار الخطيب بالبلد . وهو رجل كثير المال قليل الولد . مشهور بالتزقرة الزائدة . ولا له من الاولاد الا ابنة واحدة. وهي روحه التي بين جنبيه . والسواد الذي فيه نور عينيه . وقد منعها الازواج . وخطبها جماعة من البلد فلم يسمح لها بالزواج. فقلت والله لقد شوقتني اليها ، وحدثتني نفسي بخطبتها والعمل عليها . فهل تعرف امرأة

نعرفني باسمها . وتوصل خطبتي الى امها . فدلني على عجوز مشهورة في عقد النكاح . تعرف بياقوتة الملاح . فلما لقيتها اوضحت لها الحال . ووعدتها ان تمت المسئلة بتحف ومال . فسمعت كلامي . وضمنى لى بلوغ مرامي. وانشدت

انا ياقوتة الملاح وربي في اموري هو الكفيل بقوت
ان سلكت القفار جئت بوحش او سلكت البحار جئت بحوت
ويقود الصعاب لطف احتيالى بخيوط تكون من عنكبوت
القني في لظى فان غيرتني فتيقن ان لست بالياقوت

ثم فارقتني وذهبت . واشتعلت نار وجدي والتهبت . ومضى علي شهر لا ادري امرها . ولا اعرف مستقرها . فذرفت العيون . وسهرت الجفون . وساءت الظنون. وقلت :

غاب الرسول فلم يعد بجوابه ففهمت معنى الحال في تأخيره
فكأنه لم يلق امراً طائلا فاراد بالتأخير ستر اموره
ما ضره لو جاءني بجوابه فعلمت ما قد كان عند حضوره
ان كان خيراً نلت منه بشارة او غيره فكرت في تدبيره

قال وبعد ذلك حضرت . وقد انفطرت كبدي بما انتظرت . فلاح من وجهها عدم القبول. وخيبة المأمول . وقالت والله لقد تحيلت وتوسلت . فما ظفرت ولا توصلت . لم يوافق ابوها على زواجها .ولا سمحت نفسه باخراجها ولكن والدتها رثت لحالك . ووافقت على ذلك . فقلت لها لقد يئست من حياتي ودنت وفاتي . فساعديني قبل فراق الدنيا بنظرة واحدة .ولك ولامها التكرمة الزائدة . فليس لى غرض غير قبلة في مبسمها . واخرى في معصمها .

وبعد ذلك طاب الموت فاغتنمي اجري ولا تهملي امري أمت كمدا
وساعديني على حال بليت به وعجلي فلعلي لا اعيش غـدا

ثم تصعدت زفراتي . وتجددت حسراتي . وتزايد شهيقي . وغصصت بدمعي لا بريقي . فقالت اترضى بذلك النزر القليل . قلت نعم والله على ما نقول وكيل. فاستصحبت من الذهب ما ارضاها . وركبت سفينة النصح وقالت بسم الله مجراها ومرساها . وذهبت وقد دمعت عيناها . فغابت عني قليلا . ثم عادت فرأيت وجهها جميلا . وقالت لقد رثت لك الوالدة . وسمحت لك بنظرة واحدة . بعد ان قلت لها لا باس بنظرة العين . ورغبتها في اجر من يجمع بين المحبين. فأياك ان تنقض عهداً . او تتعدى حداً . وتقرر الميعاد يوم الجمعة وقت الصلاة . ووالدها على المنبر في مصلاه . فصمت وتصدقت . وانتظرت ذلك الوقت . الى ان دنا الميعاد . ودخل الوقت او كاد . فخرجت من داري. وقد صفت اكداري . وحسنت هيئتي . وسرحت لحيتي . واستعملت ما يناسب من الطيب . وقصدت دار الخطيب . فاجتزت بحجام عنده مرآة . ومقصات مستحسنات . فناولني المرآة حتى رأيت وجهي فيها فوجدت شعر شاربي قد طال. وتعين ان يخفف ويزال . فأمرته بقصه . وان يأخذ منه بمقصه . فامتثل امري. وقص ما طال من شعري . فسألته عن اسمه واصله . لعلي استدل بذلك على فعله. فقال اسمي قتور . واصلي من خيبر . فقلت اسم عتيت . واصل خبيث. فقصدت اعطاءه درهماً عن اجرته . فسبقتني يدي الى كيس الذهب لما طبع عليه الانسان من عجلته . ولما نظر اليه والى ما فيه من الذهب. طار عقله وذهب. فناولته منه ديناراً . لا كفي منه عاراً. فانكب على قدمي . وبالغ في الثناء على كرمي. وقال

مثلك من يخدمه الانسان . وهل جزاء الاحسان الا الاحسان.والله لقد اغنيتني من كرمك . ولا اعود اموت الا تحت قدمك . فاثنيت عليه بالخير .واسرعت عنه في السير. فاسرع حتى لقيني . ولازمني ولاصقني . وما تأخر عني ولا سبقني . فقلت له انقطع عني . ولا تتبعني . وما الذي تريد مني . فقال معاذ الله ان افارق من احسن الي . وتفضل بهذا الدينار علي. والله ما انا من اولاد الزنى . ولا من ابناء الخنا . هذا والعجوز مراقبة وصولى.ومنتظرة لدخولى . فاعترضني جمع من المساكين . وقالوا تصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين . فناولته ديناراً آخر وقلت صرفه وفرقه عليهم . وتوصل ايصال ذلك بيدك اليهم. فرماه الى الفقراء في الهواء . وقال اقتسموا هذا بينكم على السواء . ثم هرولت فادركني . ودخلت من الباب فاراد ان يمسكني . وقال الى اين ياسيداه . وقد دخل وقت الصلاه . فلم ارد عليه الجواب . بل ادخلت واغلقت دونه الباب . فما لبث ان طرق الباب . وقال ياسيدي فاتك الصواب . قد اقيمت الجمعة . والاقوام الى الصلاة مجتمعة. فقالت لى المراة دع غلامك يذهب . فقد تعدى وغلب . فقلت والله ما هو لى بغلام . ولا لى معه كلام. فاخرجي اليه .والعني والديه . فخرجت اليه . وانكرت عليه . فرمى عمامته وبكى. وقال الى الله المشتكى . سيدي في هذه الدار ادخلوه . وطمعوا في ماله فقتلوه . وزاد في الاستغاثة . واجتمع عليه الناس حلقتان او ثلاثة. ولم يزل يصرخ ويستغيث ويقول ألا منجد ألا مغيث . والعجوز راجفة . والبنت واجفة . والام خائفة . والطوائف واقفة.ازفت الازفة. ليس لها من دون الله كاشفة . وما زال يصيح ياسيداه . يامولاه. خرج الناس من الصلاة . فاتك الثواب . عدمت الصواب.

حصلت وراء الحجاب . ضرب بيني وبينك بسور له باب . فخرج الناس من
الجمعة . وعلى الباب طوائف مجتمعة . واتصل بالخطيب الخبر . فبادر الى داره
وحضر . فرأى الناس مجتمعين . وإلى الحجام مستمعين . فلما وقع نظره عليه .
ادناه اليه. وقال له ما الحديث . والى كم تصرخ وتستغيث . فقال ان سيدي
قد دخل الى هذه الدار . ومعه كيس فيه الف دينار . ثم لما ادخلوه . طمعوا في
ماله فقتلوه . وهو في هذه الدار . فادخل وعرفني الاخبار . قال الراوي:هذا
ونحن نسمع الكلام . ونتوقع الحمام . فوجدت في الدار بئراً فرميت نفسي فيها.
وامرت النساء يسترنها بما يخفيها . فدخل الخطيب الى نسائه.وعرفهم قول الحجام.
وفوّق اليهم سهام الملام . فحلفن له بما ارضاه . وقلن حاش لله . فخرج اليه
بغيظ شديد . وقلب دونه الحديد . وقال يا غلام . دع عنك هذا الكلام . فما
عندي من يتهم بكلامك . ولا من ترميه بسهامك . فصرخ باعلا صوته .
وقال قتلوه وليتني مت قبل موته . ولو كان حياً ما فاتته صلاة الجمعة . ولكان
حاضراً فيها وانا معه . واحزناه. واأسفاه. واسيداه. وامولاه . غروك فادخلوك.
وطمعوا في مالك فقتلوك . ائذن لى في الدخول . فانا اعرف ما اقول . فامره
الخطيب بالدخول الى داره . ومعه من الحاضرين من فضوله على كشف اخباره.
فدخل الدار في جمع كبير فاوقعته المقادير على فم البير . فقال سيدي في هذا
المكان. ولا بد من النزول فيه ولو كان ما كان . ثم نظر في نواحي البيت.
واستدعى باناء فيه زيت . وحل عمامته وبل طرفها . واوقدها لمكيدة عرفها .
وادلاها في ذلك البير . وادارها فأنارت أي تنوير . فرآني جالساً بمكاني. وقد
حل بي من الويل منه ما كفاني . فاستغاث كذب المماطل . وجاء الحق وزهق

الباطل . سيدي في هذا البير . والانسان جار تحت المقادير. فاخرجت من ذلك المكان . على اقبح حال واسوأ شان . فقال لى الخطيب ان اردت الخلاص فاصدق. فقلت ما دخلت الا لاسرق . فحملت على تلك الحال الى الوالى . فسجنني واخذ اموالى . فبقيت في الحبس سنة في عيش خشنة . ما رأيت فيها لذة سنة وعلمت ان من احسن لكل ردىء الاصل شقى كما شقيت . ولقي ما لقيت . وكان مما نظمته في حبسي. مخاطباً لنفسي .

تجنب ردي الاصل واحذره واجتهد — على طرده فالخير في شرف النفس
واياك ان تغتر منه بملمس — يلين وجنبه اجتنابك للرجس
فان الافاعي قاتل سمها لمن — تدانى اليها وهي لينة اللمس
ويكفيك في صدق الوصية ما جرى — علي وما لقيت من ذلك النحس
تقصدته بالخير كافى بضده — واوليته المعروف جازاه بالعكس
وكم ليلة قضيتها في عساكر — من البق والناموس في ذلك الحبس
اقاسي الاسى من ذلك المدبر الذي — رأى قصده نقلي الى ظلمة الرمس
وضيع اموالي وعرضي ومقصدي — ولاكن حمدت الله اذ سلمت نفسي

وكانت العادة جارية بعرض المحابيس على السلطان في كل شهر رمضان فاحضرت بعد سنة بين يديه وسألني عن الامر الذي حبست عليه فقلت لي قضية اذكرها بين يديك واذا انهيتها فالامر الى الله ثم اليك فادناني واستفهمني عن شأني فذكرت له الحكاية على الوجه الصحيح واوضحت له الحال فلم يحتج الى تصحيح فعجب من حالي وامر برد مالي وتبليغ امالي وامر الخطيب ان يزوجني من بنته المذكورة وقام بالصداق من عنده على احسن صورة واحضر

لذلك المدبر وسلمه الي وحكمني فيه عند وقوفه بين يدي فذهبت به الى داري وصفت بتلك المحبوبة اكداري فصلبته على الباب مرجوماً وابقيته سبع ليال وثمانية ايام حسوماً وسمعت هاتفاً يقول :

قضت نحبها نفس هذا اللعين   وفي صلبه نعمة مطلقه
فلا رحم الله تلك العظام   ولا برحت بلظى محرقه

وما مر به احد الا لعنه واستظرفه على الخشب واستحسنه . وانشدت :

نلت جبري بكسر قلبي وصبري   ورقيبي رأيته مشقوقا
رام نفعاً فضر من غير قصد   ومن البر ما يكون عقوقا

واقسمت لا قصصت شعر شاربي ولا استرسل الى ترائبي فهذا سبب طالها وقد رضيت بتطويلها ثم انشد :

ارى الاحسان عند الحر دينا   وعند النذل منقصة وذما
كما النيسان في الاصداف در   وفي بطن الافاعي صار سما ه

قلت وقوله كما النيسان الخ . زعموا(١) والله اعلم انه اذا كان اليوم الثامن عشر من النيسان لم تبق صدفة في قعور البحار المعروفة بالدرر واللؤلؤ الا صارت على وجه الماء وتفتحت بقدرة الله سبحانه حتى يصير وجه الماء ابيض كاللؤلؤ وتأتي سحابة بمطر عظيم ثم تتقشع وقد وقع في جوف كل صدفة منها ما قدره الله تعالى واختاره اما قطرة واحدة او اثنتان الى المائة او اكثر ثم

---

(١) المعروف في تكون الجوهر البحرية ان تلك الحيوانات ذات الغلاف الصدفي اذا فتحت افواهها تحت سجاف المياه ربما دخل غلافها نحو حبة رمل او حيوان ماءي او قطيعة من نبات فتأخذ هي تغطي تلك الاجسام الغريبة بمادة لامعة تفرزها حتى لا يحتك بها جلدها الحيوي فيجتمع ما تفرزه طبقة فوق طبقة حتى يصير كرة ملساء وهذا هو اللؤلؤ

تنطبق الاصداف على ما فيها وتلتحم وترسب الى قعر البحر وتلتصق به وينبت لها عروق كالشجر حتى لا يحركها الماء فيفسد ما في بطنها وتلتحم الصدفتان التحاماً قوياً حتى لا يدخل الماء الى الدر فيغير لونه . وافضل الدر ما وقع في صدفة نقطة واحدة ثم الاثنتان وهكذا وكلما قل العدد كان اكبر جرماً واعظم قيمة والدرة اليتيمة التي لا قيمة لها هي المتكونة من قطرة واحدة واما الافاعي فانها تفتح فاهها الى ماء النيسان ايضاً فيتكون في بطنها سماً والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا . ه

ومن انيق شعره قوله في مليح مولع بالعود

من عذيري في مليح ظهرا ... وعلى الغزلان طراً ظهرا(١)
باسم من ثغره عن درر ... بالثغر قد ارانا الدررا
قده الاغصان ينسي لينه ... غير ان القلب ينسي الحجرا
مولع بالعود يرمي اسهماً ... للمعنّى اذ يجس الوترا
هل رأت عيناك قل لي مثله ... شادن تسمع منه وترا(٢)
سحراً هبت لنا نسمته ... فغدا ينشد هبّت سحرا
سحرت عقلي منه مقلة ... وعجيب نجح من قد سحرا
صال ليثاً وتهادى ملكاً ... لان غصناً وتبدى قمرا
لم يزل يقمر عقلي بالبها ... ليته يوماً لجسمي قمرا
اوقف الطرف على عارضه ... لترى موسى به والخضرا
في ربيع القلب مني شغف ... وجمادى قلبه قد صفرا

---

(١) من الظهور بمعنى الغلبة (٢) فيه تورية حسنة بالرؤية

قال لي العاذل تبغي غيره فعسى تأمن فيه الغيرا
قلت ابغيه ومن اهوى معاً ذاك ان غاب وذا ان حضرا
ايها المنكر حبي حسداً خلني قد جئت شيئاً نكرا
فاتر اعينه نائمة واراها علمتنا السهرا
لست ادري أدرى وجدي به فلذا انشد فيه هل درى(١)
نسخة الحسن ترى في وجهه جل من طرز فيها الطررا
لو رأته الحور في اثوابه ورأت أعينه والحورا
وهو يزهو ضاحكاً مستبشراً قلن حاشى الله ما ذا بشرا
جال في وجنته ماء الحيا وهي مثل النار ترمي شررا
اثبت الوجد لقلبي حبه فنفى عن مقلتي طيب الكرا
وغدا يجري دموعي بعده لا تسل عن ادمعي عما جرى
لي فؤاد في جفاه مبتدا ليت عندي من لقاه خبرا
قال لي يوماً وقد ماطلني من يكن يصبر يجني الثمرا
قلت يا بدراً تسامى في السما فيك ذقت الصبر مراً صبرا
ان تكن تمنعني من زورة خلني اكثر فيك النظرا

﴿ الافراني ﴾

ابوعبدالله محمد الصغير بن الحاج الافراني المراكشي . كان علامة مشاركاً محدثاً فقيهاً اديباً مؤرخاً خطيباً مصقعاً . درس على ابي العباس احمد بن علي

---

(١) فيه اكتفاء والمراد قول ابن سهل :
هل دري ظبي الحمى ان قد حمى قلب صب حله عن مكنس. الخ

المواسي المراكشي وابي عبدالله محمد بن سيدي عبدالرحمن الفاسي وغيرهما . وخلف تآليف عدة منها المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل . وهو في غاية الاجادة ونزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي وهو في تاريخ الدولة السعدية وصدر من الدولة العلوية الى ايام المولى اسماعيل قدس الله روحه اشبع فيه وامتع وصفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر والمغرب في اخبار المغرب وغير ذلك وكانت وفاته في حدود الاربعين ومائة والف والافراني نسبة الى افران قبيلة سوسية

من لطائفه

قوله في وصف توشيح ابن سهل الاتي:

ريحانة كل من له الى الادب انتساب . وذخيرة اهل الجزيرة(١) التي هي من اجل الذخائر وافضل الاكتساب . فقد اجمعت كلمة ارباب البلاغة . واتفق من نهض لتصفية ابريز المعاني من الصاغة(٢) . على انه عنقاء مغرب . لا يؤتي بسورة من مثله في مشرق ولا مغرب .

وشرّق حتى ليس للشمس مشرق وغرّب حتى ليس للغرب مغرب

فلو تصدى لمعارضته النابغة . لاقر باعجاز محاسنه السابغة . او ألحد في آياته شاعر بني اسد . لشد لسانه بحبل من مسد(٣). ولو بصر به حبيب بن اوس. لم يمكنه للمناضلة انضاء قوس . او المتنبي كانت معجزته غير مقرونة بالتحدي . أو ابو العلاء اقر على نفسه فيما لم تستطعه الاوائل(٤) بالتعدي . او ابن بسام.

---

(١) يعني جزيرة الاندلس (٢) من لنبيان والمراد بالصاغة ايمة النقد (٣)ما مسد اي فتل من الحبال (٤) يعني في قوله :

واني وان كنتَ الاخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الاوائلُ

لما سام في مضمار المساجلة سل حسام . فياله من توشيح رد عيون اعيان هذه الصناعة من الحياء مطرقة . تالياً آياته على من قاسها بامرىء القيس فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة . وفيه وفيه . مما لا اعده ولا استوفيه .

ومن فوائده في النزهة

ذكر الخبر عن فتح المنصور بلاد السودان
وكيفية ذلك وسببه

لما استولى المنصور على بلاد توات وتيكرارين واعمالها تاقت همته لبلاد السودان لكون تلك البلاد مجاورة لبلاد السودان ولما اجمع امره على ذلك رأى ان يبدأ اولا بمراسلة ملوك السودان ويدعوهم الى الطاعة فان اذعنوا كان ذلك هو المطلوب وكفى الله المؤمنين القتال وان امتنعوا يحكم الله بينه وبينهم فكتب الى سلطانهم سكية في شأن معدن الملاحة الكائن بتغازى ومنه يجلب لسائر بلاد السودان ويقول له ان على كل حمل مثقالا من الذهب عوناً لجيوش الاسلام فلما بلغت رسالته لسكية اظهر الامتناع من ذلك وابى من مساعفته وكان المنصور لم يكاتبه في ذلك حتى استفتى علماء ايالته واشياخ الفتوى بها فافتوه بما هو المنصوص للعلماء رضوان الله عليهم من ان النظر في المعادن مطلقاً انما هو للامام لا لغيره وانه ليس لاحد ان يتصرف في ذلك الا عن اذن السلطان او نائبه وكانت الرسالة المتوجهة لسكية من انشاء الامام العلامة الاشهر مفتي الحضرة المراكشية ابي ملك عبدالواحد بن احمد الشريف السجلماسي لان كاتب الانشاء ابا فارس عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالى كان مريضاً في الوقت وبقي عليه الصدر فلم يدر كيف يقول في مخاطبة سكينة ولا كيف

يمدحه وهل يتوغل في المدح او يتوسط فكتب ابوملك حين تحير في ذلك للمنصور بما نصه: ايدكم الله ونصر اعلامكم ان مخاطبة هذا الرجل الذي هو في مرتبة ممالك الحضرة المولوية امر تلعثم فيه لساني ووقف عن خوض لجته بناني لان النأي عن هذه المحجة قد مد بيني وبينها حجاباً واغلق في وجهي باباً فلا آمن ان اقتحم من الوقوع في تفريط او افراط وخير الامور لو علمتها الاوساط لكن لا سبيل لمعرفته الا بعد علم الطرفين والعبد محجوب عن ذلك دون مين فتركت ايدكم الله الصدر لمن هو به مني اقعد وتحاميت عقده لمن هو له اعقد ابي فارس عبدالعزيز الذي افاضت عليه ابوابكم واضاءت له سبل هذا المخبر أقماركم والاقرع بهذا النفي لسان الحال بما يلقيه لسمعي من قوله :

يا باري القوس برياً ليس يحسنه   لا تظلم القوس اعط القوس باريها

والله ولي التوفيق

(ذكر الخبر عن آل سكية ملوك السودان واوليتهم)

قال الامام التكروري في كتابه نصيحة اهل السودان : آل سكية اصلهم من صنهاجة وملكوا كثيراً من بلاد السودان واول ملوكهم الحاج محمد سكية بضم السين وسكون الكاف بعدها ياء مفتوحة ثم تاء وكان الحاج محمد المذكور رحل في اواخر المائة التاسعة الى مصر والحجاز بقصد بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فلقي بمصر الخليفة العباسي فطلب منه ان يأذن له في امارة بلاد السودان وان يكون خليفة له هناك ففوض له الخليفة العباسي النظر في امور تلك الاقاليم وجعله نائباً عنه على من وراءه من المسلمين فئاض الحاج الى بلده وقد بنى رئاسته على القواعد الشرعية وجرى على منهاج اهل السنة

ولقي ايضاً بمصر الامام شيخ الاسلام حافظ الحفاظ جلال الدين السيوطي فاخذ عنه عقائده وتعلم منه الحلال والحرام وسمع منه جملا من آداب الشريعة واحكامها وانتفع بوصاياه ومواعظه فرجع الى السودان فنصر السنة وأحيا طريق العدل وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر امور السيرة العربية وعدل عن سيرة العجم فصلحت الاحوال وبريء جسد الرشاد هنالك من الداء العضال وكان الحاج محمد المذكور سهل الحجاب رقيق القلب خافض الجناح شديد التعظيم لايمة الدين محباً للعلماء مكرماً لهم غاية الاكرام يفسح لهم في المجلس ويوسع لهم في العطاء ولم يكن في ايالته كلها بؤس ولا باس بل كانت رعيته في خصب عيش وامن سرب وفرض عليهم شيئاً خفيفاً من المغارم وظفه عليهم وزعم انه ما فعل ذلك حتى استشار فيه الامام السيوطي شيخه المذكور ولم يزل على سيرته الموصوفة الى ان اخترمته المنية فقام بالامر بعده ولده داوود فاحسن السيرة ما شاء وتبع طريقة ابيه الى ان مضى لسبيله ولحق بربه فقام بالامر بعده ولده اسحاق فعدل عن بعض سيرة ابيه وجده ولم يكن في اموره واقفاً عند حده وعليه انقرض ملك آل سكية وكان تحت طاعتهم من بلاد السودان مسيرة ستة اشهر والملك لله وحده وتصاريف الامور سبحانه اليه

﴿ المساري ﴾

العلامة الاديب الشاعر المفلق(١) العربي بن عبدالله بن ابي يحيى المساري نسبة الى بني مسارة قبيلة معروفة من قبائل الجبل بقرب وازان. كان مقلداً بخطة القضاء في نواحي مقامه ووطنه وهو من تلامذة شيخ الشيوخ سيدي التاودي

---

(١) وهو في الاصل من افلق اذا اتى بالفلق وهو الداهية

ابن سودة وكان معاصراً لحافظ المذهب الشيخ سيدي محمد الرهوني ووقعت له معه قضايا ولطائف انظرها في حواشي الرهوني لدا قول خليل لا ككلب صيد وللعلامة الاديب ابي محمد سيدي عبدالقادر بن شقرون الفاسي وكان سوق الادب ينفق(١) بينهما وللمترجم له النظم المسمى سراج طلاب العلوم في آداب طلب العلم والتعلم والتعليم وما يتبع ذلك مما لا يتم سلوك طلب العلم على الوجه الاكمل الا به وهو نظم عريق في النفاسة ورقة التعبير يشف عن حسن ذوق ناظمه وما كان لديه من المعارف الجمة . قال في الابتهاج بعد ان ساق نبذة من بنات فكره من نظمه ونثره والظن به رحمه الله ان له من الاشعار ما يستحق ان يجمع في ديوان لان شعره سهل المآخذ عذب المورد حليف البيان وذلك دليل الكثرة وعنوان الشهرة غير ان سكنى البادية من اسباب ضياع العلم وخمود الفهم كما قال الامام مالك للامام الشافعي رضي الله عنهما من وصيته له لما اراد ان يرحل بعد الاخذ عنه : لا تسكن البادية فيضيع علمك ولو كان الناظم رحمه الله من سواكني الحواضر لجليت عرائس فكره في غرف الخواطر ولطرزت صحف التاريخ بديباج ذكره وقرطت الاذان بلؤلؤ شعره ولم اقف له على تاريخ ميلاد ولا ارتحال لدار المعاد بيد ان التواريخ المرقعة عقب ما وقفت عليه من مراسلاته تدل على انه كان في ايام السلطان ابي الربيع مولانا سليمان قدس الله روحه في اعلى جناته وقد وجدت عقب نسخة من نسخ هذه المنظومة مانصه قال مؤلفه : وكان الفراغ منه ضحوة يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الثانية عام خمسة وثمانين ومائة والف . ه

---

(١) يروج

من وشى بنانه ما كتب به لبعض اخوانه

الى الهمام الذي القت اليه المعالى زمامها وصيرته الفصحاء امامها وأمامها(١) الذي احيا رسم الادب بعد اندثاره ونظم عقد جواهره بعد انتثاره البحر الزاخر الذي ارانا سبق الاواخر(٢) الجامع بين جزالة المبنى ورشاقة الالفاظ والمعنى حتى حير العقول ببديع سحره واعجز الفحول بباهر نظمه ونثره ونزه الالباب في الالفاظ المهذبة والمعاني الدقيقة المستعذبة الذي ببدائع وشى طرازه تتزخرف المحافل(٣) وبمديحه في الافاق سارت الرفاق والقوافل الذي جر ذيول النسيان على كل ذي فصاحة وبيان فلو شافه ابن مقلة لغرقت منه بالدمع المقلة او عاصر ابن بسام لما فرح ثغره بابتسام او لو هبت نسمات فكره على ابن الخطيب لاستحقر دونها نفح كل طيب(٤) او لو جاور جريراً والفرزدق لقالا والله انه لارق واحذق :

رقت شمائله وراقت واغتدت ... في اللطف ألطف من نسيم في سحر .
كل له اضحى مقراً مذعناً ... فالسبق في الغايات فهو كمن سحر
اخلاقه بالمعنيين(٥) استخدمت ... بالرغم كل سميذع(٦) شهم أغر
ان رام نثراً او نظاماً كفه ... خلت الجواهر قد نشرن على زهر
واذا تحدث خلت عقد لآلىء ... من ثغره البسام اشرق وانتثر
لا يبتغى عنه فراقاً حازم ... ان التلاقي معه غنم معتبر
لولا اشتغالى بالقضا وصروفه ... ما كان لى عن باب فضله من مفر

---

(١) الاول بمعنى المقدم المقتدى به والثاني بمعنى قدام (٢) يعني للاوائل (٣) اي ان المحافل تحلى بانشاد اشعاره (٤) تورية بتأليف المقري المسمى بذلك (٥) بمعنى جمع خلق بضمتين وبمعنى جمع خلق بفتح فسكون (٦) السيد الكريم الشريف السخي

لا تعجبوا مني ومن نسيانه ولتعذروني فالقضا يعمي البصر

ذلك السعد المطول والعضد الذي عليه في البلاغة المعول والكشاف الذي باسرار بلاغته اغنى عن المصباح والمفتاح الذي في بيان فنونه لم يحتج الى تلخيص ولا ايضاح(١) الاديب الذي دوخ ارباب المعقول والمنقول وقال حتى لم يدع لقائل من مقول ذو الذهن الثاقب والرأي السديد الصائب والفكر المستنير الوقاد الذي كل عويص له طائع منقاد من لا يجارى في مضمار ولا يدانى في اظهار ولا اضمار الفقيه الناسك الذي هو بعرى الهداية آخذ وماسك يعسوب(٢) الانوار وكنز اللطائف وكعبة المعارف التي انتفع باستلامها كم من مشتاق طائف ذو المحبة الضافية والخلة الصافية والوداد الثابت القواعد والجمال الذي يستميل الكواعب(٣) والقواعد(٤) الذي ببديع مدحه تحلى قرطاسي المقرون بانفاسي ابو الافراح سيدي عبدالواحد الفاسي قرب الله لى مزارك وجعلني غير بعيد ممن زارك وسلام عليكم ما انهملت دموع مشتاق وحن للزيارة قلبه وتاق

من نظمه سراج طلاب العلوم

ان كنت صاح طالباً للعلم فاصبر كما صبر اولوا العزم
فاصبر على الجوع وحر البرد في وقته ان لم تكن ذا برد(٥)
ولتطلب العلم ولو بالصين بذا اتى الحديث عن يقين(٦)

---

(١) توجيه باسماء كتب البلاغة (٢) اليعسوب الرئيس الكبير وغرة في وجه الفرس (٣) النواهد (٤) اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (٥) بضم الباء كساء مخطط (٦) يشير لحديث اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم . قال البيهقي هذا الحديث مشهور واسانيده ضعيفة

وخيره ما كان في حال الصغر فهو كما قيل كنقش في الحجر(١)
واعن بحفظ الامهات جملة ولتهجر المنام واصرم حبله
لا تجعل التسويف يوماً مسكنك وانتهز الفرص مهما امكنك
والعزلة الزمها وكسر الجموع تحز من العلم الاصول والفروع
وكن به محتسباً لله لا لتفاخر ولا تباهي
واعمل بما علمت فهي الحكمه واشكر اذا اعطيت تلك النعمه
فالعلم ان لم تكن عاملا به فهو عليك لا اليك انتبه
ولتتخذ خلا لبيباً منصفا بين العباد بالتقى قد وصفا
لايعرف الضغن(٢) ولا يعزى له قد صدقت اقواله افعاله
وكن به في كل حال ذا اقتدا وما اخالك تراه ابدا
والجا الى الله بكل مقصد تجد نواله بكل مرصد

﴿ ابن الونان صاحب الشمقمقية ﴾

هو العلامة الواعية الاديب البليغ

ابو العباس احمد بن محمد بن محمد بن الونان

احق من حلّي بالاستاذ والشـ ـيخ الفقيه العالم المحقق
وبالمحدث الشهير والاد يب والمجيد والبليغ المفلق
واعلم الناس بدون مرية سيان من في مغرب ومشرق
بالشعر والتاريخ والامثال والـ أنساب والاثار سل تصدق

(١) القائل لذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم في حديث اخرجه الطبراني في الكبير بسند ضعيف مرفوعاً بلفظ مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش في الحجر ومثل الذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء
(٢) الحقد

الحميري النسب التواتي الاصل الفاسي الدار والمولد والمنشأ كان اسلافه بوطن توات ثم انتقلوا الى فاس واستوطنوها وكان يدعون اولاد ابن الونان لا يعرفون الا بذلك حتى كنى امير المؤمنين سيدي محمد بن عبدالله فخرالدولة العلوية والده بابي الشمقمق فعلقت به هذه الكنية وكان لا يدعى بعد ذلك الا بها ولما نظم ولده ارجوزته الشمقمقية في مدحه وقصده بها تعذر عليه الوصول اليه فتحين خروجه في بعض الايام واعترضه في موكبه وصعد نشزاً من الارض ونادى باعلى صوته :

ياسيدي سبط النبي ابن الشمقمق ابي

فعرفه عند ذلك وامر باحضاره بعد بلوغه الى منزله وانشده الارجوزة المذكورة فوقعت منه الموقع الحسن فاجزل صلته ورفع منزلته

وارجوزته المشار اليها هي الشاهد الناطق بغزارة علمه وعلو كعبه وتفننه وتدفق قريحته وقد عرض فيها انموذج علومه من تغزل وحماسة وافتخار ومدح وهجاء وحكم وامثال وغير ذلك من الفنون الشعرية الى ما اودعها من عيون إخبار العرب وايامها ووقائعها وامثالها بحيث ان الاحاطة بمغزاها تخول من فنون الادب حظاً وافراً .

نبذة منها

قال في مدح السلطان المذكور

له محيا ضاء في اوج(١) الدجا سناه مثل القمر المتسق
وراحة تغار من سيولها سيول ودق وركام(٢) مطبق

---

(١) ارتفاعه وصعوده (٢) السحاب المتراكم

فاق الرشيد وابنه بحلمه وعلمه ورأيه الموفق
وساد كعباً وابن سعدى وابن جد عان وحاتماً(١) ببذل الورق
ولم يدع معنى لمعن(٢) في الندى ولم يكن كمثله في الخلق
مذ كان طفلا والسماح دأبه وغير مأخذ الثنا لم يعشق
نشأ في حجر الخلافة ومذ شب فتى بغيرها لم يعلق
فبايعته الناس طراً دفعة لم يك فيها احد بالاسبق
واعطيت قوس العلا من قد برى اعادها رعاية للاليق
فصار فيء العدل في زمانه منتشراً مثل انتشار الشرق(٣)
وشاد ركن الدين بالسيف وقد حاز بتقواه رضى الموفق
وقد رقي في ملكه معارجاً لم يك غيره اليها يرتقي
ورد ارواح المكارم الى اجسادها بعد ذهاب الرمق(٤)
والسعد قد القى عصا تسياره بقصره وخصه بمعشق

﴿ سيدي حمدون بن الحاج ﴾

ابو الفيض سيدي حمدون بن عبدالرحمان بن حمدون بن عبدالرحمان الشهير بابن الحاج المرداسي نسباً ولد ونشأ بفاس وتلقى من اكابر علمائها كالشيخ الطيب بن كيران والبناني والتاودي وسيدي عبدالكريم اليازغي وسيدي عبد القادر بن شقرون وغيرهم واجاز له الشيخ مرتضى وغيره وكان له الشأو الذي لا يلحق والشأو الذي لا يدرك في العلوم . على العموم . فما شئت من معقول ومنقول. وفقه واصول .وحديث وتفسير .وقلم بارع وشعر غزير . ولى منصب

(١) الكرماء المضروب بهم المثل (٢) ابن زائدة الجواد المشهور (٣) الشمس (٤) بقية الروح

الحسبة بفاس فبالغ فيه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان أهم الامور لديه الصلاة فكان يقيم الناس من اشغالهم لاداء فرضها . وولي ايضاً قيادة الغرب(١) فأحيا به السنة واخذ على كاهله لحمل اهله على اداء الصلاة التي هي عماد الدين وقرر الزكوات الشرعية.وهدم المغارم المخزنية. ثم عزل نفسه لنشر العلم والتدريس.واغتنام الوقت النفيس .ومن مصنفاته نظم مقدمة ابن حجر وشرحها المسمى نفحة المسك الداري لقارىء صحيح البخاري وحاشية على ابي السعود ومتبوعه البيضاوي وعلى مختصر السعد وميمية في السيرة في نحو اربعة آلاف بيت وشرحها في خمس جلود وارجوزة في المنطق واخرى في الكلام ومقصورة في علمي العروض والقوافي ونظم الحكم لابن عطاءالله وله نظم في مدح السلطان ابي الربيع المولى سليمان قال فيه انه لم ينسج ناسج على منواله.ولم يحذ احد حذو نعاله . محتوياً على غرائب مخترعة. مشتملا على عجائب متنوعة .يروق كل من اعطي فهما .ومن يقل للمسك اين الشذى كذبه في الحال من شما . تكشف ثغور الفاظه درا. تود الغواني لو تقلدها النحرا. اقر بحسنه كل اديب .وخر لزينه كل لبيب. ه وحلاه بشرح هو مثال النفاسة كشف عن وجه خرائده اللثام ووضع طرف لطائفه على طرف الثمام

نبذة من نظمه المذكور

سرى طيف من اهوى فأيقظني نشرا　　وأرّقني برق بدا لامعاً غورا
وهيجني صوت الحمام بسرحة　　يغرد في دوح مهيجا الذكرى
اطار لقلبي طائراً كان ساكناً　　بوكره حتى صار لا يعرف الوكرا

(١) ولاية من ولايات المغرب

ولو كان يصغى لى شكوت اليه ما ... الاقي من الشوق الذي شتت الفكرا
نشرت الهوى من بعد طي تعللاً ... تجرعته فنين طيه والنشرا
وكم من يعز أن يواجه لائمي ... فواريت(١) في خزيٍ له ظنه شكرا
اقول له يجزيك ربي أتيت لي ... سروراً لقيت من سرور لك الاجرا(٢)
اريه مليحاً من قبيح اذا أتى ... يريني قبيحاً من مليح وما غرّا
وبي غادة ريحانة لم يرح فتىً ... رأى حسنها الا غدا ملكها اسرا

يقول فيها :

تشير بقرطيها الى حسن جيدها ... وسالفها الذي على الموطىء انجرا
كأنهما من شدة الخفقان ير ... قصان لنغمات الوشاح وما قرا
عجبت لرقص منهما متتابع ... وخلخالها قد خلت ان به وقرا(٣)
اماطت براقعاً(٤) فطلت عقارب ... باصداغها ما من لسعنه ان يبرا
جلت فلقا(٥) لما اماطت بكفها ... براقع قد غطت بحمرتها فجرا
به غرست في قلب من كان شاهدا ... نخيل غرام باسقات ارت تمرا
وقد اولجت اذني كلاماً منضدا ... تنظم منه ما تقلده النحرا
لذلك شعري لم يزل متناسقا ... نضيدا وعيني لم تزل تلفظ الدرا
تحن لمبكاءي فتسقط دمعها ... على خدها طلا على ورد انورا
تثنت بقد يا أراكـ (٦) اراكـ لا ... تجانسه والبان ما بان مغترا
وما من خلاف للخلاف(٧) وانما ... تهز العوالي في ملاعبها ذعرا

---

(١) خادعت (٢) تصحيفه : يخزيك ربي اتيت لي شروراً لقيت من شرور لك الاخزا
(٣) كناية عن امتلاء الساقين (٤) جمع برقع (٥) الصبح (٦) الشجر المعروف (٧) شجر الصفصاف

يقول فيه :

وقيست ببلقيس(١) فازرت واذكرت فؤادي سليمانا وملكا له ازرا
سليل ملوك الغرب نجل محمد محاسنه تتلى شمائله تقرا
له نسب كالدر في سلكه انجلى ورصعه من زين افعاله شذرا
له حسب كالزهر في غصنه اعتلى وفتحه من حسن راحته الغرا
خليلي ان لم تعرفا الطلعة التي اذا ما تجلت تخجل الشمس والبدرا
ولم تنظرا من يبسط الكف بسطة يفوق ابن يحيى(٢) فيه والبحر والقطرا
ولم تريا طود المعالى باسرها اباً لمعاد(٣) لم تصيبا به وعرا
ولم تشهدا ليث الوغا متشبثاً يحاكي اخا الخنساء لم يفقد الصبرا
اذا ما بدت ألوية دار مالك(٤) باندلس او مغرب نشرت نشرا
ابا هرم(٥) في فتكه بالعدا أو ابـ ـن ذي يزن(٦) في عزمه ان اتى امرا
بديع معان لا بيان يطيقها رفيع معال قد علا الزهر والشعرا
وركنا لجود منه تستنتجا الغنا وبيتا لمجد منه تستخرجا الشعرا
سلاني خبيراً بالذي له في الورى يرى من شفوف ملء الارض نما قدرا
كريم بما قد كان في كفه اذا مددت له يمناك مد لك اليسرا
ويصفد شيطان افتقارك صفده ولست ترى من بعد اصفاده ضرا
بخاتم اخلاق له طبع الورى على حبه فاستوطن القلب والصدرا

(١) قيست ببلقيس في حسنها وبهائها فازرت بها واذكرت سليمان وملكه المزوي بملك غيره
(٢) جعفر البرمكي واخباره في الجود مشتهرة اي اشتهار كأنها علم في رأسه نار (٣) عبارة عن جبل
(٤) دار مالك بالاندلس تسمى بالحمراء ودار مالك بالمغرب تسمى بالبيضاء فبين حمرآء الذي هو اسم ملك الاندلس وحمرآء الذي هو صفة الالوية جناس لم يصرح بشيء من ركنيه وبين بيضاء الذي هو صفة الالوية جناس لم يصرح فيه بشيء من ركنيه ايضاً (٥) عبارة عن سنان (٦) عبارة عن سيف

﴿ السلطان ابو الربيع المولى سليمان بن محمد بن عبدالله ﴾
ابن اسماعيل الحسني العلوي السجلماسي

نشأته —— نشأ بسجلماسة على ديانة وعفاف. مصوناً صون الجواهر بالاصداف . عاكفاً على تحصيل العلم واقتناء نفائسه الثمينة . متحلياً بزينة العمل ويالها من زينة . وكان ابوه يرى له ذلك ويقدر له قدره فكان يشيد ذكره في المحافل وينوه به في المواقف ويثيبه عليه بالعطايا الوافرة والذخائر النفيسة والاصول المغلة ويبعث اليه باعيان العلماء والادباء ليكتسب من معارفهم ويقتبس من مشكاة انوارهم .

بيعتـه —— كانت عام ١٢٠٦ . واول من بايعه اهل فاس لما اتصل بهم خبر موت اخيه المولى اليزيد واستتب له الامر واتفقت كلمة المغرب عليه بعد ان بايع اهل الهبط وجبال غمارة اخاه المولى مسلمة واقام اهل مراكش والحوز على بيعته اخيه المولى هشام الذي كانوا قد بايعوه من قبل

مراسلة امير تونس له —— في ١٢١٨ . اوفد اليه امير تونس حمودة باشا ابن علي باي وفداً يرأسه علامة القطر الافريقي ابواسحاق سيدي ابراهيم بن عبدالقادر الرياحي التونسي ومعه هدية وكتاب يلتمس منه الميرة لحدوث المسغبة في البلاد التونسية فاهتز فاس لمقدمه واجلّه السلطان وجمعه مع فحول العلماء فيهم الشيخ الطيب بن كيران وراج بينهم من المباحث العلمية ما ابان عن فضله وغزارة علمه وامده بمطلبه من الميرة وبهدية جليلة .

سيرته —— كان رحمه الله متين الدين زاهداً عادلا حليماً يحتمل العظائم ويتجلد عند حلول النوائب سياسياً بعيد الغور . قال في البستان : ولا يعرف

مقدار هذا السلطان الا من تغرب عن الاوطان وحمل عصا التسيار ورمت به في الاقطار الاسفار وشاهد سيرة الملوك في العباد وما عمت به البلوى في سائر البلاد ولا يتحقق اهل المغرب بعدله الا بعد مغيبه وفقده

المرء ما دام حياً يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

ومن عجيب سيرته انه كان يلزم العمال رد ما يغتصبونه من الرعايا على وجه الظلم من غير اقامة بينة عليهم على ما جرى به عمل الفقهاء من قلب الحكم في الدعوى على الظلمة واهل الجور حسبما ذكره الونشريسي وغيره .

المغرب في ايامه — كان رحمه الله حسن السيرة والسريرة ميمون النقيبة قد القى الله محبته في القلوب واطلق الالسنة بالثناء عليه وحصل في اواسط دولته من الخصب وابتهاج الزمن وانخفاض الاسعار وتيسر نيل الاوطار ما بقيت الالسن تلهج به حتى الان لولا ما كدر صفوها اخيراً من هيجان البربر وما جر ذلك من القلاقل التي ما برح يكابد معالجتها الى ان لبى داعي ربه .

غزارة علمه — قال في الاستقصاء : واما جمعه لاشتات العلوم فلقد كان وارثاً من ورثة الانبياء حاملا للواء الشريعة جامعاً مانعاً اذا بوحث في الاخبار كان كجامع سفيان. او في الاشعار فكنابغة ذبيان . او في الفطنة والفراسة فكاياس . او في النجدة والرأي فكالمهلب . واذا خاض في السنة والكتاب . ابدى ملكة مالك وابن شهاب . ولو تصدى في الفقه للفتيا والتدريس.لم يشك سامعه انه ابن القاسم او ابن ادريس .واذا تكلم في علوم القرآن انهل بما يغمر مورد الظمئان .

مشيخته —— اخذ بسجلماسة عن سيدي عبدالقادر بن شقرون وسيدي محمد بن طاهر الهواري وابي عبدالله محمد الطرنباطي وسيدي حمدون بن الحاج وغيرهم ممن كان والده يوجهه اليه ولما ارتحل الى فاس اخذ بها عن سيدي التاودي ابن سودة واعتمد في علوم البلاغة والمنطق والعربية والتصريف على سيدي عبدالقادر بن شقرون والشيخ الطيب بن كيران

من مصنفاته —— رسالة في اباحة استعمال البخور في نهار رمضان الم فيها بعدة احاديث ونصوص فقهية ورسالة تكلم فيها عن حال متفقرة الوقت وحذر فيها رحمه الله من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة وبين فيها بعض آداب زيارة الاولياء وحذر من تغالي العوام في ذلك واغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين جزاه الله خيراً . ومن كلامه فيها ما نصه : من الغلو البعيد ابتهال اهل مراكش بهذه الكلمة سبعة رجال فهل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم الى ان قال فعلينا ان نقتدي بسبعة رجال ولا نتخذهم آلهة لئلا يؤول الحال فيهم الى ما آل اليه في يغوث ويعوق ونسرا الى آخر كلامه

نبذة مما مدح به من القصائد الشعرية

من ذلك تلك القصيدة الانيقة قصيدة الشيخ ابي الفيض سيدي حمدون ابن الحاج المار ذكر نبذة منها في ترجمته . ومن اعلى ذلك واحلاه قصيدة رائية لابي اسحاق الرياحي انشدها بين يديه لما وفد عليه وهي من غرر اشعاره دونك مطلعها وبعض ابيات منها :

ان عز من خير الانام مزار　　فلنا بزورة نجله استبشار
او ليس نور المصطفى بجبينه　　كالشمس يظهر نورها الاقمار

فاشف الغليل بقربه فلطالما   شط المزار وعاقت الاقدار
واحفظ جفونك من سناه فانه   ببريقه تتخطف الابصار
واذا انامله اللطاف لثمتها   فحذار من غرق فهن بحار
وافخر على كل الملوك بلثمها   ما بعده للمستعز فخار

منها :

هذا الخليفة وابن اكرم مرسل   وسليل من فخرت به الاعصار
وخلاصة الاشراف والخلفاء من   بيت البتول ومن حواه ازار
واعز وارث ملك اسماعيل من   بطل شذا اخباره معطار
واجل سلطان واكرم وارث   شرفت بملك يمينه الاحرار
واحق من تحت السماء بان يرى   ملك البسيطة والورى انصار
لكن اذا كل القلوب تحبه   فلغيره الاجسام وهي قفار
هذا سليمان الرضي ابن محمد   من اشرقت بجبينه الانوار
هذا الذي رد الخلافة غضة   وسما به للمسلمين منار
واعز دين الله فهو بشكره   في ايكها تترنم الاطيار
وحمى حماه بفضله وبنصله   وهو الذي يحمى له ذمار
وهو الذي يسعى اليه اذا دجى   ليل الخطوب وساءت الافكار
كمجيئنا نسعى اليه وقد سطا   جدب وعم جميعنا اضرار
علماً بانا ان رأينا وجهه   زال العنا وتزحزح الاعسار

ومنها :

تهوى المشارق ان تكون مغاربا   ليعمها في الملتجين جوار

وتنال من عز الشريف كما رأت اذ كان فيها للخلافة دار
رد الزمان لصدره فكأنما الـ ـفاروق بين ظهورنا امار
العدل يبسط والنفوس سوامح والدين يظهر والعلوم تدار
والناس في رغد الحياة بجنة تجرى لهم من تحتها الانهار

وفاته — توفي ثالث عشر ربيع الاول وهو الثاني من عيد المولد الكريم سنة ١٢٣٨ ومات رحمه الله وهو ثابت الذهن صحيح الميز على غاية من اليقين والفرح بلقاء ربه ودفن بضريح جده المولى علي الشريف بباب ايلان من مراكش وقد رثاه جماعة من ادباء العصر منهم الفقيه الاديب الكاتب البليغ محمد بن ادريس الفاسي وستأتي مرثيته

من لطائفه ونفثات اقلامه

وصيته المشهورة ونصها

الحمد لله لما رأيت ما وقع من الالحاد في الدين واستيلاء الفسقة والجهلة على امر المسلمين وقد قال عمر: ان تابعناهم تابعناهم على ما لا نرضى والا وقع الخلاف واولئك عدول وهؤلاء كلهم فساق. وقال عمر: فبايعنا ابا بكر فكان والله خير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق ابي بكر يأبى الله ويدفع المسلمون ورشحه بتقديمه للصلاة اذ هي عماد الدين. وقال ابو بكر للمسلمين بايعوا عمر واخذ له البيعة في حياته فلزمت وصحت بعد موته. وقال عمر: هؤلاء الستة(١) افضل المسلمين. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم العبد صهيب(٢).

(١) يعني الذين جعل امر الخلافة شورى بينهم وهم عثمان وعلى وسعد وطلحة والزبير وعبدالرحمان بن عوف رضى الله عنهم (٢) في مشكل الحديث لابن قتيبة ولم يذكر له سنداً وتمامه لو لم يخف الله لم يعصه ومعنى هذا انه يطيع الله حباً لا لمخافة عقاب وهو معنى قول المولى سليمان فيما يأتي عبادة صهيبية

وقال ابو عبيدة امين هذه الامة. وقال ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابي ذر. وقال في ابي بكر وعمر اكثر من هذا فصار المدح للتعريف واجباً لاظهار حال الرجل لينتفع به فاقول جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ما اظن في اولاد مولانا الجد عبدالله ولا في اولاد سيدي محمد والدي رحمه الله ولا اولاد اولاده افضل من مولاي عبدالرحمان بن هشام ولا اصلح لهذا الامر منه لانه ان شاء الله حفظه الله لا يشرب الخمر ولا يزني ولا يكذب ولا يخون ولا يقدم على الدماء والاموال بلا موجب ولو ملك المشرقين لانها عبادة صهيبية ويصوم الفرض والنفل ويصلي الفرض والنفل وانما اتيت به من الصويرة ليراه الناس ويعرفوه واخرجته من تافيلالت لاظهره لهم لان الدين النصيحة فان اتبعه اهل الحق صلح امرهم كما صلح سيدي محمد جده وابوه حي ولا يحتاجون الى ابدا ويغبطه اهل المغرب ويتبعونه ان شاء الله وكان من اتبعه اتبع الهدى والنور ومن اتبع غيره اتبع الفتنة والضلال واحذر الناس اولاد يزيد كما حذر والدي وقد رأى من اتبعه او اتبع اولاده كيف خاض الظلمة ونالته دعوه والده وخرج على الامة واما انا فقد خفت قواي ووهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً حفظني الله في اولادي والمسلمين امين .

نصيحة ووصية سليمان بن محمد لطف الله به . ﻫ

ورسالته التي جدد بها العهد الى المولى عبدالرحمن وهي آخر ما كتب وذلك انه لما اثقله المرض دعا بصحيفة بيضاء ودعا بالطابع الكبير فجيء به ولم يحضره الا اهله من النساء فطبع الصحيفة بيده وكتب بعض الكتاب واكملته بعض حظاياه ممن كانت تحسن الكتابة وارسله الى فاس اذ كان المولى عبدالرحمن خليفة بها ونصه :

الحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

اخوالنا الودايا ورماة فاس واعيانها ورؤساءها سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى ابن عمنا الفقيه القاضي مولاي احمد والفقيهين ابن ابراهيم والازمّي . وبعد : فقد وجدت من نفسي ما ليس بتارك احداً في الدنيا وهذه وصية اقدمها بين يدي اجلي والله ما بقي في قلبي مثقال ذرة على احد من خلق الله(١) لان ذلك امر قد قدره الله وسبق علمه به ولست فيه بأوحد وماوقع لمن قبلي اشنع وافظع واني قد عقدت بين اخوالى(٢) واهل فاس اخوة بحول الله لا تنفصم يرثها الابناء عن الاباء واوصي الجميع بما اوصى الله به الاولين ولقد وصينا الذين اوتوا الكتب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ولن تزال هذه الامة بخير ما اخذوا بكتاب الله وقد عهدت لابن اخي مولاي عبدالرحمن بن هشام ورجوت الله ان يكون لي في هذا الامر مثل ما لسليمان ابن عبدالملك في عهده لعمر بن عبدالعزيز انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة وقد انعقد الاجماع على عقد البيعة بالعهد والقاضي والفقيهان يبينان لكم هذا فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول واني اشهد الله اني مقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبدالرحمن بن هشام وبيعته القاه وقد اديت لامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علي من النصيحة وارجو الله ان يثيبني بهذه النية

---

(١) يشير الى ما وقع في ايامه من تشغيب بعض الرعية عليه وخروجهم المتكرر . (٢) الودايا

الصحيحة وهو المطلع على ما في الضمائر والعالم على ما بالسرائر والسلام .
وفي رابع ربيع النبوي عام ثمانية وثلاثين ومائتين والف . ه

ويلحق بذلك ما كتبه الى اهل فاس لما قاموا على عاملهم الصفار

ومن ذلك ما كتبه الى اهل فاس لما قاموا على عاملهم الصفار

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الى اهل فاس . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فانالعثماني باصطنبول وامره ممتثل بتلمسان والهند واليمن وما رآوه قط ولكن امر الله يمتثلون يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولىالامر منكم وكان صلى الله عليهوسلم لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح واعلموا ان العمال ثلاثة عامل اكل السحت واطعمه الغوغاء والسفلة وعامل لم ياكل ولم يطعم غيره انتصف من الظالم وعامل اكل وحده ولم يطعم غيره فالاول تحبه العامة والسفلة ويبغضه الله والسلطان والصالحون والثاني يحبه الله ويكفيه ما اهمه من امر السلطان والثالث كعمال اليوم يأكل وحده ويمنع رفده ولا ينصر المظلوم فهذا يبغضه الله ورسوله والسلطان والناس اجمعون وهذا معنى حديث ازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس الخ. وحديث العمال ثلاثة الخ. فلو كان للصفار مائدة خمر وطعام يأخذه من الاسواق ويتغدى عنده ويتعشى السفلة والفساق ويدعو اليوم ابن كيران وغدا ابن شقرون وبعده بنيس وابن جلون ويفرق عليهم من الذعائر لاحبوه وما قاموا عليه ولو اردتم النصيحةلله ولرسوله ولاميره لقدم علينا ثلاثة منكم او ذكرتم ذلك لولدنا مولاي علي اصلحه الله فاخبرنا بذلك وقل للصفار الكلاب لا تتهارش الى على الطعام والجيف فاذا رأت

كلباً بباب دار سيده ولا شيء امامه لم تعرج عليه وان رأته يأكل فان هو تعامى واشركهم فيما يأكل اكلوا معه وسكتوا وان هو قطب وجهه و كشر عن انيابه تراموا عليه وغلبوه على ما في يده وهذا الصفار لم يتق الله ويزهد الزهد الذي ينصره الله به ولم يلاق الناس بوجه طلق ويطرف مما يأكله فسلطهم الله عليه ولما رأى يوسف بن تاشفين النعمة التي فيها ابن عباد قال أكل اصحابه واعوانه مثله فقالوا لا فقال انهم يبغضونه ويسلمونه للمكاره لاستبداده دونهم ولتغيير المنكر شروط وما يعقلها الا العالمون وكم من مرة قلنا لكم العلماء هم ينكرون ما ينكر ويعلموننا بما كان ولكن الجلوس بلا شغل والفراغ وعدم الحمد حملكم على ما يحرم عليكم الكلام فيه .

ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة ه بخ(١)

﴿ ابن عمرو معارض الشمقمقية ﴾

ابو عبدالله محمد بن محمد التهامي بن محمد بن عمرو بن قاسم الاندلسي نجاراً الانصاري الاوسي نسباً الرباطي وجاراً ومن الخليق بالاعتبار انه مشارك لابن الونان في نسبه ويلزم من ذلك المشاركة له في افتخاره بملوك اليمن وما كان لهم من الاثار وبالانصار وما كان لهم من المشاهد والمواقف مع رسول الله صلى الله وسلم حيث يقول ابن الونان في ذلك :

سل ابن خلدون علينا فلنا ... بيمن مآثر لم تمحق
وسل سليمان الكلاعي كم لنا ... من خبر بخيبر والخندق

---

(١) قال في الاستقصاء وهذه الرسالة قد شرحها الفقيه ابوعبدالله محمد بن ابي بكر بن عبد الكريم اليازغي

فقد زاحمه في موجوده وجدوده وفي محصوله واصوله وهذا من غريب الاتفاق . ولد ونشأ برباط الفتح وتلقى عن جلة من اهل العدوتين وغيرهم فمن اهل الرباط الامام العلامة المفتي ابو العباس الحكمي ومن اهل سلا الفقيه المفتي السيد عبدالسلام حركات ومن غيرهم الامام حافظ المذهب المالكي الشيخ ابوعبدالله محمد الرهوني قدس الله ارواحهم ونبغ في فنون الادب وصناعتي النظم والنثر حتى اصبح نسيج وحده وصدر ادباء مصره وعصره ورزق من جودة القريحة وصفائها وتدفق الفكرة وانبثاقها ما بهر به وظهر وترامى صيته واشتهر واشعت اشعة فكره الى معاني الشعر ومغازيه فتناولها من عقر مواقعها واكنها بجنابه واستخدمها بين يديه فاصبحت تتبارى في السبق لاشارة بنانه وبالجملة فما احراه بقول البديع في وصف زهير : يذيب الشعر والشعر يذيبه ويدعو القول والسحر يجيبه . وناهيك بهمة رجل انبرى لمعارضة ابن الونان لما القى قافيته البديعة للميدان وقال :

من كان يرجو من سواي مثلها رجا من القربة رشح العرق

فانبرى لمعارضته قرن يفخر ويصول ولا كالحباب بن المنذر يوم يقول . انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب(١) فتجاولا في اللغة والغريب وتسابقا في المدح والنسيب واقتفى كل منهما قافية القاف وبان ان كلا عن صاحبه قاف(٢)

---

(١) قال ذلك يوم بيعة ابي بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم و لقصة مشهورة . وقوله انا جذيلها الخ هذا مثل يضرب للرجل العالم النحرير الذي له طاقة على القيام باعباء الامور . قال الاصمعي الجذيل تصغير الجذل وهو عود ينصب للابل الجرباء لتحتك به من الجرب فاراد ان رأيه يشفى به والعذيق تصغير عذق والعذق بالفتح النخلة نفسها فاذا مالت النخلة الكريمة بنوا من جانبها المائل بناء مرتفعاً يدعمها لكي لا تسقط فذلك الترجيب وانما صغرا للمدح لا غير (٢)من معاني هدا اللفظ المستغني وهو المراد هنا .

بيد ان الناظم رحمه الله حاز السبق المبين بمدح خير العالمين صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وان قصرت به خطا اليراعة عما ابدع ابن الونان من روائع الحكم ونوابغ الامثال وصبها على قوالب جيد الصناعة . واما قافيته فقد اكثر فيها من الغريب وتوخى الوقوع على حافر ابن الونان والطبع على غراره في عدة اساليب وفنون ومن ذلك انه شبب في مستهلها بذكر الفلوات الموحشة المترامية الارجاء والاوصاف البديعة للاينق وان الحادي ابى الا ان يذرعها عبثاً ويقذف فيها بتلك الاينق من غير ابقاء عليها ولا رأفة واسهب في التنوع في تأنيبه والتلطف في عتبه وتثريبه ثم انتقل الى التغزل بذكر اوصاف الحسن في النساء وغيرهن ثم الى فن الحماسة والعرامة والافتخار ووصف ادوات الحرب والخيل ثم تخلص الى المقصود الاعظم من مدح محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فمدحه ومدح الصحابة الكرام واستشفع به عليه السلام وشكا اليه ما مسه من الوصب والضنىو الفاقة وما لقي من اهل زمانه مما ليس لحمله طاقة ومن دقائقها التي ترقص وتطرب انه لما تخلص الى مدحه عليه السلام تخلص من وعر تلك الالفاظ الحوشية الموحشة الى الفاظ ناصعة تذوب لطفاً وعذوبة فكان انشقاق فجر الاوصاف المحمدية والشمائل النبوية افاض عليها من انواره وكساها من حلل جماله فتلألأت انوارها وابتسمت ثغورها وهذا مما ينبيء عن حصافته وحسن ذوقه واصالة ادبه . توفى بالحجاز سنة ١٢٤٣

نبذة من قافيته

يقول في مستهلها

مسجت في الادلاج(١) كل خيفق(٢) يرآء(٣) سبسب(٤) يباب(٥) سملق(٦)
وجبت(٧) كل طاسم(٨) سمهدر(٩) متن(١٠) دموس(١١) واسع المخترق(١٢)
بغتال(١٣) غيلان(١٤) الفلا(١٥) من سند(١٦) شناظه(١٧) مستمسك بالافق
وسقت(١٨) كل عيطموس عيهل(١٩) عيرانة(٢٠) قودآء(٢١) ذات شمق(٢٢)
لهقة(٢٣) حرف(٢٤) وكوف(٢٥) شودح(٢٦) عكفاء(٢٧) عندل(٢٨) لكاك(٢٩) ديفق(٣٠)

---

(١) السير من اول الليل (٢) الفلاة الواسعة (٣) من البرر بالتجريك وهو الشدة يقال حجر ابر وصخرة يراء ولا يقال للماء والطين بل لشيء صلب (٤) المفازة (٥) خراب (٦) قاع صفصف والمعنى ذرعت وقست في سيرك اول الليل كل فلاة واسعة صلبة ومفازة خراب قاع صفصف يخاطب بهذا حادي الاينق الذي زج نفسه في تلك المهامه عبثاً من غير نتيجة يدركها ولا مهمة يقصدها وكأن ليس معه الا محاولة ذرعها والتردد بين شاسع اطرافها

كأنما هو من حل ومرتحل موكل بفضاء الارض يذرعه

(٧) الجوب القطع (٨) منطمس الاعلام (٩) بعيد مضل (١٠) ما صلب وارتفع من الارض (١١) مظلم شديد الظلمة (١٢) مخترق الرياح مهبها يقول وقطعت من الفلوات كل منطمس الاعلام مندرس العلامات بعيد مضل صلب مرتفع شديد الظلمة واسع الميادين التي تخترقها الرياح وتجول فيها جولتها وتلعب فيها دورها (١٣) من الاغتيال (١٤) جمع غول (١٥) جمع فلاة (١٦) ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح (اسفل الجبل) (١٧) اعلاه يقول ان ذلك الطامس الموصوف بما ذكر بلغ من الشسوع وترامي الاطراف واندراس الاعلام لدرجة انه تضل وتهلك فيه غيلان الفلا فيما يعترضها من سند جبل شاهق قد استمسك اعلاه بالافق واذا كانت الحالة هذه في الغيلان التي تأوى اليه وطناً فما ظنك بالابل التي لم تعتد الا مجاورة الاحياء والرتوع في المنابت الخصبة لا ينفك زمامها من بين بنان ربها الا ان يقول دونكن والمراتع وهذا البيت اعرق في المبالغة من قول ابن الونان :

مجاهل تحار فيهن القطا لا دمنة لا رسم دار قد بقي

(١٨) هذا محط الرأفة وطلب الابقاء وتقديم الاشفاق على الحادي انما هو للتلطف في العتاب والانة جانب الخطاب كي يستخذى شموخه واباءته ويكسر سورته وحدته ففي التنزيل فقولا له قولا ليناً والعيطموس التامة الخلق (١٩) الناقة السريعة والنجيبة السريعة (٢٠) المشبهة في صلابتها عير الوحش يقول كعب :

عيرانة قذفت بالنحض عن عرض مرفقها عن نبات الزور مفتول

(٢١) الطويلة الظهر والعنق يقول كعب : قودآء شمليل (٢٢) النشاط والخفة (٢٣) بيضاء (٢٤) الناقة العظيمة (٢٥) غزيرة اي كثيرة اللبن (٢٦) الشودح من النوق الطويلة على وجه الارض (٢٧) العكفاء الناقة فيها صعوبة كأنها لم تذلل من كثرة الامتطاء (٢٨) البعير الضخم الرأس يقال في المذكر والمؤنث (٢٩) ككتاب الشديدة اللحم من النوق (٣٠) كصيقل سريعة

ومنها :

يا اكرم الخلق على الله ويا ... شمس الضحى في مغرب ومشرق
يا خاتم الرسل وسيد الورى ... يا بهجة الكون ونور الحدق
ويا زعيماً بالشفاعة اذا ... نبذها كل رسول مشفق
يا ساقياً امته من حوضه ... فليس يظمأ فتىً منه سقي
يا وزر المذعور يا بحر العطا ... يا نصرة الملتهب المختنق
ويا عظيم الجاه عند ربه ... يا رحمة الله انبرت في طلق
يا معدن الفضل ويا كنز الغنى ... ويا مفكك اسار(١) الموثق
ويا ملاذ المنضوي يا سندي ... يا وزري من عدو مبرق
يا مطمح النظر يا نور الدجى ... ويا خلاص كل جانٍ مرهق(٢)
يا نعمة الله على الخلق ويا ... اوفى الورى بذمة وموثق(٣)
ويا مجير المستجير كرماً ... ويا غنى المبتئس المرتفق
ويا جواداً بالرغائب اذا ... ضن الاماجد ببذل الروذق(٤)
ويا خليقاً بالمكارم اذا ... عز تطلب العقوق الابلق(٥)
ويا عزيزاً جاره ممتنعاً ... من كيد كل كاشح وتئق(٦)
يا غاية القصد ومضمون المنى ... يا نجح سؤل القاصد المعرق

---

(١) ككتاب ما يشد به الجمع اسر (٢) المرهق كمكرم من ادرك (٣) الموثق كمجلس العهد الجمع مواثيق (٤) الروذق كجوهر الجلد المسلوخ وما طبخ من لحم وخلط باخلاطه . (٥) اي ما لايمكن لان الابلق الذكر والعقوق الحامل (٦) التئق الممتلي غيظاً من قولهم أتأقت الاناء اذا ملأته وفي المثل انا تئق وانت تئق فكيف نتفق يضرب للمتنافيين في الخلق . والمئق هو الباكي فان التئق ينزع الى الشر لغيظه والمئق يضبق ذرعاً باحتماله ومثله قول بعضهم انا كلف وانت صلف فكيف نأتلف

ويا محكماً باذن ربه ... في ملكه بكل فضل مغدق(١)
هذا عبيدك العقوق مشفياً ... على شفا مصفداً للعنق
قد شدد الخطب خناقه فما ... به حراك رابضاً(٢) بموبق(٣)
يصرخ زاهداً ببابك فلا ... يخشى وحاشاك انتهار الفيتق
في هصب(٤) من نصب(٥) ووصب(٦ ... وشصب(٧) ولصب(٨) وعوق(٩)
يرجو امتنانك فخذ بيده ... فيما عراه من مصاب فيهق(١٠)

﴿ الزياني ﴾

ابو القاسم بن احمد بن علي بن ابراهيم الزياني . من وجوه كتاب السلطان المولى سليمان بن محمد له براعة في التاريخ والادب والعربية والحساب والتنجيم وغير ذلك . وكان ثاقب الذهن ذا صرامة وتوقد غير ان ذرابة لسانه سولت له الولوغ في الاعراض البريئة اعراض فضلاء زمانه عامله الله بعفوه . وكانت جمجمة رأسه من القرع لانه ضرب عليها بسيف فطارت فجعلوا له مكانها ظرفاً من القرع فاحتف به اللحم وتماسك وعاش على ذلك دهراً ولذلك كان لا يكشف رأسه. وخلف عدة مصنفات منها الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب وألفية السلوك في وفيات الملوك. وتوفي بفاس عام ١٢٤٩ عن مائة وست سنين واقبر بالزاوية الناصرية بالطالعة .

---

(١) قال صلى الله عليه وسلم من يرد به خيراً يفقهه في الدين وانما انا قاسم والله معطٍ
(٢) مقيماً (٣) مهلك (٤) المصب بالتسكين الفرار وكأنه حركه للوزن (٥) التعب (٦) المرض والجمع اوصاب (٧) يبس (٨) لصب الجلد باللحم كفرح لزق هزالا (٩) الجوع (١٠) الواسع من كل شيء .

من فوائده في الترجمان

قال في دولة المولى اسماعيل : وولع هذا السلطان بجمع العبيد وجعلهم عسكراً والسبب في ذلك انه لما كان بمراكش اتاه طالب من اهل مراكش بدفتر فيه اسماء العبيد الذين كانوا في عسكر المنصور فسأله هل بقي منهم احد فقال كثيرون بمراكش واحوازها وقبائلها وان كلفني سيدي بجمعهم جمعتهم له فكتب له امره للعمال يقفون معه في جمع العبيد واولادهم وتوجه لذلك ولما رجع من مراكش لمكناسة كلف كاتبه محمد بن العياشي ان يخرج لقبائل المغرب وبني حسن والجبال لجمع العبيد وكلف عماله بالقبائل ان يشتروا له العبيد فجمعوا كل ما وجدوا حتى لم يبق اسود بالمغرب في حاضرة ولا بادية ولو كان حراً اسود او حرة سوداء ولما قدم عليه عياش المراكشي بما جمع وقدم عليه ابن العياشي بما جمع ووجه له العمال ما جمعوا وما اشتروا دفع لهم الكسوة والسلاح وعين لهم قوادهم واعطاهم ما يبنون به ووجههم لمشرع الرمل فنزلوا به على وادي فلفلة وبنوا وغرسوا واستمر الحال على ذلك الى ان بلغ اولادهم فأمرهم ان يأتوا في كل سنة بمن بلغ عشر سنين من اولادهم وبناتهم فكان يدفع الاولاد لاهل البناء والتجارة وجميع الصنائع ويفرقهم عليهم ويعلمونهم ويدفع الباقي منهم للخدمة يسقون الجير والتراب الى ان تكمل السنة ويدفعهم لسوق البغال وبعد السنة يدفع لضرب المركز والطابية وبعد السنة تدفع لهم الخيل عارية فيتعلمون ركوب الخيل عارية دون سروج حتى يمسكوا رؤوسها سنة فتدفع لهم السروج فيركبونها بها للفر والكر ويتعلمون الرماية على ظهورها فاذا بلغوا ستة عشر سنة يقيد عليهم واحداً منهم من كبار الجند ويخرج لهم من البنات اللواتي قدمن

معهم وكن مفرقات عند عياله في قصوره يتعلمن الطبخ والفرش والغسل ومن كانت حسناء تدفع لصنعة الموسيقى تتعلمها فاذا تعلمن اخرجهن لرجالهن بعد كسوتهن وقبض صداقهن وكل واحدة يقبضها زوجها بيده بعد اثباتهما في الدفتر ويدفع الذي يأتي من الولدان للخدمة والبنات للقصور واستمر على هذا الحال طول ايامه الى ان مات . كل عام يتوجه العسكر لمشرع الرمل ويأتي بالاولاد الى ان كان في الدفتر العسكري من العبيد مائة وخمسون الفاً سبعون الفاً بمشرع الرمل وخمسة وعشرون الفاً بوجه عروص بمكناسة وباقي العدد مفرق على القلع التي بناها بالمغرب من وجده الى وادي نون كلها ظاهرة يعرفها الخاص والعام واكثرها قائم الى وقتنا هذا وهذا العدد وقفت عليه في تاريخ الحميدي وفي دفتر سليمان الزرهوني كاتب مولانا اسماعيل رحمه الله تعالى وتواتر الخبر به. واما عدد القلع التي بناها بالمغرب فهي ستة وسبعون قلعة شاهدنا اكثرها .ه.

(ملاحظة) — لا يزال المؤرخون الافرنج ينكرون الاسلوب الذي يحتذيه المؤرخون من العرب في تصانيفهم ودونك فكرهم في ذلك بقلم بعض الكتاب من اهل العصر قال :

ومما ينبغي اعتباره في مؤرخي العرب انهم اقتصروا كلهم مع كثرتهم على ايراد الحوادث مجردة من كل نظر لهم فيها عارية من كل رأي في سوابقها وتوابعها وصرفوا عنايتهم الى تدوين الوقائع المادية كالولادة والوفاة والولاية والعزل والفتح غير ملتفتين الى تاريخ الادبيات وعدم اهتمامهم في النظر والقياس استدرجهم الى تصديق الخرافات والمستحيلات فاثبتوها في جملة الحقائق التاريخية واذا ابى عقل بعضهم قبول هذه الروايات المنكرة ضنت اقلامهم باسقاطها فادرجوها في كتبهم متبرئين من عهدتها . ولم تخل كتب اللغة نفسها من مثل تلك الاوهام المضحكة . وكان جل ما يتوخونه اسناد الواقع الى راو او رواة غير مهتمين بالبحث عن صحة روايته ومكانه من الثقة فجاءت مؤلفاتهم في التاريخ سجلات اخبار ينسقونها باعتبار الطبقات او السنين او الدول خالية من كل تمحيص وانتقاد وتعليل لا يحييها روح الفلسفة . وعليه فاذا اعتبرنا التاريخ علم تعليل الحوادث ورد المسببات الى اسبابها بالقياس الصحيح وحمل المتشابهات بعضها على بعض والاستدلال بالقرائن على خفايا الامور وغوامض الاسباب مما اشتهر به مؤرخو هذا الزمان حتى ان بعضهم تنبأ على الوقائع المستقبلة وكان كما قال . اذا اعتبرنا التاريخ هكذا فاحرى بمؤرخي العرب ان يسموا اخباريين لا مؤرخين . نعم يستثنى من هذا الحكم المؤرخ الشهير الفيلسوف عبدالرحمان بن خلدون .

(• الوزير ابن ادريس •)

ابو عبدالله محمد بن ادريس بن محمد بن عبدالله العمراوي الفاسي . كان اديباً مبرزاً في الصناعة طلق البنان حسن الكتابة وله شعر حسن السبك رقيق الحاشية الى معرفة ببعض العلوم كالنحو واللغة والعروض والحساب والتعديل اخذهما عن الشيخ سيدي محمد بن طاهر الحبابي رئيس الموقتين بمنار القرويين بفاس . وكان له تعشق كبير للخير واهله وتعلق وانحياش الى اولياء عصره كالشيخ سيدي الطيب الكتاني وسيدي عبدالقادر العلمي دفين مكناس وغيرهما واتصل بالسلطان المولى عبدالرحمن بن هشام وحظي عنده . قال في الجيش: واما الوزير العلامة المفوه الرئيس اخونا في الله سيدي محمد بن ادريس فانه كان عصام الدولة وحلية جمالها ومجلى محاسنها ومظهر كمالها فبمآثاره تزري دولة بني مولانا هشام بدولة بني مروان بالشام ساعدته احكام السعود وعاملته بانجاز الوعود فادرك في ظلال دولة السلطان المؤيد مولانا عبدالرحمن من الجاه والعز والصولة ما لم يدركه الوزير المهلبي مع ملوك الديلم ومعز الدولة فضحكت له الايام بعد عبوس واركبته اعز المراكب وألبسته افخر الملبوس وبيته في فاس ومنبته منبت طيب واصله الاصيل ناشيء عن واكف من الاصالة صيب .ه وله امداح عديدة نبوية وسلطانية وقصائد ومقطعات ورسائل في غاية الحسن والنفاسة . وكانت وفاته سنة ١٢٦٤

من نفثات اقلامه ما كتبه عن السلطان المولى عبدالرحمن الى ولده

ولدنا الارضى الابر الارشد سيدي محمد اصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد كنا اردنا الابقاء على قبيلة زمور رحمة واشفاقاً

وحملهم على الاستقامة بالارهاب من الشدة في بعض الامور هداية وارفاقاً. فلم يرد الله بهم خيراً لفساد نيتهم. وخبث طويتهم. واتكالهم على حولهم وقوتهم. فما رأوا منا ليناً وسداداً. الا ازدادوا شدة وفساداً. ولا اظهرنا لهم عظة وارشاداً. الا اظهروا تطاولا وعناداً. وما اخرنا المحلة المنصورة عن الركوب اليهم ابقاء والفاً. الا ظنوا ذلك عجزاً وضعفاً. قد طمس الاعجاب منهم بصراً وسمعاً. ولم يروا أن الله قد اهلك من قبلهم من القرون من هو اشد منهم قوة واكثر جمعاً.

اذا انت اكرمت الكريم ملكته　　وان انت اكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندا في موضع السيف بالعلا　　مضر كوضع السيف في موضع الندا

فلما رأينا لجاجهم في عماهم. وعدم رجوعهم عن هواهم. وانهم لم يعتبروا بجلائهم عن بلادهم. ولا بما اصابهم من الفتنة في انفسهم واولادهم. ولم يراعوا ما نهب من زرعهم القائم والحصيد. ولا ما استخرج من مخزونهم الكثير العتيد. رأينا قتالهم شرعاً. وجهادهم ذباً عن الدين ودفعاً. فاعتمدنا على حول الله وقوته وامرنا بالزيادة عليهم في الاخذ والتضييق. والمبالغة في النهب والتحريق. وتركهم محصورين في اوعارهم. ومقهورين في اوكارهم. اذ رب مطاولة. ابلغ من مصاولة. فتوالت عليهم الغارات. وتتابعت عليهم النكبات. لا يجدون الى الراحة سبيلا. أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا. ففي كل يوم تثمر العوالي رؤوس رؤسائهم. وتتخطف ايدي المنايا اهل بأسائهم. وكلما زادوهم اقداماً وطلباً. ازدادوا توغلا في الجبال وهرباً. حتى نهكتهم الحرب . وضرستهم موالاة الطعن والضرب. وضاع بالحصار الكسب والمال. ولحق الضرر الاولاد والعيال. فجعلوا يرحلون لقبائل جوارهم. طالبين لحلفهم وجوارهم. وبلغ البوس فيهم غايته. واظهر الله فيهم آيته. وهم في

خلال هذا كل حين يتشفعون. ويتذللون في قبول توبتهم ويتضرعون. ونحن نظهر لهم التمنع والاباية لنبني امرهم على اساس الجد. ونجازيهم على ما ارتكبوه من خلف الوعد. فلما انجزت القهرية فيهم وعدها. وبلغت العقوبة فيهم حدها. قابلنا اساءتهم بالاحسان. وراعينا فيهم وجه المساكين والنساء والصبيان. فولينا عليهم منهم ثلاثة عمال. ووظفنا عليهم خمسين الف مثقال. وشرطنا عليهم تقويم مائتين من الحّراك مثل قبائل الطاعة. والتزام الصلاح والخدمة جهد الاستطاعة. فقاموا بذلك احسن قيام. واعطوا المراهين في اداء المال بعد ايام. وكان اخذهم بعد تقديم الاعذار. وتكرير الانذار. وعفونا عنهم عفو غلب واقتدار. ورب عقاب انتج حسن طاعة. وتوبة نصوح تداركت ما سلف من التفريط والاضاعة. وفي الناس من لا يصلح الا مع التشديد. وربك يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد.

وما عن رضىً منها عطية اسلمت ... ولكنها قد قادها للهدى القهر
اردنا بها الابقاء فازداد عجبها ... وأدّبها التشديد والفتك والاسر

ولو قيدوا النعمة بالشكر لأمنوا الزوال. واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه وال. والسلام.. في فاتح رجب الفرد الحرام عام تسعة وخمسين ومائتين والف . ه

ومن بديع شعره يرثي المولى سليمان رحمه الله

نبأ عرى اوهى عرى الايمان ... وابان حسن الصبر عن امكان
شقّت لموقعه القلوب وزلزلت ... ارض النفوس ورجّ كل مكان
فقد الامام ابي الربيع المرتضى ... جزعت لعظم مصابه الثقلان
وبكت عيون الدين ماء جفونها ... وجداً عليه وكل ذي ايمان

لما نعى الناعون خير خليفة وعرا الفؤاد طوارق الاحزان
مزقت ثوب تجلدي من فقده ونثرت در الدمع من اجفان
عجباً لموت غاله اذ لم يخف فتك الملوك وسطوة السلطان
وسما لمنصبه المنيف ولم يهب غضب الجنود وغيرة الاعوان
لو كان ينفع خاض فرسان الوغا حرصاً عليه مواقد النيران
وحموه بالنفس النفيسة انما يحمون روح العدل والاحسان
لكن قضاء الله حم(١) فلا يرى للمرء في دفع القضاء يدان(٢)
والموت مورد كل حي كاسه وسوى المهيمن في الحقيقة فان
ان غاب عنا شخصه فلقد ثوى(٣) فينا الثناء له بكل لسان
ومناقب ومفاخر ومئاثر شاعت له في سائر الاوطان
ومعارف وعوارف ووسائل ومسائل قد اوضحت ومعان

يقول منها :

قد كان اوحد دهره ولداته(٤) في العدل والتمكين والاحسان
قد كان عالم عصره وفريده في الفهم والتحقيق والاتقان
قد كان فرداً في البلاغة انجزت اقلامه بهرت بسحر بيان
من للعلى من بعده من للنهى من للتقى وتلاوة القرآن
يارمس كم واريت من كرم ومن جود ومن فضل ومن احسان
يارمس كم حجبت عنا شمسه وضياؤها في سائر البلدان
ووسعت بحر علومه وسخائه فطما بضيق بطنك البحران

---

(١) نزل (٢) قدرة (٣) اقام (٤) جمع لدة وهو الترب .

فلو استطعت جعلت قلبي قبره   حباً واحشاءي من الاكفان
ولو ان عمري في يدي لوهبته   وفديتـه بالاهـل والاخوان

﴿ ابوعبدالله محمد بن احمد اكنسوس المراكشي ﴾

العلامة المتضلع المحقق الواعية .كان رحمه الله مشاركاً في علوم شتى كالنحو والادب والتاريخ والحساب والتوقيت والتعديل والفرائض وغير ذلك وانفرد بصناعة الادب في عصره بحيث كان لا يدرك شأوه ولا يشق غباره وهو صاحب كتاب الجيش العرمرم الخماسي. في دولة اولاد مولانا علي الشريف السجلماسي وضعه بامر السلطان المولى محمد بن عبدالرحمن ذكر في ساقةالجيش انه وجد آباءه ينتسبون الى سيدنا جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه فارتاب في ذلكالانتساب لما وقف على قول ابن عبدالسلام التونسي وتلميذه ابن عرفه يصعب اثبات نسب له ستمائة سنة وبحث على تحقيق ذلك الانتساب فلميقف على ما يعتمد فتركه فلما وقف على حديث تبرء من نسب وان دق كفر(١) رجع الى تلك النسبة رجاء بركتها وخوفاً من الوقوع في ذلك الخطر توفي بمراكش سنة ١٢٩٤ ودفن قرب ضريح الامام السهيلي خارج باب الربوحضر جنازته الجم الغفير من الناس .

نبذة من افكاره

بعدما حكى في الجيش احتلال الاصبانيين لتطوان سنة ١٢٧٦ وما عقده معهم المولى العباس اخو المولى عبدالرحمان من الصلح والانجلاء على تطوان على ان يؤدي لهم المسلمون الغرامة الحربية وذكر ان ما اصيب به المسلمون في تلك الواقعة انما كان من كثرة الجنود من غير تنظيم ولا ترتيب قال :

اما كثرة العساكر ففي كتب الحكمة انه اتفق اهل السياسة من العرب

---

(١) المراد كفر نعمة النسب وجحدها .

والعجم على ان كثرة الجموع لا تؤمن غوائلها ولا ينضبط امرها ولا ثمرة لها
الا الهزائم وكل من حارب بجميع عساكره فهو مخذول وكل امير امر اميراً
على اكثر من الف من عسكره فقد عرضه للتلف والامير الحازم هو الذي يضبط
الالف فاذا كان للملك عشرة امراء عند كل امير الف من العسكر مضبوط فذلك
بمنزلة مائة الف مهملة ولا تحتمل حومة الميدان اكثر من عشرة آلاف ليكون
نظر الملك على جميعها فاذا زادت العساكر على ذلك يقع فيهم الخلل وتسرع
اليهم الهزائم وقد وقع ذلك في الجاهلية والاسلام ومن طالع اخبار الامم الماضية
تيقن مصداق هذا واقرب شيء الينا واقعة السلطان العادل مولانا سليمان رحمه
الله في حركته لجبال فازاز لقبائل آيت ومالوزيان وغيرهم فانهم ما اوتوا الا من
الكثرة المهملة والجموع الجزافية الغير المترتبة الخالية عن الاحكام القانونية
والرؤساء الضابطة التي تقوم اتباعهم بقيامهم وتقعد بقعودهم ومن ذلك ايضاً
في غير هذه الدولة ما وقع في دولة السعديين لجنس البردقيز في وادي المخازن
فانه حشد ما بلغته طاقته من الجنود فوقعت الكرة عليه كما هو معلوم في محله
ومن ذلك ايضاً في دولة الموحدين ما وقع للناصر المنصور في غزوة العقاب قال
في نفح الطيب ان الناصر جمع جموعاً اشتملت على ستمائة الف مقاتل فيما
حكاه في الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ودخله الاعجاب بكثرة من
معه من الجيوش فصادف الافرنج فكانت عليه وعلى المسلمين وقعة العقاب المشهورة
التي خلا بسببها اكثر المغرب واستولى الافرنج على اكثر الاندلس بعدها ولم
ينج من الستمائة الف الا عدد يسير جداً لم يبلغ الالف فيما قيل وهذه الوقعة
هي الطامة الكبرى على الاندلس بل على المغرب جميعاً وما ذاك الا لسوء التدبير

فان رجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج استخف بهم الناصر ووزيره فشنق بعضهم ففسدت النيات فكان ذلك من بخت الافرنج والله غالب على امره .ه كلام نفح الطيب .ومن ذلك ايضاً ما وقع لابي الحسن المريني في حركته المعلومة لافريقية . قيل انه كان معه من جنس الكتاب اربع عشرة مائة محفة فوقع به ما هو مشهور . ه

ومن اشعاره قوله في بستان للوزير ابن ادريس

المم بمغنى اليمن من ذي المجلس ... وأدر بساحته نجوم الاكؤس
واسعد فان الدهر اسعد اهله ... واحلهم فيه حلول المعرس
واشرب هنيء البال في جنباته ... يغنيك عن جيرون(١) اهل المقدس
واصرف عن الزهراء(٢) ذكرك سالياً ... وعن الخورنق(٣) والرسوم الدرس
لو قلت ما نالت بدائع حسنه ... غرف البديع وحق مجدك لم تس(٤)
قصر تحف به المحاسن كلها ... وتحار في مرآه عين الاكيس
فاذا اردت اصابة الاغراض من ... كل المنى او كل معنى انفس
ارسل سهام اللحظ في اكنافه ... ان الحنايا الحدب فيه كالقس
لا شيء اهنىء من تفيىء ظله الـ ... مخضل او من زهره المتنفس
تتمثل الازهار في انهاره ... مثل المجرة والنجوم الكنس
وترى الجداول تلتوي بغصونه ... تحكي البرين(٦) على الغواني الميس(٧)

---

(١) موضع بدمشق ومن اصوات الاغاني لابي الفرج الاصبهاني :

النخل فالقصر فالجماء بينهما ... اشهى الى القلب من ابواب جيرون

(٢) مدينة بالاندلس يأتي ذكرها (٣) القصر المشهور الذي كان بظاهر الحيرة (٤) من الاساءة (٥) جمع قوس (٦) جمع برة كثبة وهي الخلخال (٧) من ماس اذا تبختر في المشي .

ولما فتح السلطان المولى عبدالرحمان زاوية الشرادي انشده في ذلك قصيدة بديعة دونك مطلعها وبعض ابيات منها :

بشائر لا تحيط بها الشروح   كأن سميعها(١) فنن مروح(٢)

ومنها :

ابا زيد فانت لنا ملاذ   وجاهك في المهم لنا فسيح
فقد زانت مئاثرك الليالى   ولاح لعدلك الوجه المليح
وهذا الدهر كالطوفان موجاً   وطاعتك السفين وانت نوح

ومنها :

عصفت عليهم بالبأس تزجي(٣)   كتائب كالسحاب اذا تلوح
فألقيت الجران(٤) على ذراهم   بجيش كلهم بطل مشيح(٥)
فجاء العفو منك وهم ثلاث   اسير او كسير او ذبيح
وقد قسمت بلادهم بعدل   ودورهم كما قسم الوطيح(٦)

ومنها :

ابا زيد اذا تبقى عليهم   بصفح ربما ندم الصفوح
فلا تحلم فان الجرح يكوي   طرياً بالمحاور او يقيح
فلا زالت بك الدنيا عروساً   ومجدك من مفارفها(٧) يفوح

﴿ احمد بن خالد الناصري السلاوي ﴾

العلامة المتبحر الواعية الاريب. المؤرخ النسابة الاديب. ناصر السنة وابن

---

(١) الغصن (٢) به مرح وهو النشاط والخفة (٣) تسوق (٤) تمثيل لاستيلائه عليهم وتمكنه منهم حق التمكن وأصل الجران مقدم عنق البعير (٥) مسرع (٦) حصن بخيبر (٧) جمع مفرق وهو وسط الرأس .

ناصرها. وقامع البدعة ومقوض منارها. احد اساطين العلم المومى اليهم بالبنان. وذوي الرسوخ الذين لا يقعقع لهم بالشنان(١).

وكان من العلوم بحيث يقضى   لـه من كل فن بالجميع

اما صناعة البلاغة فهو ردؤها(٢) المظاهر. لعبد القاهر. واما علوم العرب فكفؤ الاصمعي. وراوية ألمعي. واما التاريخ فعلى الخبير به سقطت. وعلى ابن بجدتها وقعت(٤). الى حذق بادراج الفروع تحت الاصول. مع جودة النظر وتحكيم قواعد المعقول والمنقول. زد على ذلك انه كان ميالا الى علو السند في النقل لا يثلج(٥) صدره الا باصول المذهب والامهات القديمة. وهي همة ما لها من قيمة. الى قلم سيال اذا كتب انهارت تلك المعاني الانيقة. في تلك العبارات الرشيقة. تتدفق من رأس القلم. كالبحر الغطمطم(٦). لا يرد تتابعها المتناسق. الا طفوح المهارق(٧). فاذا رأيت ثم رأيت درراً منتظمة الى بعضها. متراصة في مركزها وموضعها. على اقوم المسالك. كأنها خلقت كذلك. الى خبرة تامة بالسياسة وطبائع العمران. وتقلبات الدهر واعاجيب الحدثان. رجل صاول دهره. وعجم عوده وسبر غوره. ورفض ما وقر في ذهن كثير من الخرافات والاوهام ولم يحمل عقله منها اصرا. وقدح زند الافكار الصحيحة والناس يومئذ ينظرونها شزرا. تخرج ببلده على جلة من اهلها فمنهم الفقيه العلامة البارع ابو عبدالله محمد بن عبدالعزيز محبوبة السلاوي . قال في الاستقصا : كان رحمه الله واعية دراكة

---

(١) يعني انه لا ينزعج مما لاحقيقة له واصل الشنان القربة الخلقة تقعقع للابل لتسير (٢) العون والقوة التي يعتمد عليها (٣) الجرجاني واضع علم البلاغة (٤) يقال هو ابن بجدتها للعالم بالشيء الخبير به واصل البجدة دخلة الامر وباطنه (٥) لاينشرح (٦) العظيم (٧) الصحائف جمع مهرق بضم الميم وفتح الرآء .

نفاعة كثير الدرس والتقييد والنسخ للكتب المعتبرة فصيح العبارة حسن النغمة والصوت عارفاً بالحديث دؤوباً على سرده عارفاً بالنحو والفقه وعلوم الآلة لازمناه وانتفعنا به وعادت علينا بركاته رحمه الله ونفعنا به . توفي بمكة المشرفة سنة ١٢٧٩ ودفن بالمعلاة . ومنهم الفقيه العلامة القاضي سيدي ابوبكر عواد قال في الاستقصا :كان رحمه الله من اهل المشاركة في العلم والاعتناء به كثير الدرس كثير التقييد ختمنا عليه رحمه الله عدة كتب كبار جعلها الله في ميزان حسناته منها صحيح البخاري نحو عشر مرات وصحيح مسلم ثلاث مرات وشفاء القاضي عياض مراراً وكتاب الاكتفا لابي الربيع الكلاعي مرة واخرى الى غزوة خيبر وشمائل الترمذي مرتين بشرح ابي عبدالله محمد بن قاسم جسوس واحياء الغزالى رضي الله عنه وعوارف المعارف للسهروردي وتآليف غيرها من كتب النحو والفقه والبيان والكلام وغير ذلك مما يطول ذكره .وبالجملة فقد انتفعنا عليه واستفدنا منه رحمه الله ونفعنا به . توفي سنة ١٢٩٦ .ه . ومن اشهر تآليفه كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ذكر فيه دول القطر المغربي من لدن فتح الاسلامي الى سنة احد عشر وثلاثمائة والف .ومن اعلاها واغلاها شرح قافية ابن الونان السابق ذكرها وسمه بزهر الافنان من حديقة ابن الونان. ومنها طلعة المشتري في النسب الجعفري .وتعظيم المنة بنصرة السنة . والفوائد المحققة في ان التاء اصلها طاء مرققة . وحاشية على تبصرة ابن فرحون وديوان شعر صغير . وغير ذلك وكانت وفاته سنة ١٣١٥ . وقد رثاه صديقنا العالم الفاضل المحاضر الاديب السيد الحاج الطيب عواد روح الله روحه بعد انتقاله لدار البقاء بمدة مديدة وسنين عديدة مضت كالسنة تناهز الست عشرة سنة قال

اهالى الطول(١) بعد الطول ترثى ... بما اكتسبوه تعصيباً وارثا
لقد كانوا محل الروح منا ... كما كانوا لتلك الروح جنثا(٢)
ومذ أفلت شموسهم وغابت ... نجومهم بقينا حوث بوثا(٣)
ولا كالجعفري الطود المكنى ... ابا العباس من قد كان ليثا
مهيباً بل هماماً بل اماماً ... يحث على خصال الخير حثا
ومن نشر العلوم بحسن قصد ... وعن تحصيلها القوم استحثا
له فيها اليد الطولى جميعاً ... ويعطي صعبها نظراً وبحثا
سمين نتاجه لا زال غضا ... وما كل السمين يصير غثا
يجد السير في طلب المعالى ... ولا يرضى اذا ما جدّ مكثا
اذا ما مثله في ذا توانى ... فمنه لا ترى عجزا وريثا(٤)
ابو عزم وجد وانتقاد ... يبث العلم والاسرار بثا
ويرشد لاتباع الخير جهرا ... وينفث جوهراً من فيه نفثا
على نفع العباد يرى حريصا ... يود عمومه ذكرا وانثى
يجل المستفيد ويرتضيه ... اذا استفتى واياه استبثا
معاذ الله ان اعطاك عهدا ... ترى يوماً له نقضا ونكثا
اذا ما سل سيف النصر يوماً ... محا من رام افسادا وعيثا
ففي سد الذرائع كان فردا ... ومالك وقته او كان ليثا(٥)
وان تحرز مفاخره تجده ... حوى شطر الفخار وزاد ثلثا

---

(١) الفضل (٢) اصلا (٣) يقال تركهم حوث بوث اذا فرقهم وبددهم (٤) البطء
(٥) ابن سعد امام المصريين من ائمة الاجتهاد المطلق

اذا ما امحلت(١) ارض المعاني سقاها من سماء الفهم غيثا
فتصبح في اخضرار وابتهاج تطاوع من يشا نسلا وحرثا
وحقك ما رأيت له نظيرا ولست ترى لقول الحق حنثا
على فقدانه تبكي البواكي فقد امسى رداء المجد رثا
وموئل من تراه الى فناء ابى المولى بدار الحزن لبثا
سقى مزن الرحيم له ضريحا يصاحب روحه حشرا وبعثا

هذا . وقد استكنهنا ترجمة هذا الفاضل ابتكاراً فيما نرى وما بخسناه مثقال ذرة بل كلناه بالمكيال الاوفى وان تقاعس(٢) عن ايمة الرباط اهل الوطن في تاريخه الاستقصا فانه عني لدا ذكر الاحداث بايراد وفيات اشهر العلماء والافاضل مع الابضاض(٣) لهم بشذرات من احوالهم وذكر جملة من اهل سلا وما عرج على اهل هذه العدوة على طفوحها وتدفقها بالفحول القناعيس(٤) من محدثين وفقهاء وادباء وصلحاء وغيرهم ممن عاصره او تقدمه تغمد الله الجميع برحمته . بيد انه يشفع للرجل حرية فكره وغيرته على الدين وتفوقه الى اصونه المتينة السبك المحكمة السمك التي تمثل حالته في العصر الاول تلك النقطة التي لو واصل ايمة الاسلام النضح عنها لأصبحوا من الوحدة على مثل ما قال صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ومن الاجتماع على مثل قوله صلى الله عليه وسلم ايضاً : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك

---

(١) اصابها القحط (٢) تأخر عن ذكرهم (٣) اصل الابضاض الاعطاء قليلا والمراد الايجاز والاختصار (٤) جمع قنعاس بالكسر وهو في الاصل العظيم من الابل والرجل الشديد المنيع .

بين اصابعه ومن القانون على دستور ثابت لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن الحكومة على الديموقراطية الخالصة التي ذهب اليونان والرومان والفرس ولم تطأ حوافرهم ظلها رغما عن سيرهم الحثيث في اثرها الى غير ذلك من الاصول الحية الراقية التي لا تتزلزل ما دامت السماوات والارض وما وما يعقلها الا العالمون .

من عبقرياته في الاستقصا . قال :

(تتمة مهمة)

قد ظهر ببلاد المغرب وغيرها منذ اعصار متطاولة لاسيما في المائة العاشرة وما بعدها بدعة قبيحة وهي اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم او تقدموهم ممن يشار اليه بالولاية والخصوصية ويخصونه بمزيد المحبة والتعظيم ويتمسكون بخدمته والتقرب اليه قدراً زائداً على غيره من الشيوخ بحيث يرتسم في خيال جلهم ان كل المشايخ او جلهم دونه في المنزلة عند الله تعالى ويقولون نحن اتباع سيدي فلان وخدم الدار الفلانية لا يحولون عن ذاك ولا يزولون خلفاً عن سلف وينادون باسمه ويستغيثون به ويفزعون في مهماتهم اليه معتقدين ان التقرب اليه نافع والانحراف عنه قيد شبر ضار مع ان النافع والضار هو الله وحده واذا ذكر لهم شيخ آخر او دعوا اليه حاصوا(١) حيصة حمر الوحش من غير تبصر في احواله هل يستحق ذلك التعظيم ام لا فصار الامر عصبياً وصارت الامة بذاك طرائق قدداً ففي كل بلد او قرية عدة طوائف وهذا لم يكن معروفاً في سلف الامة الذين هم القدوة لمن بعدهم

(١) فروا.

وغرض الشارع انما هو في الاجتماع وتمام الالفة واتحاد الوجهة .وقد قال تعالى لاهل الكتاب · تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم الآية .وقد ذم قوماً فرقوا دينهم وكانوا شيعا. وانما الشأن في اهل الخصوصية والدين ان يكونوا عند العاقل المحتاط لدينه كاسنان المشط بحيث يحبهم لله وفي الله ويستشفع بهم الى الله ويسأله تعالى ان يكرمه بما اكرمهم به من الخير والهدى والدين وليحبهم حب التشرع لا حب التشيع وليتأدب معهم ولا يقدم على مفاضلتهم بالهوى والرجم بالغيب فان ذلك متوقف على الاطلاع على منزلتهم عند الله وذلك محجوب عنا واذا نزلت به حاجة فليفزع في قضائها الى مولاه الذي خلقه ورزقه مستشفعاً اليه بنبيه الذي هداه للايمان على يده ثم بخواص الامة الذين هم آباؤنا في الدين فان المطلوب من العبد ان يصرف وجهته وقصده في جميع اموره ويتعلق فيها بالله بحيث لا يطلبها الا منه ولا يتكل فيها الا عليه قاطعاً النظر عن كل ما سواه اللهم الا على سبيل التوسل والاستشفاع كما قلنا . هذا هو التوحيد الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم واليه دعا وعليه قاتل وسواه شرك ومنابذ لما جاء به: ان هذا لهو القصص الحق وما من الله الا الله الاية. ثم استرسل هؤلاء الطغام(١) في ضلالهم حتى صارت كل طائفة تجتمع في اوقات معلومة في مكان مخصوص او غيره على بدعتهم التي يسمونها الحضرة فما شئت من طست وطار وطبل ومزمار وغناء ورقص وخبط بالرجل وفحص وربما اضافوا الى ذلك ناراً او غيرها يشتعلونه على سبيل الكرامة بزعمهم ويستغرقون في ذاك الزمن الطويل حتى يمضي الوقت والوقتان من اوقات الصلوات وداعي الفلاح

---

(١) كسحاب اوغاد الناس واسافلهم .

ينادي على رؤوسهم وهم في حيرتهم يعمهون لا يرفعون به رأساً ولا يرون بما هم فيه من الضلال باساً بل يعتقدون ان ما هم فيه من افضل القرب الى الله تعالى الله عن جهالتهم علواً كبيرا . ولا تجد في هذه المجامع الشيطانية غالباً الا من بلغ الغاية في الجفاء والجهل ممن لا يحسن الفاتحة فضلا عن غيرها مع ترك الصلاة طول عمره ومن في معناه من معتوه ناقص العقل والدين فما احوج هؤلاء الفسقة الى محتسب يغير عليهم ما هم فيه من المنكر العظيم واللبس المقيم واعظم من هذا كله انهم يفعلون تلك الحضرة غالباً في المساجد فانهم يتخذون الزاوية باسم الشيخ ويجعلونها مسجدا للصلاة بالمحراب والمنار وغير ذلك ثم يعمرونها بهذه البدعة الشنيعة فكم رأينا من عود ورباب ومزمار على افحش الهيئات في محاريب الصلوات ومن بدعهم الشنيعة محاكاتهم اضرحة الشيوخ لبيت الله الحرام من جعل الكسوة لها وتحديد الحرم على مسافة معلومة بحيث يكون من دخل تلك البقعة من اهل الجرائم آمناً وسوق الذبائح اليها على هيئة الهدى واتخاذ الموسم كل عام وهذا وامثاله لم يشرع الا في حق الكعبة ثم يقع في ذلك الموسم ولاسيما مواسم البادية من المناكر والمفاسد العظام واختلاط الرجال بالنساء باديات متبرجات شأن اهل الاباحة وشأن قوم نوح في جاهليتهم ما تصم عنه الاذان ولا منكر ولا مغير ولا ممتعض(١) للدين لا بل للحسب فاما الدين عند هؤلاء فلا دين فانا لله وانا اليه راجعون على ضيعة الدين وغفلة اهله عنه ويالله ويا للمسلمين لهؤلاء الهمج الرعاع (٢) الذين سلبوا المروءة والحياء والغيرة والعقل والدين والانسانية جملة فليسوا في فطنة الشياطين ولا في سلامة

---

(١) متغضب متضجر من ذلك (٢) الطغام والاوباش

صدور البهائم ولا في نخوة السباع فيغضبوا لدينهم ومروءتهم . ومن جهالاتهم الفظيعة جمعهم بين اسم الله تعالى واسم الولي في مقامات التعظيم كالقسم والاستعطاف وغيرهما فاذا اقسموا قالوا وحق الله وحق سيدي فلان واذا عزموا على احد قالوا دخلت عليك بالله وسيدي فلان واذا سألوا قالوا من يعطينا على الله وعلى سيدي فلان فيعطفون اسم العبد على اسم مولاه بالواو المقتضية للتشريك والتسوية التامة في مقام حظر الشارع ان يتجاوز فيه اسم الله الى غيره وهذا هو صريح الشرك . ومن مناكرهم الجديرة بالتغيير اجتماعهم كل سنة للوقوف يوم عرفة بضريح الشيخ عبدالسلام بن مشيش رضى الله عنه ويسمون ذلك حج المسكين فانظر الى هذه الطامة التي اخترعها هؤلاء العامة. ومن اختراعاتهم تسميتهم لبدعتهم بالحضرة كما قلنا اخذاً من اسم حضرة الله تعالى في اصطلاح الايمة العارفين من الصوفية كأهل رسالة القشيري ومن في معناهم فأوهم هؤلاء الشياطين بهذه التسمية انهم يكونون في حال اشتغالهم بتلك البدعة في حضرة الله تعالى ثم يذهبون فيسمون جنونهم وتخبطهم على تلك الطبول والمزامير بالحال اخذاً من الحال التي تعتري السالك الى الله تعالى في حال ترقيه في درجات المعرفة والوصول وهذا لعمر الله من اقبح الضلالات واشنع الجهالات الى غير ذلك مما اغنى فيه العيان عن الخبر وعرفه الخاص والعام في حالتي الورد والصدر ولسنا ننكر على اولياء الله واهل الخصوصية منهم او على من يسلك سبيلهم على الوجه المقرر في كتب الايمة المقتدى بهم منهم وانما نشرح حال هؤلاء الجهلة الذين لم يأتوا الامر من بابه ولا اخذوه عن اربابه وانما حالهم ما رأيت وعلمت وهذه نفثة مصدور(١) صاحبها عند المنصف معذور

القسم الثانى

فتح الاندلس
والقاء نظرة اجمالية على دولها

كان فتحها على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير عامل افريقية من قبل الوليد بن عبدالملك بن مروان وذلك ان سيده اوعز اليه ان يتناول جزيرة الاندلس ويضيفها الى الممالك الاسلامية فعبر المضيق اليها ونزل على جبل طارق المنسوب اليه من يومئذ وامر بسفنه فردت الى افريقية كي يقنع جيوشه بان ليس له الا احدى الحسنيين فتح او شهادة فتحرك له لذريق ملك القوط واقبل بجر جيوشه فتناجز الفريقان اياماً وكان الظفر لجيش المسلمين وما النصر الا من عند الله. ولما بلغ موسى بن نصير ما اتاح الله لطارق من النصر المبين حسده عليه وامره بان لا يبرح مكانه حتى يلحقه ونهض من القيروان في كتيبة جرارة وعبر المضيق من ناحية الجبل المنسوب اليه (جبل موسى) فلحق به وتمم الفتح وتغلغل في ارض الاندلس (اسبانيا) الى ان اتى على جل اطرافها وتداولتها من يومئذ الامراء من لدن بني امية الى ان تضعضع عرشهم وادال الله الدولة للعباسيين واعمل السفاح اول خلفائهم السيف في بني امية تخلصاً من شرور دهائهم ولكن ابى الله الا ان يمد في اجلهم فنجا من المذبحة عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك فتسرب الى بلاد المغرب وابحر منها الى الاندلس ونودي به خليفة في حديث طويل ودعي بالداخل واسس هناك مملكة حازت

من الفخامة والترقي واستبحار العمران ما شاء دهاء بني امية وغيرتهم على تحدي العباسيين ولا تسل عما بذلوا في نشر العلوم والمعارف مما بقي غرة تلمع في جبين الايام فنبغ فيهم من العلماء والادباء والمؤرخين والاطباء والفلاسفة ما لا يقع تحت الحصر ومن اعظم ملوك هذه الدولة الفخيمة عبدالرحمن المذكور آنفاً مهد الدولة بالاندلس واثل بها الملك العظيم وجدد ما طمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وبنى الجامع الاعظم والقصر بقرطبة وانفق عليه ثمانين الف دينار ومنهم عبدالرحمن الناصر وجد الاندلس مضطربة بالمخالفين فاطفأ نيرانها واستقامت له سائر جهاتها بعد نيف وعشرين سنة من ولايته ودامت ايامه نحو الخمسين سنة استفحل فيها ملك بني امية بالاندلس وهو اول من تسمى منهم امير المؤمنين وسما الى ملك المغرب فتناول سبتة واطاعه ملوك بني ادريس وملك ايضاً مدينة فاس وبنى الزهراء وهي مدينة بشمال قرطبة على ثلاثة اميال وجعلها منتزهاً لجارية له كانت تسمى الزهراء وكان يحبها حباً شديداً فسماها باسمها . ومنهم المنصور بن ابي عامر (واصله من الجزيرة الخضراء) حاجب هشام ابن الحكم تغلب على الخليفة اذ كان صغيراً ابن تسع سنين وحجبه وضرب بين اكابر الدولة حتى خلا له الجو وامر بان يحيى بتحية الملوك ويدعى له على المنابر عقب الدعاء لهشام ونفذت الاوامر باسمه ولم يبق لهشام الا الاسم وبنى لنفسه مدينة سماها الزاهرة نقل اليها خزائن الاموال والاسلحة ولما عظم امره بالاندلس اجاز عساكره الى المغرب فملكه وانقادت له ملوك زناتة ثم جاءت دولة الادارسة الحموديين عبرت اليهم من العدوة واستولت على الاندلس ثم لم ينشب الامر ان عاد لبني امية فتداوله منهم جماعة فيهم المستكفي والدولادة ادبية الاندلس

ثم اشتدت الفتن والقلاقل وانتثر سلك الخلافة وقام الامراء والرؤساء من البربر والعرب والموالى بالجهات واقتسموا خطتها ووزعوا اعمالها وهم ملوك الطوائف واقاموا على ذلك برهة من الزمان الى ان ظهر عليهم يوسف بن تاشفين فاقتلعهم وانتظمت الاندلس في مملكة اللمتونيين الى ان هبت ريح الموحدين فحاربوا لمتونة الى ان نسخوا دولتهم ثم عبروا البحر الى الاندلس وملكوا اكثر بلادها ثم لما التاث امرهم بعد الناصر انتزى السادة (عمال الموحدين) بنواحي الاندلس وصاروا الى الاستجاشة بالطاغية بعضهم على بعض واسلام حصون المسلمين اليه فاجلاهم عنها رجالات الاندلس ومن كان باقياً بها من اعقاب العرب منذ الدولة الاموية وكان ممن تولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي ثم خرج عليه في دولته محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر فجاذبه الحبل وقامت لكل منهما دولة الى ان سقطت دولة ابن هود في يد بني الاحمر وعليهم قامت قيامة الاندلس وتم استيلاء الاسبانيين عليها سنة ٨٩٧ ودولة بني مرين يومئذ قائمة بالمغرب والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

—— علماء الاندلس ——

﴿ طارق فاتح الاندلس ﴾

هو طارق بن زياد البربري مولى موسى بن نصير من اهل افريقية كان رجلا مقداماً شجاعاً حسن التدبير خطيباً مفوهاً وتوفي سنة ١٠٣ وسيده موسى من التابعين روي عن تميم الداري رضي الله عنه وكان عاقلا كريماً شجاعاً ورعاً تقياً لله تعالى لم يهزم له جيش قط وترجمته شهيرة توفي بالمدينة سنة ٩٨ ولطارق

خطبة شهيرة شجع فيها جيوشه المتوقدة حماسة ورغبهم في الجهاد ووعدهم النيل الجزيل وبين لهم الخطة التي يسلكونها عند مصادمة عدوهم قال: ايها الناس اين المفر والبحر من ورائكم والعدو امامكم فليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مأدبة اللئام(١) وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة وانتم لاوزر(٢) لكم غير سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امراً ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب برعبها منكم الجرءة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية فقد القت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم ان سمحتم لانفسكم بالموت واني لم احذركم امراً انا عنه بنجوة(٣) ولا حملتكم(٤) على خطة ارخص متاع فيها النفوس ابدأ بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفه الالذ طويلا فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فما حظكم فيه باوفر من حظي وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان(٥) والحلل المنسوجة بالعقيان(٦) المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبدالملك من الابطال عرباناً ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً(٧) ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة(٨) الابطال والفرسان ليكون حظه معكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة ويكون مغنمها

---

(١) يقول لهم ان حظهم من هذا القوم حظ ايتام فقرآء دخلوا على لئام بطرين في وليمتهم

(٢) الحصن (٣) البعد (٤) يعني دون نفسي (٥) صغار اللؤلؤ او المرجان المعروف (٦) الذهب

(٧) جمع ختن وهو الصهر (٨) مضاربتهم بالسيوف

خالصاً لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاءالله فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتم امره ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون امركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون .

﴿ الغزال ﴾

يحيى بن حكم البكري(١) الجياني الملقب بالغزال لجماله حكيم الاندلس وشاعرها كان مطبوع النظم في الحكم والجد والهزل وهو مع ذلك جليل في نفسه وعلمه ومنزلته عند امراء بلده عمر اربعاً وتسعين سنة ولحق اعصار خمسة من الخلفاء المروانيين بالاندلس وهم عبدالرحمن بن معاوية(٢) وهشام والحكم وعبدالرحمن ومحمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام المذكورين وفي ذلك يقول

ادركت بالمصر ملوكا اربعه   وخامسا هذا الذي نحن معه

وشعره كثير مجموع كما قال في بغية الملتمس قال ابن حيان: وله في فتح الاندلس ارجوزة حسنة مطولة ذكر فيها السبب في غزوها نظماً وتفصيل الوقائع بين المسلمين واهلها وعدد الامراء عليها واسماءهم فاجاد وتقصى وهي بايدي الناس موجودة. وكانت وفاته سنة ٢٥٠

---

(١) نسبة الى بكر بن وائل (٢) الملقب بالداخل مؤسس الدولة الاموية بالاندلس .

من لطيف اشعاره

قال عند ركوب البحر وقد ارسله بعض ملوك بني امية الى ملك الروم:

قال لي يحيى وصرنا بين موج كالجبال
وتولتنا رياح من دبور وشمال
شقت القلعين وانبـ ـتث عرى تلك الحبال
وتمطى ملك المو ت الينا عن حيال(١)
فرأينا الموت رأي الـ ـعين حالا بعد حال

ودخل العراق بعد موت ابي نواس بمدة يسيرة فوجدهم يلهجون بذكره ولا يساوون شعر احد بشعره فجلس يوماً مع جماعة منهم فأزروا باهل الاندلس واستهجنوا اشعارهم فتركهم حتى وقعوا في ذكر ابي نواس فقال لهم من يحفظ منكم قوله وانشدهم لنفسه على انموذج شعره:

ولما رأيت الشرب أكدت(٢) سماؤهم تأبطت زقي واحتبست عناءي
فلما اتيت الحان ناديت ربه فثاب خفيف الروح نحو نداءي
قليل هجوع العين الا تعلة على وجل مني ومن نظراءي
فقلت اذقنيها فلما اذاقها طرحت عليه ريطتي(٣) ورداءي
وقلت اعرني بذلة استتر بها بذلت له فيها طلاق نساءي
فوالله ما برت يميني ولا وفت له غير اني ضامن بوفاءي
فأبت الى صحبي ولم اك آيباً فكل يفديني وحق فداءي

---

(١) قبالة الشيء وقعد حياله وبحياله بازائه (٢) بخلوا ولم يجودوا بشيء (٣) الملاءة غير ذات لفقين وقيل كل ثوب لين رقيق.

فاعجبوا بالشعر فلما اطنبوا في مدحه وتغالوا في وصفه قال انه ياقوم لنجيكم مذ اليوم وقال ايضاً :

اری اهل اليسار اذا توفوا بنوا على تلك المقابر بالصخور
ابوا الا مباهاة وفخرا على الفقراء حتى في القبور
فان يكن التفاضل في ذراها فان العدل فيها في القعور
رضيت بمن تأنق في بناء فبالغ فيه تصريف الدهور
الما يبصروا ما خربته الـ ـدهور من المدائن والقصور
لعمر ابيهم لو ابصروهم لما عرف الغني من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالي ولا عرفوا الاناث من الذكور
ولا من كان يلبس ثوب صوف من البدن المباشر للحرير
اذا اكل الثرى هذا وهذا فما فضل الكبير على الحقير

وقال ايضاً :

لا ومن اعمل المطايا اليه كل من يرتجي اليه نصيبا
ما ارى هاهنا من الناس الا ثعلباً يطلب الدجاج وذيبا(١)
وشبيهاً بالقط القى بعينيـ ـه الى فارة يريد الوثوبا

وماجرياته كثيرة كلها مستعذبة . انظر نفح الطيب

﴿ ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ﴾

ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي . قال في مطمح الانفس : عالم ساد بالعلم ورأس . واقتبس به من الحظوة ما اقتبس . وشهر بالاندلس حتى

---

(١) اي يطلب الشياه ففيه اكتفاء .

سار الى المشرق ذكره . واستطار شرر الذكاء فكره . وكانت له عناية بالعلم وثقة . ورواية له متسقة . واما الادب فهو كان حجته. وبه غمرت الافهام لجته. مع صيانة وورع . وديانة ورد ماءها فكرع . وله التأليف المشهور الذي سماه العقد .وحماه عن عثرات النقد . لانه ابرزه مثقف القناة . مرهف الشباه.تقصر عنه ثواقب الالباب. وتبصر السحر منه في كل باب. وله شعر انتهى منتهاه . وتجاوز سماك الاحسان وسماه. هـ — وتأليفه المذكور من الكتب الممتعة حوى من كل شيء وقد رتبه على خمسة وعشرين كتاباً وسم كل كتاب بجوهرة من جواهر العقد: اللؤلؤة والفريدة والزبرجدة والجمانة والمرجانة والياقوتة والجوهرة والزمردة والدرة واليتيمة والعسجدة والمجنبة والواسطة ثم المجنبة الثانية والعسجدة الثانية الى اللؤلؤة الثانية . وقد اختصره الاديب البارع النحوي ابوالحسن علي بن ابراهيم بن سعد الخير البلنسي احد تلامذة ابن السيد المتوفي سنة ٥٧١ وهو القائل في رمانة مشقوقة :

وساكنة من ظلال الغصون بخدر تروقك افنانه
تضاحك اترابها فيه اذ غدا الجو تدمع اجفانه
كما فغر(١) الليث فاه وقد تضرج بالدم أسنانه

وتوفي ابن عبد ربه سنة ٣٢٨ .

من درر عقده

خطبة الحجاج بن يوسف يوم دخل العراق قال : بعث عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف والياً على العراق وامره ان يحشر الناس الى المهلب في حرب الازارقة فلما اتى الكوفة صعد المنبر متلثماً متنكباً قوسه فجلس واضعاً ابهامه على فيه فنظر محمد بن عمير بن عطارد التميمي فقال لعن الله هذا ولعن من ارسله الينا ارسل غلاماً لا يستطيع ان ينطق عيا (٢) واخذ حصاة بيده ليحصبه بها فقال له جنيسه لا تعجل حتى ننظر فقام الحجاج فكشف لثامه عن وجهه وقال :

---

(١) اي فتح (٢) حصرا .

انا ابن جلا(١) وطلاع الثنايا(٢)　　متى اضع العمامة تعرفوني
صليب العود من سلفي نزار　　كنصل السيف وضاح الجبين
اخو خمسين مجتمع اشدي　　ونجدني(٣) مداورة الشئون

اما والله لاحمل الشر بثقله واحذوه بنعله واجزيه بمثله . اما والله اني لارى رؤوساً قد اينعت وحان قطافها وكأني ارى الدماء بين العمائم واللحى

هذا اوان الشد فاشتدي زيم(٤)　　قد لفها الليل بسوّاق حطم(٥)
ليس براعي ابل ولا غنم　　ولا بجزار على ظهر وضم

الا وان امير المؤمنين عبدالملك بن مروان نكب كنانته(٦) فعجم عيدانها(٧) فوجدني اصلبها عوداً فوجهني اليكم فانكم طالما سعيتم في الضلالة وسننتم سنن البغي . اما والله لالحونكم لحو(٨) العصا ولاعصبنكم عصب السلمة(٩) ولاقرعنكم قرع المروه(١٠) ولاضربنكم ضرب غرائب الابل(١١) والله ما اخلق(١٢) الا فريت(١٣) ولا اعد الا وفيت ولا اغمز تغماز التين ولا يقعقع لي بالشنان(١٤) اياي وهذه الزرافات(١٥) والجماعات وقيل وقال وما يقال وفيم انتم ونحو هذا من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب ضربت عنقه ثم قال ياغلام اقرأ عليهم كتاب امير المؤمنين فقرأ عليهم :

(١) واضح الامر　(٢) مقدم على صعاب الامور مجرب لها يعلوها ويقهرها بمعرفته وتجاربه وجودة رأيه　(٣) من التنجيد وهو التحنيك　(٤) قطع من الابل بين الثلاثة والخمسة عشر (٥) لفها ضمها وجمعها . والسواق السائق . والحطم الراعي الظلوم للماشية　(٦) نكب كنانته قلبها ونثر ما فيها　(٧) عجم العود عضه ليعلم صلابته من رخاوته　(٨) لحا العصا قشرها　(٩) السلمة شجرة اذا ارادوا قطعها عصبوا اغصانها عصباً شديداً حتى يصلوا الى اصلها فيقطعوها　(١٠) المروة اصلب الحجارة ويعرف بالصوان　(١١) هي الابل الغريبة التي تقدم لورود الماء فيطردها اهله ويمنعونها الورود　(١٢) خلق الثوب قدره قبل قطعه　(١٣) وفرى قطع يقول لها اشرع في امر الا اتيت على اخره كيفما كان　(١٤) سبق معناه　(١٥) الجماعات

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالملك بن مروان الى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم .فلم يقل احد شيئاً فقال الحجاج اسكت ياغلام هذا ادب ابن نهية والله لاودبنكم غير هذا الادب او لتستقيمن اقرأ ياغلام كتاب امير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلام عليكم لم يبق احد في المسجد الا قال وعلى امير المؤمنين السلام ثم نزل فأتاه عمير بن ضابي فقال ايها الامير اني شيخ كبير عليل وهذا ابني اقوى على الغزو مني فقال اجيزوا ابنه عنه فان الحدث احب الينا من الشيخ فلما ولى الرجل قال عنبسة بن سعيد ايها الامير هذا الذي ركض عثمان برجله وهو مقتول فقال ردوا الشيخ فردوه فقال اضربوا عنقه فقال فيه الشاعر(١)

تجهز فاما ان تزور ابن ضابىء عميرا واما ان تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حولياً(٢) من البلج اشهبا

ومن ذلك قوله ايضاً :

يوم دارة جلجل

قال الفرزدق اصابنا بالبصرة ليلا مطر جود(٣) فلما اصبحت ركبت بغلتي وصرت الى المربد(٤) فاذا انا بآثار دواب وقد خرجت الى ناحية البرية فظننت انهم قوم خرجوا للنزهة وهم خلقاء ان يكون معهم سفرة(٥) فاتبعت آثارهم حتى انتهت الى بغال عليها رحائل موقوفة على غدير فاسرعت الى الغدير فاذا فيه نسوة مستنقعات في الماء فقلت لم ار كاليوم قط ولا يوم دارة جلجل وانصرفت

---

(١) هو عبدالله بن الزبير بصيغة المكبر (٢) الحولي في الاصل ما اتى عليه حول من ذي حافر وغيره (٣) غزير (٤) بوزن منبر موضع بالبصرة (٥) هي في الاصل طعام المسافر.

مستحيياً فناديني ياصاحب البغلة ارجع نسألك عن شيء فرجعت اليهن فقعدن في الماء الى حلوقهن ثم قلن بالله الا ما اخبرتنا ما كان من حديث دارة جلجل فقلت حدثني جدي وانا يومئذ غلام حافظ ان امرأ القيس كان عاشقاً لابنةعمه ويقال لها عنيزة وانه طلبها زماناً فلم يصل حتى كان يوم الغدير وهو يوم دارة جلجل وذلك ان الحي تحملوا فتقدم الرجال وتخلف النساء والخدم والثقل(١) فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعدما سار مع رجال قومه غلوة فكمن في غابة من الارض حتى مر به النساء وفيهن عنيزة فلما وردن الغدير قلن لو نزلنا واغتسلنا في هذا الغدير فذهب عنا بعض الكلال فنزلن في الغدير ونحين العبيد ثم تجردن فوقفن فيه فاتاهن امرؤ القيس فاخذ ثيابهن فجمعها وقعد عليها وقال والله لا اعطي جارية منكن ثوبها ولو قعدت في الغدير يومها حتى تخرج متجردة فتأخذ ثوبها فأبين ذلك عليه حتى تعالى(٢) النهار وخشين ان يقصرن(٣) عن المنزل الذي يردنه فخرجن جميعاً غير عنيزة فناشدنه الله ان يطرح ثوبها فأبى فخرجت فنظر اليها مقبلة ومدبرة واقبلن عليه فقلن له عذبتنا وحبستنا وأجعتنا قال فان نحرت ناقتي اتأكلن معي قلن نعم فجرد سيفه فعرقبها ونحرها ثم كشطها وجمع الخدم حطباً كثيراً فأججن ناراً عظيمة فجعل يقطع اطايبها ويلقي على الجمر ويأكلن ويأكل معهن ويشرب من فضلة كانت معه ويسقيهن وينفذ الى العبيد من الكباب فلما ارادوا الرحيل قالت احدهن انا احمل طنفسته وقالت الاخرى انا احمل رحله ونساعده فتقسمن متاعه وزاده وبقيت عنيزة لم تحمل له شيئاً فقال لها يا بنت الكرام لا بد ان تحمليني معك فاني لا اطيق المشي فحملته على

---

(١) بالتحريك متاع المسافر . (٢) ارتفع (٣) يعني لا يبلغنه .

غارب بعيرها فكان يجنح اليها فيدخل رأسه في خدرها فيقبلها فاذا امتنعت مال حدجها(١) فتقول عقرت بعيري فانزل ففي ذلك يقول :

ويوم عقرت للعـذار مطيتي   فياعجباً من كورها(٢) المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها   وشحم كهداب الدمقس(٣) المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة   فقالت لك الويلات انك مرجلي
فقلت لها سيري وارخي زمامه   ولا تبعديني من جناك المعلل

وكان الفرزدق اروى الناس لاخبار امرىء القيس واشعاره وذلك ان امرأ القيس رأى من ابيه جفوة فلحق بعمه شراحيل بن الحرث وكان مسترضعاً في بني دارم فاقام فيهم وهم رهط الفرزدق

من انيق اشعاره

قال في النفح : اخبرني بعضهم ان الخطيب ابا الوليد بن عيال حج فلما انصرف تطلع الى لقاء المتنبي واستشرف ورأى ان لقياه فائدة يكتسبها وحلة فخر لا يحتسبها فصار اليه فوجده في مسجد عمرو بن العاص ففاوضه قليلا ثم قال انشدني لمليح الاندلس يعني ابن عبد ربه فانشده :

يالؤلؤاً يسبي العقول انيقا   ورشا بتقطيع القلوب حقيقا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله   دراً يعود من الحياء عقيقـا
واذا نظرت الى محاسن وجهه   ألفيت وجهك في سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة   ما بال قلبك لا يكون رقيقا

---

(١) الحدج مركب للنساء (٢) الرحل بأداته (٣) الحرير .

فلما اكمل انشادها استعادها منه وقال يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبواً . وله ايضاً :

ومعذر نقش الجمال بمسكه خداً له بدم القلوب مضرجا(١)
لما تيقن ان عضب جفونه من نرجس جعل النجاد(٢) بنفسجا

وله ايضاً :

يا ذا الذي خط العذار بوجهه خطين هاجا لوعة وبلابلا(٣)
ما صح عندي ان لحظك صارم حتى لبست بعارضيه حمائلا

ولـه :

ودعتني بزفرة واعتناق ثم نادت متى يكون التلاقي
وبدت لى فأشرق الصبح منها بين تلك الجيوب والاطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم بين عينيك مصرع العشاق
ان يوم الفراق افظع يوم ليتني مت قبل يوم الفراق

﴿ ابن هانئ الأندلسي اشعر المغاربة على الاطلاق ﴾

هو ابو القاسم محمد بن هانئ الازدي ولد باشبيلية وبها نشأ وتأدب وقال الشعر فأغرق فيه وخضعت له معانيه وقوافيه وغاص على نفيس درره ومكنون دقائقه لحد تقف دونه المطامع وهو عند المغاربة كالمتنبي عند المشارقة ولذلك كثيراً ما يدعى بمتنبي المغرب وكانا متعاصرين . واتصل بملك اشبيلية وحظي عنده وابتسم له الدهر الا انه سوّد جبين حياته بتقعره في الفلسفة المتطرفة وانتحاله مذهب ابي العلاء المعري مما كان سبباً لنبذه من مسقط رأسه الى عدوة

---

(١) ملطخاً (٢) حمائل السيف (٣) احزاناً.

المغرب ومع ذلك ابى البخت الا ان يخدمه فاتصل بالمعز لدين الله وراجع مناه ومشتهاه ولما عزم المعز على الذهاب الى مصر ودعه على اللحاق والوصلة به هنالك فرجع الى الاندلس لاخذ عياله وتجهز ولما وصل الى برقة اضافه شخص من اهلها فقضى معه اياماً في قصف ولهو وما قرع فكره ان الموت يتحفز للوثوب عليه حتى اصبح حليف لحده واختلف في ميتته فقيل ان اهل الدار عربدوا عليه وقتلوه وقيل غير ذلك وكان ذلك سنة ٣٦٢

ومن لطيف شعره قوله

أليلتنا اذ ارسلت وارداً(١) وحفا(٢)   وبتنا نرى الجوزاء في اذنها شنفا
وبات لنا ساق يقوم على الدجا   بشمعة صبح لا تقط(٣) ولا تطفا
اغن غضيض خفف اللين قده   وثقلت الصهباء اجفانه الوطفا(٤)
ولم يبق ارعاش المدام له يدا   ولم يبق اعنات التثني له عطفا
يقولون حقف فوقه خيزرانة   اما يعرفون الخيزرانة والحقفا

ومنها :

كأن ظلام الليل اذ مال ميلة   صريع مدام باب يشربها صرفا
كأن عمود الصبح خاقان معشر   من الترك نادى بالنجاشي فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر   رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وله ايضاً

فتقت لكم ريح الجلاد(٥) بعنبر   وامدكم فلق الصباح المسفر

---

(١) الشعر المسترسل (٢) الشعر الكثير الاسود (٣) من قط قطع والمقطة آلة القط (٤) من الوطف بالتحريك وهو كثرة شعر العينين والحاجبين (٥) المضاربة بالسيوف .

وجنيتم ثمر الوقائع يانعاً بالنصر من علو الحديد الاحمر
ابني العوالى السمهرية والسيو ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه تحت السوابغ تبع في حمير
جيش تعد له الليوث وقوفها كالغيل(١)من قصب الوشيج(٢)الاخضر
وكأنما سلب القشاعم(٣) ريشها مما يشق من العجاج الاكدر
لحق القبول مع الدبور وسار في جمع الهرقل وعزمة الاسكندر
في فتية صدا الحديد لباسهم في عبقري البيض جنة عبقر
وكفاد من حب السماحة انه منها بموضع مقلة من محجر(٤)

ومنها :

نعماؤه من رحمة ولباسه من جنة وعطاؤه من كوثر

وله على هذا النفس النفيس شيء كثير .

(* الحافظ الاديب المؤرخ ابن الفرضي *)

ابو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي القرطبي الحافظ المشهور . قال في النفح: كان فقيهاً عالماً عارفاً بفنون علم الحديث ورجاله بارعاً في الادب وغيره وله من التاليف تاريخ علماء الاندلس وقفت عليه بالمغرب وهو بديع في بابه وهو الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة وله كتاب حسن في المؤتلف والمختلف وفي مشتبه النسبة وكتاب في اخبار شعراء الاندلس وغير ذلك ورحل من الاندلس الى المشرق عام ٣٨٣ فحج وسمع من العلماء

---

(١) مأوى الاسد (٢) شجر الرماح (٣) جمع قشعم وهو المسن من النسور (٤) بوزن مجلس وهو ما حول العين مكتنفاً لها .

واخذ عنهم وكتب من اماليهم وكان حسن الشعر والبلاغة وقال ابومروان بن حيان في حقه ولم ير مثله بقرطبة في سعة الرواية وحفظ الحديث ومعرفة الرجال والافتنان في العلوم الى الادب البارع والفصاحة المطبوعة قلما كان يلحن في جميع كلامه من غير حوشية(١) مع حضور الشاهد والمثل .هـ . وولي القضاء ببلنسية في دولة محمد المهدي المرواني وقتله البربر يوم فتح قرطبة يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة ٤٠٣ اخرج ابن بشكوال في كتاب الصلة عنه انه قال تعلقت باستار الكعبة وسألت الله الشهادة ثم انحرفت وفكرت في هول القتل فندمت وهممت ان ارجع فاستقيل الله سبحانه وتعالى فاستحييت واخبر من رآه بين القتلى ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف لا يكلم احد في سبيل الله والله اعلم بمن يكلم في سبيله الاجاء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً اللون لون الدم والريح ريح المسك كأنه يعيد على نفسه الحديث الوارد في ذلك .قال ثم قضى على اثر ذلك رحمه الله .

من فوائده في تاريخ علماء الاندلس

ترجمة موسى بن نصير مولى طارق . قال :

موسى بن نصير يكنى ابا عبدالرحمن .اخبرنا محمد بن احمد الحافظ قال : اخبرنا عبدالرحمن بن احمد بن يونس قال : موسى بن نصير صاحب فتح الاندلس يقال مولى لخم يروى عن تميم الداري روى عنه يزيد بن مسروق اليحصبي قرأت في كتاب ابن قديد بخطه وفي سنة سبع وتسعين توفي موسى بن نصير رحمه الله بوادي القرى حدثنا ابومحمد الحسن بن اسماعيل قال اخبرنا

---

(١) الفاظ غريبة وحشية .

ابوسفيان محمد بن عبدالرحمن بن معاوية العتبي قال اخبرنا ابي ابوالقاسم عبدالرحمن بن معاوية قال اخبرنا ابوعثمان سعيد بن كثير بن عفير الانصاري قال وفي سنة احدى وتسعين غزا موسى بن نصير الاندلس ففتح الله على يديه حدثنا الخطاب قال حدثنا عبدالله بن يونس قال اخبرنا بقي بن مخلد قال اخبرنا خليفة بن خياط قال وفي سنة اثنين وتسعين وجه موسى بن نصير مولاه طارقاً فأتى طنجة وهي على ساحل البحر وعبر الى الاندلس فلقيه ملكها فقتل وسبى واسر فقتل الاسارى وقتل ملكهم قال خليفة وفي سنة ثلاث وتسعين غزا موسى ابن نصير بلاد المغرب فحدثني بكر بن عطية عن عوانة قال غزا موسى بن نصير في المحرم سنة ثلاث وتسعين فأتى طنجة ثم عبر لا يأتي على مدينة الا فتحها وينزلون على حكمه ثم سار الى قرطبة وقال خليفة وفي سنة اربع وتسعين قدم موسى بن نصير من الاندلس وافداً الى الوليد بن عبدالملك يخبره بما فتح الله على يديه وما معه من الاموال والتيجان وبعث اليه بالخمس وفي سنة خمس وتسعين قفل موسى بن نصير من افريقية واستخلف ابنه عبدالله بن موسى بن نصير وحمل الاموال على العجل والظهر ومعه ثلاثون الف رأس فقدم على الوليد ولم يزل عبدالله يخلف اباه موسى بافريقية حتى مات الوليد ثم ولى سليمان فأقره على افريقية ثم عزله سنة سبع وتسعين اخبرنا ابوبكر احمد بن محمد بن اسماعيل المهندس وابو القاسم بن ابي غالب البزاز بمصر قالا اخبرنا علي بن الحسن بن قديد قال اخبرنا عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم قال اخبرنا عبدالملك بن مسلمة قال اخبرنا الليث بن سعد أن موسى بن نصير حين فتح الاندلس كتب الى الوليد بن عبدالملك انها ليست الفتوح ولكنها الحشر .

﴿ صاعد ﴾

ابو العلاء صاعد بن الحسين بن عيسى البغدادي اللغوي صاحب كتاب الفصوص اصله من بلاد الموصل ودخل بغداد واخذ عن علمائها كأبي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي وابي سليمان الخطاب ورحل الى الاندلس في ايام هشام بن الحكم وولاية حاجبه المنصور بن ابي عامر في حدود الثمانين وثلاثمائة وكان عالماً باللغة والادب والاخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة ممتع المحاضرة فاكرمه المنصور وزاد في الاحسان اليه والافضال عليه وجمع له كتاب الفصوص نحى فيه منحى القالي في اماليه فان المنصور لما رأى منه ما رأى من الاستحضار وسرعة البديهة حتى كان لا يجري في المجلس كلمة الا انشد عليها شاهداً واتى بحكاية تجانسها اعجب به ثم اراه كتاب النوادر لابي علي القالي فقال صاعد ان اراد الحاجب المنصور امليت على كتاب دولته كتاباً ارفع منه واجل لا اورد فيه خبراً مما اورده ابوعلي فاذن له المنصور في ذلك وجلس بجامع الزاهرة فاملى كتابه المترجم بالفصوص فلما اكمله تتبعه ادباء الوقت فلم تمر بهم فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم فأمر المنصور به فقذف في النهر فقال فيه بعض الشعرآء :

قد غاص في البحر كتاب الفصوص   وهكذا كل ثقيل يغوص

فاجابه صاعد :

عاد الى معدنه انما   تخرج من قعر البحار الفصوص

قال ابن بسام وما اظن احداً يجترىء على مثل هذا وانما صاعد اشترط ان لا يأتي الا بالغريب غير المشهور واعانهم على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب

وكانت وفاته بصقلية سنة ٤١٧ فانه كان قد هاجر اليها عند ظهور الفتنة بالاندلس

من لطيف اشعاره التي انشأها بديهة من غير روية

كان بين يدي المنصور فاحضرت اليه باكورة ورد في اول ابانها لم يستتم فتح ورقها فقال فيها صاعد مرتجلا :

اتتك ابا عامر وردة يذكرك المسك انفاسها
كعذراء ابصرها مبصر فغطت باكمامها راسها

فسر بذلك المنصور وكان ابو القاسم بن العريف حاضراً فحسده وتصدى لمناقضته وقال للمنصور هذان البيتان لغيره وقد انشدنيهما بعض البغداديين بمصر للعباس بن الاحنف وهما عندي على ظهر كتاب بخطه فقال له المنصور ارنيه فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى اتى مجلس ابن بدر وكان احسن اهل زمانه بديهة فوصف له ما جرى فقال ابياتاً ودس فيها بيتي صاعد وهي :

عشوت الى قصر عباسة وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها وقد صرع السكر أناسها
فقالت اسار على هجعة فقلت نعم فرمت كاسها
ومدت يديها الى وردة يحاكي شذا المسك انفاسها
كعذراء ابصرها مبصر فغطت باكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحـ ـن في ابنة عمك عباسها(١)
فوليت عنها على غفلة وما خنت ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ومداد اشقر

---

(١) على حذف حرف النداء والمراد عباس بن الاحنف لما علمت من نسبة الابيات اليه .

ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا امتحنه فان فضحه الامتحان لم يبق بموضع لى فيه سلطان فلما اصبح وجه أليه المنصور فحضر واحضر جميع الندماء فدخل بهم وبه الى مجلس حفل قد اعد فيه طبقاً عظيماً جعل فيه سقائف(١) مصنوعة من جميع النواوير ووضع على السقائف لعباً من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماء قد القى فيها اللآلىء مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور ان هذا يوم اما ان تسعد فيه معنا واما ان تشقى بالضد عندنا لأنه قد زعم قوم ان كل ما تأتي به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ما توهمت انه حضر بين يدي ملك قبلي شكله فصفه بجميع ما فيه فقال صاعد بديهة :

أبا عامر هل غير جدواك واكف ... وهل غير من عاداك في الارض خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة ... واغرب ما يلقاه عندك واصف
وشائع(٢) نور صاغها هامر الحيا(٣) ... على حافتيها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت ... عليها بانواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنساً(٤) ... تظللها بالياسمين السقائف
واعجب من ذا انهن نواظر ... الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلىء سابح في عبابها ... من الرقش مسموم الثعابين زاحف
ترى ما تشاء العين في جنباتها ... من الوحش حتى بينهن السلاحف

(١) جمع سقيفة وهي الساباط . (٢) انوار مختلطة لفت الى بعضها (٣) المطر (٤) بوزن ركع جمع كناس وهو بيت الظبي ويجمع ايضاً على كنس بزنة كتب وهو القياس .

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة في مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحية تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور احسنت الا انك اغفلت ذكر المركب والجارية فقال للوقت :

واعجب منها غادة في سفينة　　مكللة تهفو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقي　　بسكانها ما انذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان(١) مركب　　تصرف في يمنى يديها المجاذف
ولم ترعيني في البلاد حديقة　　تنقلها في الراحتين المناصف(٢)
ولا غرو ان ساقت معاليك روضة　　وشتها ازاهير الربى والزخارف
فانت امرؤ لو رمت نقل متالع　　ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
اذا قلت قولا او بدهت بديهة　　فكلني لها اني لمجدك واصف

فأمر له المنصور بالف دينار ومائة ثوب ورتب له في كل شهر ثلاثين ديناراً وألحقه بالندماء . ه . انظر نفح الطيب وبغية الملتمس وغيرهما .

﴿ الحصري(٣) ﴾

ابو الحسن علي بن عبدالغني الفهري المقريء الضرير القيرواني الشاعر المشهور .قال ابن بسام صاحب الدخيرة في حقه : كان بحر براعة ورأس صناعة وزعيم جماعة طرأ على جزيرة الاندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه القيروان والادب يومئذ بافقنا نافق السوق معمور الطريق فتهادته ملوك طوائفها تهادي الرياض بالنسيم وتنافسوا فيه تنافس الديار بالانس المقيم

(١) الرئيس　(٢) جمع منصف كمنبر وهو الخادم　(٣) نسبة الى عمل الحصر او بيعها .

على انه كان فيما بلغني ضيق العطن مشهور اللسن يتلفت الى الهجاء تلفت الظمئان الى الماء ولكنه طوي على غره واحتمل بين زمانه وبعد قطره ولما خلع ملوك الطوائف بافقنا اشتملت عليه مدينة طنجة وقد ضاق ذرعه وتراجع طبعه .ه.

وكان عالماً بالقراءآت وطرقها على غزارة وبله في الشعر والادب واقرأ الناس القرآن الكريم بسبتة وغيرها وله قصيدة في قراءآت نافع عدد ابياتها مائتان وتسعة .ولد ونشأ بالقيروان ولما اصماها الدهر وطحن اهلها بكلكله بما توالت عليها من الفتن والقلاقل فارقها الى طنجة واستوطنها مدة ثم دخل بعد الاندلس وامتدح المعتمد وغيره من ملوك الطوائف ولم يزل كما سبق يتردد بين قصورهم ويرتشف من ازهارهم الى ان ثلت عروشهم وأفلت بدورهم فغادرها الى طنجة واقام بها الى وافاه اجله سنة ٤٨٨ وابو الحسن هذا هو ابن خالة ابي اسحاق الحصري القيرواني صاحب زهر الاداب وثمر الالباب .

من لطائفه

لما كان مقيماً بطنجة ارسل غلامه الى المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية وهم يسمونها حمص فأبطأ عنه وبلغه ان المعتمد لم يحتفل به فقال :

نبه الركب الهجوعا ولم الدهر الفجوعا
حمص الجنة قالت لغلامي لا رجوعا
رحم الله غلامي مات في الجنة جوعا

وقد التزم فيها لزوم ما لا يلزم . وبعث اليه المعتمد وهو بالقيروان خمسمائة دينار وامره ان يتجهز بها ويتوجه اليه فكتب له :

امرتني بركوب البحر اقطعه   غيري لك الخير فاخصصه بذا الداء
ما انت نوح فتنجيني سفينته   ولا المسيح انا امشي على الماء

ومن شعره ايضاً :

اقول له وقد حيّا بكاس   لها من مسك ريقته ختام
أمن خديك يعصر قال كلا   متى عصرت من الورد المدام

﴿ ابن زيدون ﴾

ابو الوليد احمد بن عبدالله بن زيدون المخزومي القرطبي . ولد بقرطبة واشتغل على علمائها وكلف بصناعة الادب والبحث عن اسرار اللغة والتنقيب عن دقيق دقائقها حتى برز امام الصناعة المجلّي بلا منازع وكعبة طوافها بلا مدافع. وتمنطقت لخدمته دقائق الاستعارات. ولانت بين انامله ضروب المجاز ولطائف الكنايات. وهتك حجاب الهيبة عن الحكم والامثال والتشبيهات وادخرها لتلك البراعة الناصعة .وشار معاني الشعر ومغازيه واحتكرها غذاء لتلك الافكار البارعة.وكان يكنّى بحتري المغرب لحسن ديباجة لفظه ووضوح معانيه وكان يكثر في شعره من استعمال الامثال واشعار المتقدمين والمتأخرين حتى قيل ان رسائله اشبه بالمنظوم من المنثور وذلك يدل على اطلاع نادر واستحضار معجز وكان فصيح المنطق حاضر الجنان .قال ابن بسام في الذخيرة: عهدي بابن زيدون قائماً على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما سمعته يجيب احداً بما اجاب به غيره لسعة ميدانه وحضور جنانه وكان انقطع الى ابي الحزم بن جهور احد ملوك الطوائف وحظي عنده واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الاندلس فاعجب به القوم وودوا ميله اليهم لبراعته وحسن

سيرته فاتفق ان نقم ابن جهور عليه فاودعه السجن فاستعطفه ابن زيدون برسائل بديعة وقصائد عجيبة فما اجدى ذلك شيئاً فانتهز فرصة الفرار الى المعتضد عباد بن محمد صاحب اشبيلية فخف عليه وجعله من خواصه يجالسه في خلواته ويركن الى اشارته وكان عنده في صورة وزير ولم يزل عنده وعند ابنه المعتمد قائم الجاه وافر الحرمة الى ان اختلسته المنية هناك سنة ٤٦٣ .واشتهر في زمن ابن زيدون من اديبات الاندلس ولادة بنت المستكفي بالله احد خلفاء بني امية بالاندلس وكانت شمس القطر وبهجته حسنة المجلس شهيته تساجل الادباء وتناضل الشعراء وكان لها نادي جمع يعشقه كل رقيق الطبع ومن شعرها:

لحاظكم تجرحنا في الحشا　　ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا　　فما الذي اوجب هذا الصدود

على عفاف متين وهمة تحجب عن كل ما يشين:

غيد حرائر ما هممن بريبة　　كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا　　ويصدهن عن الخنا الاسلام

وفيها خلع ابن زيدون عذاره واعطى هواه فضل زمامه وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات الرقاق الفتانة .

نبذة من عبقرياته

من ذلك رسالة بديعة جداً تمثل عراقته في الصناعة وعلو كعبه في العبث باساليب البلاغة خاطب فيها الوزير ابن عبدوس على لسان ولادة وكان يشاركه في هواها وكانت كثيرة العبث به ولقد حذره ابن زيدون ذلك السهل الممتنع حيث يقول مخاطباً له من قصيدة :

وغرك من حب ولادة   سراب تراءى وبرق ومض
هي الما يعز على قابض   ويمنع زبدته من مخض

وأبى ابن عبدوس الا ان يقع في جرأة خاصي الاسد. وشأن الشجي ان لا يصغى لقول احد. فأوفد اليها امرأة تستميلها اليه وتذكر لها من محاسن الشيخ ومناقبه. وترغبها في الانفراد به دون صاحبه. وتزهدها في ذلك الشاب. الغض الاهاب. ونمى ذلك الى ابن زيدون فأثار اشجانه وهيج بلابله فجهز اليه هذه الرسالة التي شفى بها حزازات قلبه بما اودعها من الهزء والتهكم وقد شحنها بفنون الاداب ولمع التواريخ والامثال العربية الشعرية والنثرية وعلى هذا النموذج كل رسائله . ونفاستها ومكانتها من عالم الادب تقضي علي باثباتها ثم ليتناول منها التلامذة ما قدروا عليه وما وصلت يدهم الى اقتطافه . قال :

اما بعد ايها المصاب بعقله . المورّط بجهله. البيّن سقطه. الفاحش غلطه. العاثر في ذيل اغتراره. الاعمى عن شمس نهاره. الساقط سقوط الذباب على الشراب. المتهافت تهافت الفراش في الشهاب .فان العجب اكذب. ومعرفة المرء نفسه اصوب. وانك راسلتني مستهدياً من صلتي ما صفرت(١) منه ايدي امثالك متصدياً من خلتي لما قرعت دونه انوف اشكالك(٢). مرسلاً خليلتك مرتادة(٣). مستعملاً عشيقتك قوادة. كاذباً نفسك انك ستنزل عنها اليّ .وتخلف بعدها عليّ .

ولست باول ذي همة   دعته لما ليس بالنائل

ولا شك انها(٤) قلتك اذ لم تضن بك(٥). وملتك اذ لم تعز عليك. فانها اعذرت(٦)

---

(١) خلت (٢) اي انك تخطب من مودتي ما لا يصلح له امثالك واشكالك فدفعوا عنه وضربت انوفهم دونه (٣) طالبة واصل الارتياد طلب الكلأ (٤) الضمير للخليلة (٥) والمعنى ابغضتك لانها لم تبخل بك على من تصحبه دونها (٦) اي لم تكرم عليك (٧) بلغت عذر الاجتهاد لك في الصلة بيني وبينك

في السفارة لك . وما قصرت في النيابة عنك . زاعمة ان المروءة لفظ انت معناه. والانسانية اسم انت جسمه وهيولاه(١). قاطعة انك انفردت بالجمال. واستأثرت بالكمال. واستعليت في مراتب الجلال. واستوليت على محاسن الخلال .حتى خيّلت ان يوسف عليه السلام حاسنك(٢) فغضضت منه. وان امرأة العزيز(٣) رأتك فسلت عنه. وأن قارون(٤) اصاب بعض ما كنزت والنطف(٥) عثر على فضل ما ركزت. وكسرى(٦) حمل غاشيتك(٧). وقيصر رعى ماشيتك. والاسكندر(٨) قتل دارا في طاعتك. واردشير(٩) جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك.والضحاك(١٠) استدعى مسالمتك. وجذيمة الابرش(١١) تمنى منادمتك. وشيرين(١٢) قد نافست بوران(١٣) فيك.وبلقيس غايرت الزباء عليك(١٤). وان مالك بن نويرة(١٥) انما اردف لك.وعروة بن

---

(١) الهيولى هي المادة المدبرة للصورة كالفضة في الدرهم (٢) شاركك في الحسن مفاخرا ومغالباً (٣) زليخا (٤) المذكور في قوله تعالى وأتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة (٥) رجل من العرب اصاب مالا فضرب به المثل بعد في الغنى والركز دفين مال الجاهلية (٦) لقب لملك الفرس كقيصر لقب لملك الرومان (٧) الغاشية الغطاء والاضياف ينتابونك والخدم يغشونك (٨) ابن فيليب المقدوني الفاتح الشهير جرت بينه وبين دارا آخر الطبقة الاولى من ملوك الفرس حروب عنيفة ودارت الدائرة على دارا فقتل واستولى الاسكندر على ملوك فارس والاقاليم الخاضعة لهم (٩) هو اول الفرس الثانية ومعنى الثانية ان الاسكندر لما قتل دارا فرق من بقي من ملوك الفرس وسماهم ملوك الطوائف وصاروا حينئذ تحت سيطرة اليونان فلما توفى الاسكندر وتقاصر ملك اليونان بعد مدة تحرك اردشير وكان احد ابناء ملوك الطوائف وجاهدهم واستولى عليهم (١٠) ملك عريق في القدم من ذوي البأس والقوة (١١) ملك الحيرة ويعرف ايضاً بنديم الفرقدين كان اذا شرب قدحاً صب لهما قدحين ولا ينادم غيرهما وذلك لسبب مشهور في دواوين الادب (١٢) زوجة ابرويز بن هرمز بن كسرى انوشروان (١٣) ابنة ابرويز المذكور (١٤) بلقيس زوج سليمان عليه السلام والزباء بنت جذيمة الابرش وكان قد آل اليها ملك ابيها (١٥) كان من فرسان العرب وشجعانهم وذوي الردافة في الجاهلية ومعنى الردف ان يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فاذا شرب الملك شرب الردف بعده واذا غاب جلس الردف مكانه

جعفر(١) انما رحل اليك. وكليب بن ربيعة(٢) انما حمى المرعى بعزتك . وجساساً انما قتله(٣) بأنفتك. ومهلهلا(٤) انما طلب ثاره بهمتك. والسموأل(٥) انما وفى عن عهدك. والاحنف(٦) انما احتبى في بردتك . وحاتماً انما جاد بوفرك. ولقي الاضياف ببشرك. وزيد بن مهلهل(٧) انما ركب بفخذيك. والسليك بن السلكة انما عدا على رجليك.وعامر بن مالك(٨) انما لاعب الاسنة بيديك. وقيس بن زهير انما استعان بدهائك. واياس بن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك .وسحبان انما تكلم بلسانك.وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك. وان الصلح بين بكر وتغلب(٩) تم برسالتك. والحمالات(١٠) بين عبس وذبيان

---

(١) يعرف بعروة الرحال لكثرة رحلته الى الملوك وكان من ذوي العقل والشهامة وهو ايضاً من ارداف الملوك (٢) المضروب المثل بعزته فيقال اعز من حمى كليب وهو رئيس بكر وتغلب (٣) لاخفاره جواره وبذلك قامت حرب البسوس بين الحيين المذكورين ودامت اربعين سنة وذلك قبل البعثة بنحو مائة عام (٤) اخو كليب والآخذ بثأره (٥) المضروب به المثل في الوفاء بالعهد (٦) المضروب به المثل في الحلم كحاتم في الجود والسليك في سرعة العدو وقيس بن زهير العبسي صاحب الحروب بين عبس وذبيان في الدهاء واياس بن معاوية قاضي البصرة في الذكاء والفراسة وسحبان وائل في الخطابة والبيان وعمرو بن الاهتم المنقري في بلاغة القول وحسن البيان (٧) الطائي فارس مظفر بعيد الصيت ادرك الاسلام واسلم وسماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد الخير وكان يدعى قبل زيد الخيل لكثرة خيله وكان عظيم الخلقة طويلا جدا يركب الفرس ورجلاه تخط الارض ويسمى مقبل الظعن لانه كان يقبل المرأة من الارض وهي في الهودج (٨) من بني صعصعة من فرسان العرب المشهورين وكبارهم ويعرف بملاعب الاسنة لقول اوس بن حجر فيه :

يلاعب اطراف الاسنة عامر فراح له حظ الكتائب اجمع

(٩) هم بنو وائل الذين قامت بينهم حرب البسوس واستمرت اعواماً الى ان تفانى الحيان وقتل عظماؤهم فخرج مهلهل الى اخوانه ضجرا من الحرب ومال من بقي من القوم الى الصلح وراسلهم الحرث بن عمرو (آكل المرار) ملك كندة وهو جد امرىء القيس الشاعر في الصلح بينهم والتملك عليهم وقد كانوا مائلين الى تمليك ملك من غير قبائلهم لتنحسم مادة الحروب فاجابوه الى ما اراد فقدم عليهم وتلافى امرهم (١٠) جمع حمالة وهي ما يتحمله الرجل عن القوم من دية او غرامة وذلك انه لما طالت حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان حتى تفانوا وأكل بعضهم بعضاً سعى في الصلح الحرث ابن عوف وهرم بن سنان المريان وحملا الحمالات واجتهدا في اصلاح ذات البين وفي مدحهما انشأ زهير ابن ابي سلمى معلقته المشهورة التي منها : تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

اسندت الى كفالتك. وان احتيال هرم(١) لعلقمة وعامر حتى رضيا كان ذلك عن اشارتك. وجوابه(٢) لعمر وقد سأله عن ايهما كان ينفر وقع عن ارادتك. وان الحجاج(٣) تقلد ولاية العراق بجدك. وقتيبة(٤) فتح ما وراء النهر بسعدك. والمهلب(٥) اوهن شوكة الازارقة بأيدك . وفرّق ذات بينهم بكيدك. وان هرمس(٦) اعطى بلينوس ما اخذ منك. وافلاطون(٧) اورد على ارسطوطاليس ما نقل عنك. وبطليموس(٨) سوّى الاسطرلاب بتدبيرك. وصوّر الكرة على تقديرك. وبقراط(٩) علم العلل والامراض بلطف حسك. وجالينوس(١٠)عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك. وكلاهما قلدك في العلاج وسألك عن المزاج

---

(١) هرم هو قطبة الفزاري حكم من حكام العرب يقضي بين السادات فيرضون بقضائه ولا يرد قوله اذا فضل احد المنافرين على الاخر ومعنى المنافرة المحاكمة في الحسب والفضل بين الرجلين يقال نافره اذا حاكمه ونفره اذا غلبه وعلقمة هو ابن علاثة وعامر هو ابن الطفيل وكل منهما سيد من سادات قومه فارس شاعر تنافرا الى هرم على مائة من الابل يعطيها للحكم ايهما نفر عليه صاحبه فقال هرم والله انكما كركبتي البعير الادم تقعان معاً على الارض وليس احد منكما الا وفيه ما ليس في صاحبه وكلاكما سيد كريم وكره ان يفضل بينهما وهما ابنا عم فيوقع بذلك عداوة بين الحيين فخرجا من عنده راضيين (٢) يعني هرم بن قطبة وذلك انه كان اسلم وكان عمر رضى الله عنه يحبه فقال له يوماً يا ابا عمرو ايهما كنت تنفر ومن كان عندك الافضل منهما فقال لو قلت الان فيهما كلمة لعادت جذعة يعني الحرب بين الحيين فاعجب بهذا القول منه وقال بحق حكمتك العرب (٣) ابن يوسف الثقفي الخطيب المفوه الدهية السفاح المشهور ولي العراق من طرف عبدالملك بن مروان (٤) ابن مسلم الباهلي الامير الكبير الفاتح الشهير (٥) ابن ابي صفرة امير كبير جواد شجاع مشهور الذكر وكان يقال ساد الاحنف بحلمه ومالك بن مسمع بمحبته للعشيرة وقتيبة بدهائه وساد المهلب بهذه الخلال جميعها والازارقة الخوارج القائلون بمذهب نافع بن الازرق حاربهم المهلب وجرت بينه وبينهم حروب يشيب لها الوليد الى ان فرق كلمتهم سياسياً فعندئذ بددهم ومزقهم كل ممزق وكانت مدة محاربته لهم تسع عشرة سنة (٦) كان طبيباً فيلسوفاً عالماً بطبائع الادوية جوالا في الافاق وبلينوس تلميذه سافر معه في البلاد وتلقى منه جميع علومه (٧) تلميذ سقراط الحكيم المشهور وارسطاطاليس تلميذه وهو واضع علم المنطق ولذا يعرف بالمعلم الاول (٨) الحكيم الرياضي المنجم اول من شرح القول على هيئات الفلك واخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل وهو ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر (٩) الحكيم الطبيب الشهير (١٠) الحكيم الطبيب المشرح الصيدلاني النباتي.

واستوصفك تركيب الاعضاء. واستشارك في الداء والدواء . وانك نهجت لابي معشر(١) طريق القضاء. واظهرت جابر بن حيان(٢) على سر الكيمياء . واعطيت النظّام(٣) اصلاً ادرك به الحقائق.وجعلت للكندي(٤) رسماً استخرج به الدقائق. وان صناعة الالحان اختراعك. وتأليف الاوتار والانقار توليدك وابتداعك. وان عبدالحميد بن يحيى(٥) باري اقلامك. وسهل بن هارون(٦) مدوّن كلامك. وعمرو بن بحر(٧) مستمليك. ومالك بن انس مستفتيك . وانك الذي اقام البراهين. ووضع القوانين. وحدّ الماهية(٨) وبيّن الكيفية والكمية .وناظر في الجوهر والعرض. وميز الصحة من المرض. وفك المعمى(٩). وفصل بين الاسم والمسمى. وصرف وقسم. وعدّل وقوّم(١٠). وصنّف الاسماء والافعال. وبوّب الظرف والحال. وبنى واعرب. ونفى وتعجب. ووصل وقطع. وثنى وجمع. واظهر واضمر .واستفهم واخبر. واهمل وقيّد. وارسل واسند .

---

(١) الفلكي المشهور بعلم التنجيم تؤثر عنه في استخراج الخفايا والاشياء الكامنة اصابات عجيبة
(٢) الذي تنسب اليه الكتب المؤلفة في فن الكيمياء يزعمون انه كان في زمن جعفر الصادق ولا تعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يعتمد عليه (٣) من كبار المعتزلة وائمتهم متقدم في العلوم مشهور بالغوص والتنقيب على حقائق الاشياء (٤) يعقوب بن الصباح مفتخر دولة المعتصم المسمى في وقته فيلسوف الاسلام اتقن العلوم الفلسفية وحل مشكلات كتب الاوائل وحذا حذو ارسطاطاليس وله في الفن مصنفات جليلة (٥) مؤسس صناعة الكتابة والترسل (٦) المنفرد في زمانه بالبلاغة والحكمة وهو الذي صنف الكتب معارضاً بها كتب الاوائل ككتاب عفراء وثعلة في معارضة كليلة ودمنة وكان قيماً على خزانة الحكمة (كتب الفلسفة) التي نقلت للمأمون من جزيرة قبرص (٧) الجاحظ امام الفصحاء والمتكلمين ملأت اخباره وفوائده الافاق (٨) ماهية الشيء معرفة ما هو (٩) المراد به حروف يصطلح عليها الكاتب مع نفسه ويكاتب بها ولها طرائق تعين على استخراجها واول من وضع تلك الطرائق الخليل بن احمد واضع العروض (١٠) المراد الصرف والقسمة والتقويم والتعديل بالمعاني المصطلح عليها عند الفقهاء .

وبحث ونظر. وتصفح الاديان. ورجّح بين مذهبي ماني(١) وغيلان(٢). واشار بذبح الجعد(٣) وقتل بشار بن برد(٤). وانك لو شئت خرقت العادات . وخالفت المعهودات. فاحلت البحار عذبة. واعدت السلام(٥) رطبة. ونقلت غدا فصار امسا . وزدت في العناصر(٦) فكانت خمساً.وانك المقول فيه كل الصيد في جوف الفرا(٧) . والمقول فيه :

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد(٨)

والمعني بقول ابي تمام

فلو صورت نفسك لم تزدها على ما فيك من شرف الطباع

والمراد بقول ابي الطيب

ذكر الانام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من ابياتها

---

(١) مذهبه ان صانع العالم اثنان فاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا . وتبعه خلق عظيم من المجوس وهم المانوية وكان في الاصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم ثم تنصر وترهب بنجران وكان معظماً في اعين اساقفة النصارى فزنى فسقطت مرتبته فأحدث ما احدث . ومن شعر ابي الطيب :

وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر ان المانوية تكذب

(٢) هو ابن يونس الدمشقي اول من تكلم في القدر فقطعت يداه ورجلاه وصلب في ايام هشام بن عبدالملك . (٣) ابن درهم معلم مروان بن محمد اول من تكلم بخلق القرآن ذبحه خالد بن عبدالله القشيري والي الكوفة يوم الاضحى وطفئت عار فتنته الى ان نشأفي في ايام ابن ابي دؤاد (٤) الشاعر المقدم من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية والمشير بقتله هو يعقوب بن داوود وزير المهدي لهجو بلغه عنه فيه وفي المهدي منه:

بني امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داوود

ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

فاوعز المهدي الى صاحب شرطته ان يضربه بالسياط ضرباً متلفاً وكان بسفينة فاقيم في صدرها وضرب حتى اشرف على الموت ثم ترك فمات لوقته (٥) الحجارة الصلبة (٦) اصول الخلق وهي اربعة لا غير النار والهوآء والماء والتراب (٧) مثل يضرب لتفضيل الشيء على غيره واصله ان قوماً خرجوا للصيد فصاد احدهم ظبياً وآخر ارنباً وآخر فرا وهو الحمار الوحشي فقال لاصحابه كل الصيد في جوف الفرا يعني ان جميع صيدكم يسير في جنب ما صدته (٨) لابي نواس .

فكدمت في غير مكدم(١). واستسمنت ذا ورم(٢) . ونفخت في غير ضرم(٣). ولم تجد لريح مهزاً(٤). ولا لشفرة محزا. بل رضيت من الغنيمة بالاياب(٥). وتمنت الرجوع بخفي حنين(٦). لاني قلت: لقد هان من بالت عليه الثعالب(٧). وانشدت .

على انها الايام قد صرن كلها   عجائب حتى ليس فيها عجائب(٨)

ونخرت وبسرت. وعبست فكفرت. وابدأت وأعدت. وابرقت وارعدت(٩). وهممت ولم افعل وكدت وليتني(١٠). ولولا ان للجوار ذمة. وللضيافة حرمة. لكان الجواب في قذال الدمستق(١١) والنعل حاضرة ان عادت

---

(١) الكدم العض وهذا مثل يضرب لمن طلب الشيء في غير مطلبه (٢) من قول ابي الطيب :

اعيذها نظرات منك صادقة   ان تحسب الشحم فيمن لحمه ورم

(٣) من قول الشاعر :

فلو نفخت في النار لاستنارت   ولكن انت تنفخ في الرماد

(٤) ما يهز ويستمال (٥) مثل يضرب لمن قنع بسلامة نفسه في مطلبه واصله من قول ابي الطيب :

وقد طوفت في الافاق حتى   رضيت من الغنيمة بالاياب

(٦) مثل يضرب لمن يرجع بالخيبة (٧) لغاوي بن ظالم السلمي وكان سادن صنم فبينما هو ذات يوم جالس اذ اقبل ثعلبان فشغر كل منهما رجلاه وبال على الصنم فقال :

ارب يبول الثعلبان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب

(٨) لابي تمام (٩) كناية عن التوعد والتهديد (١٠) تمامه . تركت على عثمان تبكي حلائله . وهو لضابىء البرجمي هجا قوماً فاستعدوا عليه عثمان بن عفان رضى الله عنه فسجنه وعرض يوماً اهل السجن فوجده قد اعد حديدة ليقتله بها فاخذت منه وضرب وترك مهملا في السجن (١١) يعني لولا انه صار لهذه المرأة حرمة بدخول المنزل والمؤاكلة لفعلت بها فعل سيف الدولة بالدمستق وهذا حل بيت للمتنبي في المعنى وذلك ان ملك الروم ارسل جيشاً الى بلاد سيف الدولة وقدم عليه بطريقاً يقال له الدمستق فهزمه سيف الدولة وعاد الى ملك الروم مهزوماً ثم ان ملك الروم ارسل رسلا وكتاباً الى سيف الدولة يطلب الصلح والهدنة فنظم المتنبي في هذه الواقعة قصيدة يشير فيها الى هزيمة الدمستق حيث يقول :

وكنت اذا كاتبته قبل هذه   كتبت اليه في قذال الدمستق

نعقرب(١). والعقوبة ممكنة ان اصرّ المذنب. وهبها لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك. ملؤها حبيبها. حسن فيها من تود(٢). وكانت انما حلتك بحلاك. ووسمتك بسيماك. ولم تعرك شهادة. ولا تكلفت لك زيارة. بل صدقت سن بكرها(٣) فيما ذكرته عنك. ووضعت الهناء موضع النقب(٤) بما نسبته اليك. ولم تكن كاذبة فيما اثنت به عليك. فالمعيديّ تسمع به خير من ان تراه(٥) هجين القذال(٦). ازعن السبال(٧) طويل العنق والعلاوة. مفرط الحمق والغباوة. جافي الطبع. سيء الجابة والسمع. بغيض الهيئة. سخيف الذهاب والجيئة. ظاهر الوسواس. منتن الانفاس. كثير المعايب. مشهور المثالب(٨). كلامك تمتمة. وحديثك

---

(١) حل بيت للفضل اللهبي من ابيات فيها حكاية وهي انه كان بالمدينة تاجر من تجارها يسمى العقرب وكان امطل الناس فعامله الفضل وكان اشد الناس تقاضياً فلما حل المال قعد الفضل على باب العقرب يقرأ وعقرب على سجيته في المطل فلما اعياه ذلك قال يهجوه :

قد تجرت عقرب في سوقنا — لا مرحباً بالعقرب التاجره
ان عادت العقرب عدنا لها — وكانت النعل لها حاضره
كل عدو كيده في استه — فغير مخشى ولا ضائره

(٢) حل لثلاثة ابيات لثلاثة من الشعرآء فالاول قول الهاشمي :

وعين الرضى عن كل عيب كليلة — كما ان عين السخط تبدي المساويا

والثاني قول المجنون :

اهابك اجلالا وما بك قدرة — علي ولكن ملء عين حبيبها

والثالث قال عمر بن ابي ربيعة :

فتضاحكن وقد قلنا لها — حسن في كل عين من تود

(٣) مثل يضرب في الصدق اصله ان رجلا ساوم في بكر فقال ما سنه فقال بازل ثم نفر البكر فقال صاحبه له هدع هدع وهي لفظة يسكن بها الصغار فلما سمعه المشتري قال صدقني سن بكره برفع سن على نسبة الصدق له توسعاً ونصبه على معنى عرفني (٤) مثل يضرب لمن يضع الامور في محلها والهناء القطران واصله ان الهانىء وهو واضع القطران على البعير الاجرب يتبع النقب الذي في جسده (٥) مثل لمن يكون خبره خير من منظره (٦) الهجين اللئيم والعربي المولود من الامة او من ابوه خير من امه وتقول العرب فلان هجين القذال اي يتبين لؤم نسبه في قذاله والقذال جمع مؤخر الرأس وخص القذال لان الذي يعرف لؤم نسبه اذا ولى طأطأ رأسه حياء وذلا فكان اللؤم يتبين من قداله (٧) الازعن الاحمق والسبال جمع سبلة وهي شعر الشفة العليا وخصت الرعونة بالسبال لانها علامة الرجل (٨) النقائص

غمغمة(١) . وبيانك فهفهة(٢) . وضحكك قهقهة . ومشيك هرولة . وغناك مسألة . ودينك زندقة . وعلمك مخرقة .

مساوٍ لو قسمن على الغواني   لما امهرن الا بالطلاق (٣)

حتى ان باقلا(٤) موصوف بالبلاغة اذا قرن بك . وهبنقة(٥) مستوجب لاسم العقل اذا اضيف اليك . وطويساً(٦) مأثور عنه يمن الطائر اذا قيس عليك. فوجودك عدم . والاغتباط بك ندم . والخيبة منك ظفر . والجنة معك سقر . كيف رأيت لؤمك لكرمي كفاء . وضعتك لشرفي وفاء . وانى جهلت ان الاشياء انما تنجذب الى امثالها . والطير انما تقع على اشكالها . وهلا علمت ان الشرق والغرب لا يجتمعان . وشعرت ان المؤمن والكافر لا يتقاربان . وقلت الخبيث والطيب لا يستويان وتمثلت :

ايها المنكح الثريا سهيلا   عمرك الله كيف يلتقيان(٧)

وذكرت اني علق(٨) لا يباع ممن زاد . وطائر لا يصيده من اراد .وغرض(٩) لا يصيبه الا من اجاد . ما احسبك الا كنت قد تهيأت للتهنئة وترشحت للترفئه(١٠)

---

(١) الغمغمة ان يسمع الصوت ولا يتبين تقطيع الحروف (٢) عي في المنطق (٣) لابي تمام (٤) المضروب به المثل في العي والفهاهة (٥) المضروب به المثل في الحمق (٦) المضروب به المثل في الشؤم (٧) لعمر بن ابي ربيعة يقوله في الثريا بنت عبدالله بن امية الاصغر وكان يهواها وسبب قوله ان سهيل بن عبدالعزيز بن طلحة قدم من الشام الى الطائف فتزوجها ورحل بها الى الشام فقال عمر:

ايها المنكح الثريا سهيلا   عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استهلت   وسهيل اذا استهل يماني

واتفقت له تورية حسنة باسم النجمين والمقصدين (٨) الشيء النفيس الذي تعلق به النفوس (٩) اصل الغرض الهدف المقصود بالرمي (١٠) يقال رفاه اذا قال له بالرفاء والبنين وهي كلمة يدعى بها للمتزوج ومعنى الرفاء الالتئام وجمع الشمل .

لولا ان جرح العجماء جبار(١).للقيت من الكواعب ما لاقى يسار(٢). فما همّ الا ببعض ما به هممت. ولا تعرض الا لايسر ما له تعرضت. اين ادعاؤك رواية الاشعار. وتعاطيك حفظ السير والاخبار. اما ثاب اليك(٣) قول الشاعر(٤)

بنو دارم(٥) اكفاؤهم آل مسمع(٦) وتنكح في اكفائها الحبطات(٧)

وهلاّ عشيت ولم تغتر(٨) . وما اشك انك تكون وافد البراجم(٩) . او ترجع بصحيفة المتلمس(١٠) او افعل بك ما فعله

---

(١) هذا لفظ حديث والعجماء البهيمة والجبار الدم الهدر والمعنى عدم القصاص في جرح البهيمة وضرب به المثل لمن يستهان به (٢) هذا مثل معروف ويسار اسم عبد اسود دميم ويقال له يسار الكواعب لان النساء اذا رأينه ضحكن منه لقبحه فيظن انهن عشقنه فنظرت اليه امرأة مولاه يوماً فضحكت فظن انها خضعت له فدخل عليها ليلا يراودها عن نفسها فوضعت تحته بخورا واوهمته انها تطيبه وعطفت على . . . . . . بموسى حذمة اي قاطعة فقطعتها فصاح فقالت صبرا على مجامر الكرام (٣) رجع الى ذهنك (٤) الفرزدق (٥) مالك بن حنظلة التميمي وبيته اكبر بيوت بني تميم (٦) بيت بكر بن وائل في الاسلام (٧) بنو الحرث بن عمرو بن تميم يجمعهم البيت مع بني دارم وانما نقص قدر الحبطات عنهم لقول الشاعر فيهم .

وجدنا النيب من شر المطايا كما الحبطات شر بني تميم

فلزمهم هذا القول (٨) من عشيت الابل اذا اطعمتها عشياً وفي المثل عش ولا تغتر (٩) رجل من بني تميم يضرب به المثل وذلك ان الملك عمرو ابن هند احرق تسعة وتسعين رجلا من بني تميم لثار له عندهم وقد كان آلى ان يحرق منهم مائة فبينما هو يلتمس بقية المائة اذ مر رجل من البراجم يسمى عمارا قادم من سفر فاشتم رائحة القتار فظن ان الملك اتخذ طعاماً فعدل اليه فقيل له ممن انت قال من البراجم فالقى في النار وقيل ان الشقي وافد البراجم (١٠) مثل يضرب لمن يحصل له الضرر مما ظاهره النفع والمتلمس هو جرير بن عبدالمسيح شاعر مجيد من شعرآء الجاهلية وفد هو وابن اخته طرفة ابن العبد على عمرو ابن هند احد ملوك اللخميين بالحيرة وكان طرفة شاباً ذرب اللسان فبلغ به نزق الشبيبة الى هجاء الملك عمرو فهم بقتله وخاف من هجاء المتلمس له وكره قتلهما ظاهرا فكتب لهما كتاباً الى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما واوهمهما انه امر لهما بجائزة فلما انصرفا من عنده دخلت المتلمس ريبة مما في الكتاب ففتحه والتمس من يقرؤه له فاذا فيه : « اذا اتاك المتلمس بكتابي فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً فقذف به في النهر وقال ياطرفة معك والله مثلها فقال كلا ما كان ليتجرأ علي في عقر دار قومي وذهب الى عامل البحرين فقتله واما المتلمس فلحق بثال جفنة ملوك الشام .

عقيل بن علّفة(١) بالجهني اذ جاءه خاطباً فدهن استه بزيت وادناه من قرية النمل ومتى كثر تلاقينا. واتصل تراءينا. فيدعوني اليك ما دعا ابنة الخس(٢) الى عبدها من طول السواد وقرب الوساد وهل فقدت الاراقم فانكح في جنب(٣) او عضلني همام بن مرة(٤) فاقول زوج من عود . خير من قعود . ولعمري لو بلغت هذا المبلغ. لارتفعت عن هذه الخطة. ولا رضيت بهذه الخطة. فالنار ولا العار. والمنيّة ولا الدنية . والحرة تجوع ولا تأكل بثدييها(٥). فكيف

وفي ابنـاء قومي منكـح   وفتيان هزان(٦) الطوال الغرانقة(٧)

ما كنت لأتخطى المسك الى الرماد. ولا امتطي الثور بعد الجواد. فانما يتيمم من لم يجد ماء . ويرعى الهشيم(٨) من عدم الحميم(٩). ويركب الصعب

---

(١) شاعر من شعرآء الدولة الاموية وكان اهوج جافياً شديد العجرفة والبذخ بنسبه وهو من بيت شرف في قومه من كلا طرفيه وكان لا يرى ان له كفوءًا وخطب اليه عبدالملك بن مروان بعض بناته لبعض ولده فاطرق ساعة ثم قال ان كان ولا بد فجنبني هجناءك فضحك عبدالملك وعجب من كبر نفسه على ضائقته وشدة عيشه بالبادية . وكان له جار جهني فخطب اليه ابنته فغضب واخذ الجهني فكتفه ودهن استه بزيت وادناه من قرية النمل فأكل خصيتيه حتى ورم جسده ثم حله وقال ايخطب الى عبدالملك بن مروان وأرده وتجترىء انت على ان تخطب الي (٢) اسمها هند قديمة في الجاهلية وكانت قد زنت بعبد لها فليمت وقيل لها ما حملك على ما فعلت فقالت قرب الوساد وطول السواد والسواد السرار يقال ساودته اذا ساررته (٣) الاراقم حي من بني تغلب وجنب حي من اليمن وهذا اللفظ من جملة شعر للمهلهل وكان قد هرب حين طالت عليه حرب البسوس كما سبق فنزل في طريقه على حي من اليمن فخطبوا اليه ابنته فأبى فساقوا المهر وهو جلود من ادم وغصبوه على الزواج فقال :

اعزز على تغلب بما لقيت   اخت بني الاكرمين من جشم
انكحها فقدها الاراقم من   جنب وكان الحباء من ادم

(٤) يقال عضل الولي المرأة اذا منعها من النكاح وهمام بن مرة كان له بنات ثلاث او اربع فأبى ان يزوجهن ثم انه خرج يوماً الى متحدث له فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فأخذن ينشدن في اشتياقهن الى الازواج وقلن للصغرى منهن تمني فقالت زوج من عود خير من قعود (٥) هذه ثلاثة امثال تضرب لمن يختار التلف على قبح الاحدوثة .ومعنى الثالث ان الحرة لا تكون ظئرا لقوم على جعل تأخذه منهم (٦) اسم قبيلة (٧) الشباب وهذا البيت للاعشى الاكبر (٨) اليابس من النبات (٩) النبت المقتبل الذي طال ولم يبلغ النهاية .

من لا دلول له . ولعلك انما غرك من علمت صبوتي اليه.وشهدت مساعفتي له من اقمار العصر. وريحان المصر. الذين هم الكواكب علو همم.والرياض طيب شيم.

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

فحن قدح ليس منها(١). ما انت وهم. وانى تقع منهم. وهل انت الا واو عمرو فيهم. وكالوشيظة(٢) في العظم بينهم. وان كنت انما بلغت قعر تابوتك. وتجافيت عن بعض قوتك(٣). وعطرت اردانك.وجررت هميانك(٤).واختلت في مشيتك. وحذفت فضول لحيتك.واصلحت شاربك.ومططت حاجبك.ورققت خط عذارك .واستأنفت عقد ازرارك. رجاء الاكتنان فيهم .وطمعاً في الاعتداد منهم. فظننت عجزا(٥).واخطأت استك الحفرة(٦). والله لو كساك محرق البردين(٧). وحلتك مارية(٨) بالقرطين. وقلدك عمرو(٩) الصمصامة. وحملك

---

(١) مثل يضرب لمن يتشبه بقوم ليس منهم ويتمدح بما ليس فيه والقدح احد قداح الميسر (٢) قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم (٣) اظهارا للغنى والقرى (٤) الهميان التكة والمنطقة وكيس للنفقة يشد في الوسط والمراد هنا الاول (٥) من قول الخنساء :

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بان لا يصاب فقد ظن عجزا

(٦) مثل يضرب لمن يطلب امرا فيخطئه ولا يناله (٧) المحرق هو عمرو ابن هند ولقب بذلك لتحريقه مائة من بني تميم واما البردين فحكى ان الوفود اجتمعت عنده فاخرج بردين من لباسه يبلو الوفود وقال ليقم اعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن احيمر فأخذهما وائتزر بالواحد وارتدى بالاخر فقال له انت اعز العرب قبيلة قال العز كله في معد والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في بهدلة فمن انكر هذا فلينافرني فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف انت في نفسك واهل بيتك قال انا ابو عشرة واخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها انا في نفسي وشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الارض وقال من ازالها من مكانها فله عشرة من الابل فلم يقم اليه احد وخرج بالبردين فضربت العرب المثل بعزه وببرديه (٨) هي ابنة ظالم الكندي زوجة الحرث الاكبر الغساني وكان في قرطيها لؤلؤتان عجيبتان يتوارثهما الملوك (٩) هو ابن معدي كرب الزبيدي الفارس المشهور والبطل المذكور صاحب الغارات والوقائع في الجاهلية والاسلام وصمصامته اشهر سيوف العرب ومها يضرب المثل في كرم الجوهر وحسن المنظر والمخبر والمضاء والتصميم

الحرث على النعامة(١). ما شككت فيك ولا سترت اياك. ولا كنت الا ذاك. وهبك ساميتهم في ذروة المجد والحسب. وجاريتهم في غاية الظرف والادب. ألست تأوي الى بيت قعيدته لكاع(٢). اذ كلهم عزب خالى الذراع. وأين من انفرد به ممن لا غلب الا على الاقل الاخس منه. وكم بين من يعتمدني بالقوة الظاهرة. والشهوة الوافرة. والنفس المصروفة اليّ. واللذة الموقوفة عليّ. وبين آخر قد نضب غديره. ونزحت بيره. وذهب نشاطه. ولم يبق الا ضراطه. وهل يجتمع لى فيك الا الحشف وسوءالكيلة(٣) ويقرن عليّ بك الا الغدّة والموت في بيت سلولية(٤) .

تعالى الله يا سلم بن عمرو　　اذل الحرص اعناق الرجال(٥)

ما كان اخلقك(٦) بان تقدر بذرعك(٧). وتربع بدلك على ظلعك(٨). ولا تكن براقش الدالة على اهلها(٩) . وعنز السوء المستثيرة

---

(١) هى فرس الحرث بن عباد التغلبي اكبر سادات بني وائل وهو الذي اعتزل حرب البسوس وقال لا ناقة لي فيها ولا جمل فلما قتل ولده نهض حينئذ وقال :

قربا مربط النعامة مني　　لقحت حرب وائل عن حيال

(٢) من قول الحطيئة يهجو زوجه :

اطوف ما اطوف ثم آوي　　الى بيت قعيدته لكاع

(٣) يعني لو وصلتك لاجتمع على سوء منظرك وسوء مخبرك وهذا مثل يضرب في الخلتين السيئتين يجتمعان والحشف اردى التمر والكيلة فعلة من الكيل للهيئة　(٤) هذا مثل آخر في معنى الاول وقائله عامر بن الطفيل عندما توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه وقال اللهم اكفني عامرا بما شئت فظهر في رقبته غدة مات منها في بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية (٥) لابي العتاهية　(٦) ما اولاك واحقك　(٧) ان تقيس الامر بجهدك قبل ان تفعله والذرع الجهد واصله بسط اليد　(٨) مثل يضرب لمن يكلف نفسه ما لا يطيق يقولون اربع على ظلعك واصل الظلع الغمز في مشية البعير وربع اذا وقف وانتظر وتحبس والمعنى تأن وتمهل على ضعفك وانته عما لا تطيق (٩) مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه وبراقش في قول الاكثر اسم كلبة نبحت قوماً قصدوا الغارة على قوم فخفى عليهم مكانهم فلما نبحت الكلبة عرفوهم فاجتاحوهم فقالت العرب اشأم من براقش وعلى اهلها تجني براقش .

لحتفها(١). فما اراك الا سقط بك العشاء على سرحان(٢). وبك لا بظبي اعفر(٣) اعذرت ان اغنيت شيّاً. واسمعت لو ناديت حيّاً(٤)

ان العصا قرعت لذي الحلم(٥) والشيء تحقره وقد ينمي(٦)

وان بادرت بالندامة. ورجعت على نفسك بالملامة . كنت قد اشتريت العافية [illegible] بالعافية منك. وان قلت جعجعة ولا طحن. ورب صلف تحت الراعدة(٧) وانشدت :

لا يؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا(٨)

فعدت لما نهيت عنه. وراجعت ما استعفيت منه. بعثت من يزعجك الى الخضراء(٩) دفعاً. ويستحثك نحوها وكزاً(١٠) وصفعاً . فاذا صرت اليها عبث اكاروها(١١) بك. وتسلط نواطيرها(١٢) عليك. فمن قرعة معوجة تقوم

---

(١) هذا ايضاً مثل يضرب لمن يعين على ضرر نفسه واصله ان رجلا اراد ذبح عنز فلم يجد سكيناً فبينما هو كذلك اذ بحثت بظلفها فاستثارت سكيناً فذبحها به (٢) مثل يضرب لمن اراد امرا فوقع على حتفه واصله ان شاة خرجت تطلب عشاء فصادفت ذيباً فأكلها (٣) مثل يضرب للشماتة بالرجل يقول نزل به المكروه ولا نزل بظبي يريد ان عنايته بالظبي اشد من عنايته به والاعفر الذي على لون التراب (٤) شطر بيت من بيتين لعمرو بن معدي كرب ويروى لدريد بن الصمة وهما :

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نار نفخت بها اضاءت ولكن انت تنفخ في الرماد

(٥) قولهم قرعت له العصا مثل يضرب لمن ينصح وينبه على ما هو اصلح (٦) مثل في التحذير والبيت ملفق من شطرين في جملة ابيات للحرث بن وعلة اليشكري (٧) مثلان يضربان لمن يتوعد ولا يفعل والجعجعة صوت الرحى والطحن الدقيق فعل بمعنى مفعول والصلف قلة البركة والخير ولذلك يقال اصلف من ملح في ماء اي لا يبقى وسحاب صلف اذا كان قليل الماء كثير الرعد والمعنى انك متى قلت اني اتوعد ولا افعل فسترى (٨) لبشار بن برد وبعده :

عسر النساء الى مياسرة والصعب يركب بعدما جمحا

ومعنى تغلظه بالتشديد تقويه وتؤكده (٩) ناحية المدرع من البلد (١٠) ضرب الظهر مع الدفع وقيل الضرب بجمع اليد على الذقن (١١) الاكارون الزراعون جمع اكار (١٢) جمع ناطور وهو حافظ الكرم والنخل اعجمي .

في قفاك (١) . . . . وذلك بما قدمت يداك .
لتذوق وبال امرك. وترى ميزان قدرك.

فمن جهلت نفسه قدره   رأى غيره منه ما لا يرى(٢)

ومن بديع شعره قصيدته النونية المشهورة التي كتبها الى ولادة .قال في القلائد: يستديم عهدها ويؤكد ودها ويعتذر من فراقها بالخطب الذي غشيه والامتحان الذي خشيه(٣) ويعلمها انه ما سلا عنها بخمر ولا خبا ما بين ضلوعه لها من ملتهب جمر وهي قصيدة ضربت في الابداع بسهم وطلعت في كل خاطر ووهم ونزعت منزعاً قصر عنه ابنا حبيب والجهم وهي :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا   شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا   يقضي علينا الاسى لولا تاسينا
حالت لفقدكم ايامنا فغدت   سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا   ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا غصون الانس دانية   قطوفها فجنينا منه ما شينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما   كنتم لارواحنا الا رياحينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم(٤)   حزناً مع الدهر لا يبلى ويبلينا
ان الزمان الذي ما زال يضحكنا   انساً بقربكم قد عاد يبكينا

---

(١) اي يضرب بالقفا بالقرع المعوج الى ان يستقيم وهو مما لا يستقيم (٢) للمتنبي . (تنبيه) لابن زيدون رسالة اخرى على هذا النمط العجيب كتبها الى ابي الحزم بن جهور يستعطفه لما اودعه السجن وهي التي شرحها الصفدي بتمام المتون خلافاً لما وقع في كشف الظنون من انها هذه وقد كنت علقت عليها شرحاً مختصرا وهممت باثباتها لولا ان رأيت سئامة التطويل (٣) يعني من بني جهور
(٤) الانتزاح البعد .

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا | بان نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقوداً بانفسنا | وانبت ما كان موصولا بايدينا
وقد نكون وما يخشى تفرقنا | فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم | رأياً ولم نتقلد غيره دينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا | اذ طالما غيّر النأي المحبينا
والله ما طلبت اهواؤنا بدلا | منكم ولا انصرفت عنكم امانينا
ولا استفدنا خليلا عنك يشغلنا | ولا اتخذنا بديلا منك يسلينا
ياساري البرق غاد القصر فاسق به | من كان صرف الهوى والود يسقينا
ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا | من لو على البعد حيّا كان يحيينا
يا روضة طالما أجنت لواحظنا | ورداً جلاه الصبا غضاً ونسرينا
ويا حياة تملينا بزهرتها | منى ضروبا ولذات افانينا
ويانعيماً خطرنا(١) من غضارته(٢) | في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك اجلالا وتكرمة | وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وماشوركت في صفة | فحسبنا الوصف ايضاحاً وتبيينا
يا جنة الخلد ابدلنا بسلسلها | والكوثر العذب زقوماً وغسلينا
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا | والسعد قد غض من اجفان واشينا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا | حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
لاغرو في ان ذكرنا الحزن حين نهت | عنه النهى(٣) وتركنا الصبر ناسينا
انّا قرأنا الاسى يوم النوى سوراً | مكتوبة واخذنا الصبر تلقينا

(١) خطر الرجل اهتز في مشيه وتبختر (٢) النعمة والخصب والسعة (٣) جمع نهية وهي العقل

اما هواك فلم نعدل بمنهله شرباً وان كان يروينا فيظمينا
لم نجف افق جمال انت كوكبه سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختياراً تجنبناك عن كثب(١) لكن عدتنا على كره عوادينا
نأسي عليك اذا حثت مشعشعة(٢) فينا الشمول(٣) وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومي على العهد ما دمنا محافظة فالحر من دان انصافاً كما دينا
فما ابتغينا خليلا منك يحبسنا ولا استفدنا حبيباً عنك يغنينا
ولو صبا نحونا من علو مطلعه بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا
اولى وفاء وان لم تبذلى صلة فالذكر يقنعنا والطيف يكفينا
وفي الجواب اقتناع لو شفعت به بيض الايادي التي ما زالت تولينا
عليك مني سلام الله ما بقيت صبابة منك تخفيها فتخفينا

﴿ ابو بكر بن عمار ﴾

هو وابن زيدون فرسا رهان ورضيعا لبان الا ان ابن عمار كان خامل البيت خافت الصيت حتى دخل قرطبة دار العلوم ولازم ادباءها وكرع من حياض معارفهم واقتطف من ازاهر افكارهم ونبغ في صناعة الشعر فحينئذ استطار صيته حتى اتصل بالمعتضد بن عباد فاستقدمه اليه واعجب بذكائه ووفور افكاره فأدناه منه وافاض عليه من نعمه واسلم اليه ابنه المعتمد يلقنه الادب والشعر ولما توفي وخلفه على الملك ابنه المذكور استخلص ابن عمار لنفسه فكان جليسه ومنادمه وعهد اليه بالوزارة واطلق له يد التصرف فعظم شأنه ومكن قدره

---

(١) القرب (٢) ممزوجة (٣) الخمر .

ومكانه وبلغ عنده من الحظوة ما لا مزيد عليه الى ان استخلفه بتدمير فحدثته نفسه بالاستقلال بالامر فاعلن بنبذ الطاعة والخروج عن تلك الجماعة فعندئذ افرغ المعتمد جعبة حيله في اقتناصه حتى ظفر به واودعه السجن فرجعت حينئذ الى المغرور نفسه واخذ يستعطفه بقصائد تذيب الصخر فلم يصادف ذلك من قلب المعتمد محلا لكبر الجريمة وغلظ الحزازة بل نزل اليه ليلا وأتلف مهجته بنفسه وخلى بينه وبين رمسه وكان ذلك سنة ٤٧٧ .

ومن شعره الانيق يمدح المعتضد بن عباد

ادر الزجاجة فالنسيم قد انبرى   والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد اهدى لنا كافوره(١)   لما استرد الليل منا العنبرا(٢)
والروض كالحسنا كساه زهره   وشياً وقلده نداه جوهرا
او كالغلام زها بورد(٣) رياضه   خجلا وتاه بآسهن(٤) معذرا
روض كأن النهر فيه معصم(٥)   صاف أطل على رداء(٦) أخضرا
وتهزه ريح الصبا فتخاله   سيف ابن عباد يبدد عسكرا
عباد المحضر نائل كفه   والجود قد لبس الرداء الاغبرا
علق(٧) الزمان الاخضر المهدي لنا   من ماله العلق النفيس الاخطرا
ملك اذا ازدحم الملوك بمورد   ونحاه لا يردون حتى يصدرا
اندى على الاكباد من قطر الندى   والذ في الاجفان من سنة الكرا
يختار اذ يهب الخريدة كاعباً   والطرف اجرد والحسام مجوهرا(٨)

---

(١) ضوءه الابيض (٢) ظلامه (٣) خدوده الشبيهة بالورد (٤) اراد نبات العذار (٥) موضع السوار من الساعد (٦) النبات المزركش بالوان الازهار (٧) الشيء النفيس الذي تعلق به النفوس (٨) اي انه اذا جاد بشيء جاد بالنفيس منه .

قداح زند المجد لا ينفك عن　　نار الوغى الا الى نار القرى
لا خلق اقرى(١) من شفار حسامه　　ان كنت شبهت المواكب اسطرا
ايقنت اني من ذراه بجنة　　لما سقاني من نداه الكوثرا
وعلمت حقاً ان ربعي مخصب　　لما سألت به الغمام الممطرا(٢)
من لا توازنه الجبال اذا احتبى(٣)　　من لا تسابقه الرياح اذا جرى(٤)
ماض وصدر الرمح يكهم(٥) والظبا(٦)　　تنبوء وايدي الخيل تعثر في الثرا
قاد الكتائب كالكواكب فوقهم　　من لامهم(٧) مثل السحاب كنهورا(٨)
من كل ابيض قد تقلد ابيضاً　　عضباً واسمر قد تأبط اسمرا
ملك يروقك خلقه او خلقه　　كالروض يحسن منظرا او مخبرا
اقسمت باسم الفضل حتى شمته(٩)　　فرأيته في بردتيه مصورا
وجهلت معنى الجود حتى زرته　　فقرأته في راحتيه مفسرا
فاح الثرى متعطراً بثنائه　　حتى حسبنا كل ترب عنبرا
وتتوجت بالزهر صلع هضابه　　حتى ظننا كل هضب قيصرا
هصرت يدي غصن الندى من كفه　　وجنت به روض السرور منورا
حسبي على الصنع الذي اولاه ان　　اسعى بجد او اموت فاعذرا
يا ايها الملك الذي حاز المنى　　وحباه منه بمثل حمدي انورا
السيف افصح من زياد(١٠) خطبة　　في الحرب ان كانت يمينك منبرا
ما زلت تغني من عنى لك راجياً　　نيلا وتفني من عتا وتجبرا

(١) افعل تفضيل من القراءة　(٢) فيه تجريد حسن　(٣) لرزانته　(٤) لخفته　(٥) من اكهم اذا كل وانعدم غناؤه ونفعه　(٦) جمع ظبية وهي حد السيف　(٧) جمع لامة　(٨) السحاب المتراكم　(٩) نظرت اليه　(١٠) ابن ابيه الخطيب المشهور .

حتى حللت من الرياسة محجرا رحبا وضمت منك طرفاً احورا
شقيت بسيفك امة لم تعتقد الا اليهود وان تسمت بربرا
أثمرت رمحك من رؤوس كماتهم لما رأيت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء ملوكهم لما علمت الحسن يلبس احمرا(١)
نمقتها وشياً بذكرك مذهباً وفتقتها مسكاً بحمدك اذفرا
من ذا ينافحني وذكرك صندل أوردته من نار فكري مجمرا
فلئن وجدت نسيم حمدي عاطراً فلقد وجدت نسيم برك اعطرا
واليكها كالروض زارته الصبا وحنا عليه الطل حتى نورا

(* الطرطوشي *)

العالم الشهير محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن ايوب الفهري الطرطوشي اصله منها يكنى ابا بكر ويعرف بابن ابي رندقة صاحب سراج الملوك .قال ابن بشكوال في الصلة: صحب القاضي ابا الوليد الباجي بسرقسطة واخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه واجاز له ثم رحل الى المشرق فحج ودخل بغداد والبصرة فتفقه عند ابي بكر الشاشي وابي احمد الجرجاني وسمع بالبصرة من ابي علي التستري وسكن الشام مدة ودرس بها وكان اماماً عالماً عاملا زاهداً ورعاً ديناً متواضعاً متقشفاً متقللا من الدنيا راضياً منها باليسير اخبرنا عنه القاضي الامام ابو بكر محمد بن عبدالله المعافري ووصفه بالعلم والفضل والزهد في الدنيا والاقبال على ما يعنيه وقال لى سمعته يقول اذا عرض لك امران

---

(١) تلميح للمثل وهو قولهم الحسن احمر ومعناه ان من اراد الحسن صبر على اشياء يكرهها وقيل غير ذلك

امر دنيا واخرى فبادر بأمر الاخرى يحصل لك امر الدنيا والاخرى . ﻫ واشهر مؤلفاته سراج الملوك جمعه من سير الانبياء وآثار الاولياء ومواعظ العلماء وحكمة الحكماء ونوادر الخلفاء ورتبه ترتيباً انيقاً فما سمع به ملك الا استكتبه ولا وزير الا استصحبه يستغني الحكيم بمدارسته عن مباحثة الحكماء والملك عن مشاورة الوزراء توفي رحمه الله بالاسكندرية في شعبان سنة ٥٢٠

بعض فوائده من المؤلف المذكور

قال في خطبته : اما بعد فاني نظرت في سير الامم الماضية والملوك الخالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول والتزموه من القوانين في حفظ النحل فوجدت ذلك نوعين احكاماً وسياسات فاما الاحكام المشتملة على ما اعتقدوه من الحلال والحرام والبيوع والاحكام والانكحة والطلاق والاجارات ونحوها والرسوم الموضوعة لها والحدود الموضوعة على من خالف شيئاً منها فأمر اصطلحوا عليه بعقولهم ليس على شيء منه برهان ولا انزل الله به من سلطان ولا اخذوه عن تدبر ولا اتبعوا فيه رسولا وانما هي صادرة عن خزنة النيران وسدنة بيوت الاصنام وعبدة الانداد والاوثان وليس يعجز احد من خلق الله ان يصنع من تلقاء نفسه امثالها واشباهها .واما السياسات التي وضعوها في التزام تلك الاحكام والذب عنها والحماية لها وتعظيم من عظمها واهانة من استهان بها وخالفها فقد ساروا في ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب عليها والتزام النصفة فيما بينهم على ما توجبه تلك الاحكام وكذلك في تدبر الحروب وامن السبل وحفظ الاموال وصون الاعراض والحرم كل ذلك فقد ساروا فيه بسيرة جميله لا ينافي العقول شيء منه لو كانت الاصول صحيحة والقواعد

واجبة فكانوا في حسن سيرتهم بحفظ تلك الاصول الفاسدة كمن زخرف كنيفاً او بنى على ميت قصراً منيفاً

ولو لبس الحمار ثياب خز   لقال الناس يالك من حمار

فجمعت محاسن ما انطوى عليه سيرهم خاصة من ملوك الطوائف وحكماء الدول فوجدت ذلك في ست من الامم وهي العرب والفرس والروم والهند والسند والسندهند فاما ملوك الصين وحكماؤهم فلم يصل الى ارض العرب من سياستهم شيء كثير لبعد الشقة وطول المسافة واما من عدا هؤلاء من الامم فلم يكونوا اهل حكم بارعة وقرائح نافذة واذهان ثاقبة وانما صدر عنهم الشيء اليسير من الحكمة فنظمت ما التقيت في كتبهم من الحكمة البالغة والسير المستحسنة والكلمة اللطيفة والظريفة المألوفة والتوقيع الجميل والاثر النبيل الى ما رويته وجمعته من سير الانبياء عليهم السلام وآثار الاولياء وبراعة العلماء وحكمة الحكماء ونوادر الخلفاء وما انطوى عليه القرآن العزيز الذي هو بحر العلوم وينبوع الحكم ومعدن السياسات ومغاص الجواهر المكنونات ان اختصر فلمحة دالة واشارة خفية وان طال فالفاظ بارعة وآيات معجزة هو الهادي من الضلالة والحاوي لمحاسن الدنيا وفضائل الاخرة

وقال ايضاً :

الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا صفت الروح من الكدر سرت الى الجوارح سليمة وسرت في جميع اجزاء الجسد فأمن الجسد من الغير فاستقامت الجوارح والحواس وانتظم امر الجسد وان تكدرت

الروح او فسد مزاجها فياويح الجسد فتسري الى الحواس والجوارح كدرة وهي منحرفة عن الاعتدال فأخذ كل عضو وحاسة بقسطه من الفساد فمرضت الجوارح وتعطلت فتعطل نظام الجسد وجر الى الفساد والهلاك ومثال السلطان ايضاً مثال النار ومثال الخلق مثال الخشب فما كان منها معتدلا لم يحتج الى النار وما كان منها متأوداً احتاج الى النار ليقام أوده فيعدل عوجه فان افرطت النار احترق الخشب قبل ان يستقيم اوده وان قصرت النار لم يلن الخشب لقبول الاعتدال فيبقى متأوداً واذا كانت النار معتدلة اعتدل الخشب كذلك السلطان في اطواره ان افرط اهلك الخلق وان فرط لم يستقيموا وان اعتدل اعتدلوا ومثاله ايضاً مثال عين خرارة في ارض خوارة فان حلا مشربه وعذب طعمه وسلمت من الكدر والفساد اوصافه اختلج في الارض فابتلعته صافياً صرفاً ثم شربته عروق الاشجار فاغتذت به كذلك فغلظت سوقها وفرعت اغصانها وامتدت افنانها ثم اخرجت اوراقها وابرزت ازهارها ثم قذفت ثمارها فجاءت على اتم طبيعتها كبراً وطعماً ولوناً ورائحة فتقوت بها العباد وأكلت حظوظها البهائم والحشرات وسقط عليها الطير فأحرز كل منها قوته واستقام النظام وان كان في حواشي الارض ما يدق عن الانبات والنفع ويكدي عن الزكاة والريع او كان فيها من الشجر ما يبرز حمله ويقل ريعه اعطى كل ذلك الغاية من نفسه واطلع ما في قواه ولم يغادر ممكناً الا وفاه وان كان في العين كدر او فساد او ملح شربتها الاشجار كذلك ففسد مزاجها واضر الجزء الفاسد بالطيب فرقت سوقها وضعفت اغصانها وتغيرت اوراقها وقلت ازهارها وثمارها ودخل الفساد على جميع ذلك فجاءت الثمرة وهي نزر قدرها رديء طعمها كاسف لونها فدخل

بذلك من النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل عليهم في الاولى ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان الحشرات لتموت في احجرتها هزالا بذنب ابن آدم يعني اذا كثرت المعاصي في الارض حبست السماء غياثها ومنعت الارض نباتها فهلك الهوام والحشرات والدواب .

﴿ الفقيه الاستاذ ابو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي ﴾

قال في القلائد : شيخ المعارف وامامها . ومن في يديه زمامها . لديه تنشد ضوال الاعراب . وتوجد شوارد اللغة والاعراب . الى مقطع دمث . ومنزع في النفاسة غير منتكث . وكان له في دولة ابن رزين مجال ممتد . ومكان معتد . ولما رأى الاحوال . واختلالها . والاقوال واعتلالها . وتلك الشموس قد هوت. ونجوم الامال قد خوت. اضرب عن سواه . ونكب عن نجواه . واستغرب بلوعة ابن رزين وجواه . ونصب نفسه لاقراء علوم النحو. وقنع بتغييم جوه بعد الصحو . وله تحقق في العلوم الحديثة والقديمة . وتصرف في طرقها القويمة. ما خرج بمعرفتها عن مضمار شرع . ولا نكب عن اصل للسنة ولا فرع. وتآليفه في المشروحات وغيرها صنوف. وهي اليوم في الاذان شنوف .

ولد بمدينة بطليوس وسكن بلنسية وكان الناس يجتمعون اليه ويقتبسون منه وكان حسن التعليم جيد التفهيم ثقة ضابطاً وله تآليف نافعة ممتعة منها كتاب الاقتضاب في شرح ادب الكتاب وشرح سقط الزند لابي العلاء المعري شرحاً استوفى فيه المقاصد وهو اجود من شرح ابي العلاء صاحب الديوان الذي سماه ضوء السقط وكتاب المثلث في مجلدين وغير ذلك وللفتح ابن خاقان تآليف صغير في ترجمته في نحو ثلاثة كراريس على نسق القلائد. وكانت وفاته سنة ٥٢١ ببلنسية

— من لطائفه —

ما اثبت له الفتح في وصف القلائد

تأملت فسح الله لسيدي وولي في امد بقائه . كتابه الذي شرع في انشائه فرأيت كتاباً سينجد ويغور . ويبلغ حيث لا تبلغ البدور . وتبين به الذرى والمناسم(١). وتغتدى له غرر في اوجه ومواسم. فقد اسجد الله الكلام لكلامك. وجعل النيرات طوع اقلامك. فانت تهدي بنجومها . وتردي برجومها. فالنثرة من نثرك. والشعرى من شعرك. والبلغاء لك معترفون. وبين يديك متصرفون. وليس يباريك مبار. ولا يجاريك الى الغاية مجار. الاوقف حسيراً وسبقت . ودعى اخيراً وتقدمت. لا عدمت شفوفاً . ولا برح مكانك بالامال محفوفاً .

ومن شعره يمدح المستعين بالله بن هود :

هم سلبوني حسن صبري اذ بانوا ... باقمار اطواق مطالعها بان(٢)
لئن غادروني باللوى ان مهجتي ... مسايرة اظعانهم حيثما كانوا
سقى عهدهم بالخيف عهد(٣) غمائم ... ينازعها مزن من الدمع هتان
أاحبابنا هل ذلك العهد راجع ... وهل لى عنكم آخر الدهر سلوان
ولي مقلة عبرى وبين جوانحي ... فؤاد الى لقياكم الدهر حنان
تنكرت الدنيا لنا بعدكم ... وحفت بنا من معضل الخطب ألوان
رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها ... فلا ماؤها صدا ولا النبت سعدان
الى ملك حاباه بالمجد يوسف ... وشاد له البيت الرفيع سليمان
الى مستعين بالاله مؤيد ... له النصر حزب والمقادير اعوان

---

(١) اراد اعالي الرجال واسافلهم (٢) الشجر المعروف (٣) مطر بعد مطر يدرك آخره بلل اوله .

ومنه :

اخو العلم حي خالد بعد موته   واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى   يعد من الاحياء وهو عديم

(* ابن حمديس *)

ابو محمد عبدالجبار بن محمد بن حمديس الازدي الصقلى . قال ابن بسام في حقه : هو شاعر ماهر يقرطس(١) اغراض المعاني البديعة. ويعبر عنها بالالفاظ النفيسة الرفيعة. ويتصرف في التشبيه المصيب. ويغوص في بحر الكلم على در المعنى الغريب. دخل الاندلس سنة ٤٧١ ومدح المعتمد بن عباد فأحسن اليه وأجزل عطاياه . ه

ومما امتاز به في شعره غرابة الاستنباط وبداعة المعنى وتقريب موصوفاته الانيقة من حياض ورياض وغيرهما الى قوة الخيال الى حيث تتجلى امام السامع في أجمل صورة وأبهر مثال وتوفي سنة ٥٢٧ بجزيرة ميورقة وقيل ببجاية

من اشعاره :

قوله يصف بركة في قصر ابتناه المنصور بن أعلى الناس ببجاية عليها اشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه وعلى حافاتها اسود تقذف المياه من افواهها:

وضراغم(٢) سكنت عرين(٣) رياسة   تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار(٤) جسومها   واذاب في افواهها البلّورا
اسد كأن سكونها متحرك   في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما   اقعت(٥) على ادبارها لتثورا

(١) يصيب . (٢)الاسود . (٣) مأوى الاسد والزئير صوته . (٤) الذهب (٥) اقعى الكلب جلس على مؤخره .

وتخالها والشمس تجلو لونها   ناراً وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول   ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه   درعاً فقدر سردها(١) تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها   عيناي بحر عجائب مسجورا(٢)
شجرية ذهبية نزعت الى   سحر يؤثر في النهر تأثيرا
قد صوجبت اغصانها فكأنما   قبضت بهن من الفضاء طيورا
وكأنما تأبى لوقع طيرها   ان تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة(٣) ترى منقارها   ماء كسلسال(٤) اللجين نميرا(٥)
خرس تعد من الفصاح فان شدت   جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكأنما في كل غصن فضة   لانت فارسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها   فوق الزبرجد لؤلؤاً منثورا
ضحكت محاسنه اليك كأنما   جعلت لها زهر النجوم ثغورا

ومن بديع معانيه قوله في صفة نهر

ومطرد(٦) الاجزاء يصقل متنه   صبا أعلنت للعين ما في ضميره
جريح بأطراف الحصى كلما جرى   عليها شكا اوجاعه بخريره
كأن حباناً ريع تحت حبابه(٧)   فأقبل يلقي نفسه في غديره
كأن الدجى خط المجرة بيننا   وقد كللت حافاته ببدوره
شربنا على حافاته دون سكره   نقبل شكراً منه عيني مديره

---

(١) نسجها (٢) زاخر (٣) صفة للطيور المحذوفة (٤) الماء العذب (٥) الزاكي من الماء
(٦) جار يتبع بعضه بعضاً (٧) معظم الماء .

ومن جملة معانيه النادرة قوله :

زادت على كحل العيون تكحلا ويسم نصل السيف وهو قتول

وله من قصيدة يتشوق بها الى صقلية :

ذكرت صقلية والاسى يجدد للنفس تذكارها
فان كنت اخرجت من جنة فاني احدث اخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا حسبت دموعي أنهارها

﴿ الفتح بن خاقان ﴾

الفتح بن محمد بن عبدالله الاشبيلي الكاتب يكنى ابا نصر ويعرف بابن خاقان . كان آية من آيات البلاغة لا يشق غباره ولا يدرك شاوه عذب الالفاظ ناصعها. اصيل المعاني وثيقها . لعوباً باطراف الكلام معجزاً في باب الحلى والصنات نظمه وسط لم يبلغ شأو نثره الانيق وترسله الرشيق وله من التاليف قلائد العقيان وهو غرة تآليفه وواسطة عقدها اودعه محاسن اعيان الاندلس ورتبه على اربعة اقسام . الاول في محاسن الرؤساء وابنائهم. ودرج انموذجات من مستعذبات أنبائهم. الثاني في غرر حلية الوزراء. وفقر الكتاب والبلغاء. الثالث في لمع اعيان القضاة. ولمح اعلام العلماء السراة. الرابع في بدائع نبهاء الادباء . وروائع فحول الشعراء. ولو لم يكن شاهداً على براعته وغزارة مادته وفيض قريحته الا هذا الكتاب لكفى .وقد قال في خطبته : الحمد لله الذي راض لنا البيان حتى انقاد في اعنتنا . وشاد مثواه في اجنتنا. وذلل لنا من الفصاحة ما تصعب فملكناه . واوضح لنا من مشكلاتها ما تشعب فسلكناه. فصار لنا الكلام عبداً يجيب اذا ناديناه . وسهماً يصيب الغرض اذا رميناه . . ومن براعته وبديهته

انه قيل له ما احسن السجع قال ما خف على السمع .قيل مثل ماذا؟.قال مثل هذا. وله مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس من علماء وفقهاء وادباء لم يذكرهم في القلائد وكانت وفاته بمراكش سنة ٥٢٩

نبذة من نثره الانيق ووشيه الدقيق

قال في ذكر اخبار ابن زيدون مع ولادة : وكان يكلف بولادة بنت المهدي ويهيم . ويستضيء بنور تخيلها في الليل البهيم. وكانت من الادب والظرف وتتميم المسمع(١) والطرف. بحيث تختلس القلوب والالباب. وتعيد الشيب الى اخلاق الشباب. فلما حل بذلك الغرب(٢). وانحل عقد صبره بيد الكرب . كر الى الزهراء ليتوارى في نواحيها. ويتسلى برؤية موافيها. فوافاها والربيع قد خلع عليها برده .ونثر سوسنه ورده . واترع جداولها .وانطق بلابلها(٣). فارتاح ارتياح جميل(٤) بواد القرى. وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى.فتشوق الى لقاء ولادة وحن . وخاف تلك النوائب والمحن فكتب اليها يصف فرط قلقه. وضيق امده اليها وطلقه.ويعاتبها على اغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً والافق طلق ووجه الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في اصائله كأنما رق لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم كما حللت عن اللبات اطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت بتنا لها حين نام الدهر سراقا

(١) الاذن (٢) يعني اشبيلية لانها غرب من قرطبة وان كانت قرطبة ايضاً من غرب الاندلس (٣) جمع بلبل وهو الهزار (٤) صاحب بثينة وكان عشقها وهو غلام فلما شب خطبها فرد عنها فاكثر من الشعر فيها وكان يأتيها سراً ومنزلهما بوادي القرى قرب المدينة المنورة وهو المعروف اليوم بالعلا .

نلهو بما يستميل العين من زهر　　جال الندى فيه حتى مال اعناقا
كأن اعينه اذ عاينت أرقى　　بكت لما بي فجال الدمع رقراقا
ورد تألق في ضاحي منابته　　فازداد منه الضحى في العين اشراقا
سرى بنافحة نيلوفر(١) عبق　　وسنان نبه منه الصبح احداقا
كما يهيج لنا ذكرى تشوقنا　　اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا
لو كان وفى المنى في جمعنا بكم　　لكان من اكرم الايام اخلاقا
لا سكن الله قلباً عن ذكركم　　فلم يطر بجناح الشوق خفّاقا
لو شاء حملني نسيم الريح حين هفا(٢)　　وافاكم بفتى اضناه ما لاقا
ياعلقي(٣) الاخضر الاسنى الحبيب الى　　نفسي اذا ما اقتنى الاحباب اعلاقا
كان التجازي بمحض الود مذ زمن　　ميدان انس جرينا فيه اطلاقا
فالان احمد ما كنا لعهدكم　　سلوتم وبقينا نحن عشاقا

وكتابته كلها على هذه الصقالة والترصيف والترصيع . وقد اثبتنا منها(٤) جملة صالحة وآثرناها لقول صاحب النفح ما رأيت ولا سمعت احلى من عبارة الفتح رحمه الله تعالى في تحلية الناس ووصف ايام الانس وليس الخبر كالعيان

﴿ ابن عبدون ﴾

الوزير الكاتب ابومحمد عبدالمجيد بن عبدون الفهري من اهل يابرة. قال في القلائد : منتمى الاعيان ومنتهى البيان. المطاول لسحبان(٥). والمعارض

(١) ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة انظر صورته في المنجد　(٢) هب　(٣) الشيء النفيس الذي تعلق به النفس　(٤) في عدة تراجم　(٥) الخطيب المشهور الذي يضرب به المثل في الفصاحة .

لصعصعة (١) بن صوحان. الذي اطلع الكلام زاهرا. ونزع فيه منزعاً باهرا. نخبة العلاء. وبقية اهل الاملاء. الشامخ الرتبة. العالى الهضبة. فاق الافراد والافذاذ. ومشى في طرق الابداع الوخد والاغذاذ(٢). وراقت رقة ما يحويه العراق وبغداد. له الادب الرائق البهيج. والمذهب العاطر الاريج. فاز بمقاد الانتقاد. وامسك عن عنان الافتنان .ه .وقال في الصلة: روي عن ابي الحجاج الاعلم وابي بكر عاصم بن ايوب وابي مروان بن سراج وغيرهم وله كتاب في نصرة ابي عبيد علي ابن قتيبة وكان اديباً مقدماً شاعراً عالماً بالخبر والاثر ومعاني الحديث اخذ الناس عنه وتوفي بيابرة منصرفاً لزيارة من له بها سنة٥٢٩

من غرر اشعاره

قصيدته البديعة في رثاء المتوكل على الله عمر بن المظفر وابنيه وهو من مشاهير ملوك بني الافطس اصحاب بطليوس وما اليها وكان قتلهم على يد جيش يوسف بن تاشفين يوم الاضحى سنة ٤٨٩ وسبب ذلك ما صح عنده من مداخلتهم الطاغية وان يملكوه مدينة بطليوس وقد عدد فيها اهل النكبات ومن عثر به الزمان وعبث به الحدثان مما يبكي منه الجماد وتستشرف لسماعه النجاد والوهاد ونظرا لما بها من الفائدة لكونها ملخص تاريخ جميل رأينا ذكرها بتمامها مع تطريز حواشيها بكتابة تشف عن مرماها وتومىء الى مغزاها قال :

الدهر يفجع بعد العين بالاثر   فما البكاء على الاشباح والصور
انهاك انهاك لا ألوك موعظة   عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حرب وان ابدى مسالمة   والبيض والسود مثل البيض والسمر
ولا هوادة(٣) بين الراس تأخذه   يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا تغرنك من دنياك نومتها   فما صناعة عينيها سوى السهر
ما لليالي أقال الله عثرتنا   من الليالي وخانتها يد الغير(٤)

---

(١) كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وكان خطيباً فصيحاً وله مع معاوية مواقف وقال الشعبي كنت اتعلم منه الخطبة انظر الاصابة (٢) كلاهما بمعنى الاسراع في السير (٣) اللين (٤) اي لم تنصحها والغير تقلبات الدهر

في كل حين لها في كل جارحة   منا جراح وان زاغت عن النظر
تسر بالشيء لكن كي تغربه   كالايم ثار الى الجاني من الزهر(١)
كم دولة وليت بالنصر خدمتها   لم تبق منها وسل ذكراك من خبر
هوت بدارا(٢) وفلّت غرب قاتله(٣)   وكان عضباً على الاملاك ذا اثر(٤)
واسترجعت من بني ساسان ما وهبت(٥)   ولم تدع لبني يونان من خبر
وألحقت اختها طسما(٦) وعاد على   عاد(٧) وجرهم(٨) منها ناقض المرر(٩)
وما أقالت ذوي الهيئات من يمن   ولا أجارت ذوي الغايات من مضر(١٠)
ومزقت سبا في كل قاصية   فما التقى رائح منهم بمبتكر(١١)

---

(١) اي ان حزنها كامن في سرورها ككمون الايم اي الافعى في الزهر (٢) هو آخر الطبقة الاولى من ملوك الفرس وكان عظيماً فيهم وتغلب على اليونان والزمهم الوظائف التي كانت عليهم لابائه وملكهم يومئذ الاسكندر بن فيليب الفاتح المشهور فابى واجاب بالاغلاظ وزحف اليه وقاتله فقتله بعد حروب عنيفة واستولى الاسكندر على ملوك فارس والاقاليم الخاضعة لهم كآسيا الصغرى وصور ومصر (٣) قاتله الاسكندر وفلول غربة كناية عن قضاء الدهر عليه واصل الغرب الحدة من كل شيء نحو الفاس والسكين (٤) الضمير لقاتل دارا والعضب السيف والاثر الطرائق في متن الهيف تدل على كرمه والمراد سيطرته عليهم وارتعاد فرائصهم من شدة وطأته (٥) دولة الفرس الرابعة وهي احدى الدولتين اللتين صبحهما الاسلام في العالم وهما دولة فارس والروم (٦) اخت طسم جديس وكلاهما من العرب البائدة وكانت جديس قد اغتالت طسماً وكادت تستأصلهم واستجاش عليهم من افلت حسان بن ابي كرب احد تبابعة اليمن واثأروا منهم (٧) من العرب البائدة وقصتهم في القرآن (٨) كانوا نازلين بمكة وكانوا ذوي طغيان ثم آلت قوتهم الى الضعف ولما كثر ولد اسماعيل عليه السلام بمكة طردوا من بقي منهم الى جهينة فهاجمهم في بعض الليالي سيل جارف فذهب بهم (٩) هادم والمرر جمع مرة وهي القوة والضمير في منها لليالي وفيه تجريد حيث انتزع من الليالي ناقض القوى مبالغة لكمال نقض القوى فيها (١٠) لم يشر الى قضية معينة وانما عمم في جميع اهل اليمن ومضر (١١) وذلك انهم مزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون تفرقوا ايادي سبا وقصة مهلكهم في القرآن.

وأنفذت في كليب(١) حكمها ورمت   مهلهلا(٢) بين سمع الارض والبصر
ولم تـرد على الضليـل صحتـه   ولا ثنت أسداً عن ربها حجر(٣)
ودوخـت آل ذبيـان واخوتهـم   عبساً وعضت بني بدر على النهر(٤)
وألحقت بعـدي بالعراق على   يد ابنه أحمر العينين والشعر(٥)

---

(١) ابن وائل التغلبي وكان قتله على يد جساس وبسببه ثارت حرب البسوس بين بكر وتغلب ودامت اربعين سنة (٢) اخو كليب والآخذ بثأره وهو اول من هلهل نسج الشعر وقصد القصائد وذكروا في مهلكه انه اسن وخرف وكان له عبدان يخدمانه فملا منه فخرج بهما يريد سفرا فاناخا به في بعض الفلوات وعزما على قتله فلما عرف ذلك كتب على قتب الرحل :

من مبلغ الحيين ان مهلهلا   لله دركما ودر ابيكما

وقيل اوصاهما بتبليغ ذلك الى اهله . ثم قتلاه وعادا الى اهله وبنيه فقالا ان سيدنا قد هلك وانشداهم الشعر ففكر بعض ولده وقال ما كان مهلهل ليقول هذا الشعر الذي لا معنى له وانما اراد :

من مبلغ الحيين ان مهلهلا   امسى قتيلا بالفلاة مجدلا
لله دركما ودر ابيكما   لايبرح العبدان حتى يقتلا

فحبسوا العبدين وقرروهما فاقرا بقتله فقتلا به. وقيل غير هذا وما ذكرناه اقرب الى لفظ المثل الذي ضمنه ابن عبدون وان كان يقال في حق من لم يدر اين توجه (٣) الضليل هو امرؤ القيس ولقب بذلك لما اصابه من قواذف الدهر التي دمغته حتى لم يتمكن من الاخذ بثار ابيه بعدما عاثت في ملكه وذلك ان اباه حجرا كان ملكاً على بني أسد فغبر فيهم دهرا ثم وثبوا عليه وفتكوا به فذهب امرؤ القيس الى قيصر يستنجده ليأخذ بثأره فأمده بجيش ولما فصل به عن القسطنطينية تسرب الى قيصر رجل من بني اسد يدعى الطماح ووشى به عنده فبعث اليه بحلة مسمومة فلما لبسها اسرع فيه السم وسقط جلده ومات (٤) تدويخ بعضهم لبعض كان في حرب داحس والغبرآء وذلك انه تراهن قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر الفزاري على عشرين بعيرا وجعلا الغاية مائة غلوة فاجرى قيس داحساً والغبرآء وحذيفة الخطار والحنفاء فوضعت بنو فزارة رهط حذيفة كميناً في الطريق فردوا الغبرآء ولطموها وكانت سابقة فهاجت الحرب بين عبس وذبيان اياماً وكان من ايامها يوم الهباءة (اسم نهر) وهو اشدها وطأة على بني فزارة اصيب فيه حمل وحذيفة ابنا بدر والقصة طويلة جداً (٥) عدي بن زيد التميمي ولد بالحيرة وكان لابيه صديق من المرازبة (جمع مرزبان وهو الرئيس عند الفرس) فارسله مع ابنه الى بلاد فارس فتعلم الكتابة والقلم بالفارسية وحذق في ذلك ونمى خبره الى كسرى فاستدعاه فاعجبه جماله وعقله فاثبته مع ولد المرزبان في ديوانه بالمدائن ولما عاد الى الحيرة خرج المنذر بنفسه للقائه واحتفى به وولد للمنذر ولد سماه النعمان فاسند تربيته الى عدي فرباه وادبه ولما مات ابوه سعى عند كسرى في تمليكه بدل اخوته الاثني عشر فنجح مطلبه . فحقد عليه قوم من خاصة اخ له كان يطمع بالملك وسعوا به عند النعمان وما زالوا يفتلون له في الغارب والسنام حتى اوغروا صدره عليه وآخر الامر انه زجه في السجن ثم لم ينشب ان قتله وكان له ابن يدعي زيدا فافرغ جعبة حيله في التقرب من كسرى

ومزقت جعفراً(١) بالبيض واختلست من غيله حمزة الظلام للجزر(٢)
واشرقت بخبيب فوق فارعة(٣) وألصقت طلحة الفياض بالعفر(٤)
وبلغت يزدجرد الصين واختزلت عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر(٥)

حتى حصل في منزلة ابيه ثم ذكر له يوماً نساء آل المنذر ووصفهن بالجمال والادب فارسله بكتاب منه الى النعمان يخطب اخته او ابنته فانف النعمان من مصاهرته فقال له زيد ابيت اللعن انما اراد الملك تشريفك ولو علم انك لا تريد ذلك لم يتعرض لك ولكني ساعتذر عنك له فقال له النعمان فافعل فانك تعلم ما على العرب في زواج العجم من الغضاضة فلما رجع زيد الى كسرى حرف له كلام النعمان واخرجه اقبح مخرج فاستشاط غضبه عليه وكان مآل الامر ان وقع في يده فرمى به بين ارجل الفيلة فداسته . فقوله احمر العينين والشعر اراد به النعمان بن المنذر وهذه صفته (١) هو ابن ابي طالب اصيب في غزوة موته وكانت بيده الراية فقطعت يمناه فردها الى اليسرى ثم اصيبت اليسرى فاحتضنها حتى مات (٢) ابن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان قتله يوم احد كمن له وحشي فلما دنا منه رماه بالحربة فأصماه وقوله الظلام للجزر كناية عن الكرم او تلميح الى ما فعل بجزر علي بن ابي طالب من بقر خواصرهن وهو ثمل وذلك قبل تحريم الخمر . (٣) يشير الى قتله وصلبه على يد ابي سروعة وهو القائل :

ولست ابالي حين اقتل مسلماً على اي جنب كان لله مصرعي
وذلك في ذات الالاه وان يشا يبارك على اوصال شلو ممزع

(٤) ابن عبدالله التيمي احد العشرة والعفر ظاهر التراب واشار الى قتله يوم الجمل على يد مروان بن الحكم (٥) اخر اكاسرة الفرس وذلك انه كان بمروالروذ فارا من وجه الاحنف بن قيس وكان احد الامرآء الذين عقد لهم عمر رضى الله عنه الالوية للانسياح في بلاد فارس بعد وقعة القادسية وجلولاء وغيرهما وكان يزدجرد قد استنجد ملوك الامم وكتب الى ملك الصين والى خاقان ملك الترك والى ملك الصغد ولما التقى مع الاحنف على نهر بلخ وانهزم وعبر النهر مهزوماً انجده خاقان في الترك واهل فرغانة والصغد فرجع يزدجرد وخاقان الى خراسان فنزلا بلخ ورجع اهل الكوفة الى الاحنف بمروالروذ ونزل المشركون عليه ثم رحل ونزل سفح الجبل في عشرين الفا من اهل البصرة واهل الكوفة وتحصن العسكران بالخنادق واقاموا يقاتلون اياماً وصحبهم الاحنف ليلة وقد خرج فارس من الترك يضرب طبله ويتلوه اثنان كذلك ثم يخرج العسكر بعدهم عادة لهم فقتل الاحنف الاول ثم الثاني ثم الثالث فلما مر بهم خاقان تشاءم وتطير ورجع ادراجه فارتحل وعاد الى بلخ وبلغ الخبر الى يزدجرد وكان على مرو الشاهجان محاصرا لحارثة بن النعمان ومن معه فجمع خزائنه واجمع اللحاق بخاقان على بلخ فمنعه اهل فارس وحملوه على صلح المسلمين والركون اليهم وانهم اوفى ذمة من الترك فابى من ذلك وقاتلهم فهزموه واستولوا على الخزائن ولحق بخاقان وعبر النهر الى فرغانة واقام يزدجرد ببلاد الترك ايام عمر كلها الى ان انتقضت فارس ايام عثمان فرجع اليها ولما اعاد عبدالله بن عامر فتحها بايعاز عثمان رضي الله عنه هرب يزدجرد من جور وهي اردشير فبعث في اثره مجاشع بن مسعود فاتبعه الى كرمان فهرب الى

ولم ترد مواضي رستم وقنا ذي حاجب عنه سعداً في ابنة الغير(١)
وخضبت شيب عثمان دماً(٢) وخطت الى الزبير(٣) ولم تستحي من عمر(٤)
وأجزرت سيف اشقاها(٥) أباحسن(٦) وأمكنت من حسين راحتي شمر(٧)
وليتها اذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بمن شاءت من البشر
وما راعت لابي اليقظان صحبته ولم تزوده الا الضيح في الغمر(٨)
وفي ابن هند(٩) وفي ابن المصطفى حسن أتت بمعضلة الالباب والفكر

خراسان وهلك الجند في طريقهم بالثلج ولم يسلم الا مجاشع ولحق يزدجرد بمرو واستجاش بالترك فبيتوه وقتل صحابه وهرب يزدجرد ماشياً فالجأه الليل الى بيت رجل ينقر الارحاء فلما نام قتله ورماه في النهر هذا ملخص القصة كما في ابن خلدون (١) رستم هو امير يزدجرد على الجيش يوم القادسية وذو حاجب صاحب رايته في ذلك اليوم والضمير في عنه ليزدجرد وسعدا مفعول ترد وهو ابن ابي وقاص احد العشرة رضي الله عنهم وكان الامير على جيوش الاسلام في يوم القادسية وكان على يده فتحها وكانت الضربة القاضية على الفرس وإياها يعني ابن عبدون بقوله ابنة الغير والغير احداث الدهر لتغيرها

(٢) على يد اهل مصر (٣) قتله عمرو بن جرموز منصرفه من وقعة الجمل (٤) قتله ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة (٥) عبدالرحمن بن ملجم المرادي ألجمه الله بلجام من نار (٦) علي بن ابي طالب عليه السلام وذلك ان ثلاثة من الخوارج وهم ابن ملجم وعمرو بن بكر التميمي والبرك بن عبدالله التميمي الصريمي تواطئوا على ان يقتلوا عليا وكان بالكوفة ومعاوية وكان بالشام وعمرو بن العاص وكان بمصر وتواعدوا لسبع عشرة من رمضان من عامهم ٤٠ عند خروجهم لصلاة الصبح فاما صاحب علي فانه ادركه واصماه واما صاحب معاوية فانه وثب عليه وضربه بالسيف فوقع في اليته ونجا واما ابن العاص فانه بات ليلته شاكياً واستناب خارجة بن حذافة العدوي فشد عليه عمرو بن بكر فقتله فلما اخذوه وادخلوه على عمرو قال فمن قتلت اذا قالوا خارجة قال اردت عمرا واراد الله خارجة فارسلها مثلا

(٧) ابن ذي الجوشن قاتل الحسين عليه السلام بكربلاء (٨) عمار بن ياسر رضى الله عنه واشار الى ما روى عنه انه استسقى يوم صفين فأتته امرأة بشربة من لبن فشربها ثم قال اليوم القى الاحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي ان آخر شربة اشربها من الدنيا لبن ثم قاتل حتى قتل والضيح اللبن الرقيق الممزوج والغمر بضم الغين وفتح الميم اصغر الاقداح (٩) المراد به معاوية بن ابي سفيان رضى الله عنه وامه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وحسن هو ابن علي عليهما السلام واشار الى ما جاء عنه انه قال لقد لفظت طائفة من كبدي واني قد سقيت السم مرارا فلم اسق مثل هذا فقال له الحسين اي اخي من سقاك قال وما تريد اليه أتريد ان تقتله قال نعم قال فان كان الذي اظن فالله اشد نقمة ولئن كان غيره فما احب ان يقتل في بي بريء ويزعمون والله أعلم ان معاوية دس الى زوجته بذلك

فبعضنا قائل ما اغتاله أحد وبعضنا ساكت لم يأت من حصر
وعممت بالردي فودي ابي انس(١) ولم ترد الردى عنه قنا زفر(٢)
وأردت ابن زياد(٣) بالحسين فلم يبؤ بشسع له قد طاح او ظفر
وأنزلت مصعباً من رأس شاهقة(٤) كانت بها مهجة المختار في ورر(٥)

على ان يبذل لها مائة الف ويزوجها من ابنه فلما مات الحسن وفى لها معاوية بالمال وقال اني احب حياة يزيد وفي سمه يقول بعض الشيعة بعد قتل الحسين :

تعز فكم لك من سلوة تفرج عنك قليل الحزن
بموت النبي وقتل الوصي وقتل الحسين وسم الحسن

(١) هو الضحاك بن قيس الفهري الصحابي اخو فاطمة بنت قيس رضى الله عنهما كان مع معاوية بالشام حتى مات فصلى عليه وقام بخلافته حتى قدم يزيد فكان معه ومع ابنه معاوية الى ان ماتا ووثب مروان على بعض الشام فبويع له فبايع الضحاك اكثر اهل الشام لابن الزبير ودعا له فاقتتلوا وقتل الضحاك وذلك في مرج راهط (٢) هو زفر بن الحارث الكلابي كان من فرسان زمانه وكان الضحاك يعتمد عليه في حربه مع مروان لجراءته ونجدته ففر عنه يوم مرج راهط (٣) عبيدالله بن زياد وهو الذي جهز الجيش لقتال الحسين عليه السلام قتله الاشتر النخعي وكان على جيش المختار بن ابي عبيد وكان المختار يوهم الطلب بدم آل البيت ويطوي تحته معتقده الخبيث والشسع قبال النعل والظفر جمع ظفيرة والضمير في يبؤ لابن زياد وفي له للحسين والمراد ان لا قيمة لدم ابن زياد في جنب الحسين رضى الله عنه واصل هذا من قول مهلهل وقد قتل بجيرا في حرب البسوس بؤ بشسع نعل كليب (٤) مصعب بن الزبير وكان يناهض عبدالملك بن مروان في الخلافة فخرج لمحاربته والتقى الجيشان وكاتب عبدالملك اصحاب مصعب ووعدهم الاماني ان غدروا به فقتله غلام لعبيدالله بن زياد بن ظبيان وكان من اصحابه وحمل عبيدالله رأسه الى عبدالملك وهو ينشد :

نطيع ملوك الارض ما اقسطوا لنا وليس علينا قتلهم بمحرم

فلما نظر اليه عبدالملك خر ساجدا قال عبيدالله فما ندمت على شيء ندمي على عبدالملك حين خر ساجدا حيث لم اضرب عنقه فاكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد وقوله من رأس شاهقة يعني الكوفة وسماها شاهقة لمنعتها وكثرة رجالها ويعني برأسها قصر الامارة الذي كان به مصعب (٥) ابن عبيدالله الثقفي كذاب ثقيف الذي اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم كان يزعم ان جبريل عليه السلام يأتيه وكان يظهر التشيع لآل البيت وطلب الاخذ بثار الحسين فقتل كثيرا من قتلته ومنهم عبيدالله بن زياد كما مر ولما تبين لاهل الكوفة سوء معتقده خرجوا نحو مصعب واستعدوه عليه فجرت بينهم معارك صعبة انتهت بقتل المختار والوزر الملجأ والحصن.

ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا رعت عياذته بالبيت والحجر(١)

ولم تدع لابي الذباب(٢) قاضبة ليس اللطيم لها عمر بمنتصر(٣)

وأظفرت بالوليد بن اليزيد(٤) ولم تبق الخلافة بين الكاس والوتر

حبابة حب رمان ألم بها(٥) وأحمر قطرته نفحة القطر(٦)

ولم تعد قضب السفاح(٧) نابية عن رأس مروان(٨) او اشياعه الفجر

واسبلت دمعة الروح الامين على دم بفخ لآل المصطفى هدر(٩)

---

(١) عبدالله بن الزبير وكان قد بايعه اهل الحجاز والعراق وغيرهما وكان مآل الامر ان سير اليه عبدالملك الحجاج بن يوسف فاقتحم عليه البيت الحرام وقتله وصلبه (٢) لقب عبدالملك بن مروان لبخره ويلقب ايضاً برشح الحجر لبخله والقاضبة السيف واشار بهذا الى انه كان مظفراً فانه كان في ايامه عدة رجال اكابر كانوا يجاذبونه حبل الخلافة مثل عبدالله بن الزبير واخيه مصعب وعمرو بن سعيد الاشدق وغيرهم وكلهم قتلهم وحكم فيهم قاضبته اي سيفه ومع هذا فلم ينفعه ذلك ولا اغنى عنه شيئاً حين تمت ايامه واتاه حمامه (٣) عمرو بن سعيد الاشدق وكان يلقب لطيم الشيطان لميل كان في فمه واشار الى قتل عبدالملك له رغماً عن منعته وذهاب دمه هدرا فالضمير في قوله لها للقاضبة (٤) الثاني عشر من خلفاء بني امية الفاسق المشهور بالخلاعة والتهتك (٥) جارية ليزيد بن عبدالملك شغف بها فترك الامور وشأنها واختلى بها وقصر نفسه عليها وكان يقول كذب الذين يقولون لن يصفو لاحد الملوك يوم فبينما هو في صفو مع من ملكت فؤاده اذ غصت بحبة رمان فماتت فاختل عقله وتكدر سروره واخذ يقبلها ويرتشفها ولم يدفنها حتى نتنت وجافت ولم يعش بعدها الا خمسة عشر يوماً ولحق بها (٦) لم ينقدح في فكري ما لمح له بهذا الشطر غير انه يحتمل على بعد أن يشير الى مهلك النعمان بن المنذر الذي سبق ان كسرى اسلمه الى الفيلة فداسته بارجلها ويكون هناك اشار الى قتله وهنا الى قتلته والنفحة القطعة من العذاب والقطر جمع قطار وهو في الاصل الابل المقطورة واراد هنا الفيلة المتتابعة فمن اشعت اشعة فكره الى اقرب من هذا فليتفضل باثباته (٧) ابو العباس مؤسس الدولة العباسية (٨) مروان هو بن محمد الملقب بالحمار آخر ملوك بني امية واشار الى قيام آل العباس على بني امية وظفرهم بمروان وشيعته وانتزاع الخلافة من ايديهم (٩) يشير الى وقعة فخ (موضع قرب مكة) التي جرت بين الحسن المثلث رضى الله عنه وبين آل العباس وذلك ان الحسن المذكور خرج بالمدينة ايام موسى الهادي وبايعه اهلها ثم تجهز وقصد مكة ايام الموسم وكان قد حج في تلك السنة جماعة من وجوه العباسيين وشيعتهم فجرت بينهم وبين الحسن معركة انجلت عن قتل الحسن في جماعة من اهل بيته ومنها افلت المولى ادريس رضى الله عنه الى ارض المغرب .

وأشرقت جعفراً والفضل ينظره … والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر(١)

وأخفرت في الامين(٢) العهد وانتدبت … لجعفر(٣) بابنه والأعبد الغدر

وروعت كل مأمون ومؤتمن(٤) … وأسلمت كل منصور(٥) ومنتصر(٦)

وأعثرت آل عباس لعاً لهم … بذيل زباء من بيض ومن سمر(٧)

ولا وفت بعهود المستعين(٨) ولا … بما تأكد للمعتز(٩) من مرر

---

(١) يشير الى نكبة الرشيد للبرامكة وهم يومئذ في عنفوان مجدهم فقتل جعفرا وابد سجن ابيه يحيى وابنه الفضل الى ان ماتا فقوله اشرقت معناه اغصت وقوله بريق الصارم الريق في الاصل ماء الفم والجار والمجرور متعلق باشرقت (٢) ابن الرشيد وكان قد عهد اليه بالخلافة الا انه كان ضعيف الرأي منقطعاً الى اللعب خالعا للعذار مبذرا فوثب عليه اخوه المأمون وظفر به وقتله (٣) هو المتوكل ابن المعتصم عاشر الملوك العباسيين ذكر عليا يوما بسوء وانتقصه فغضب لذلك ابنه المنتصر فشتمه ابوه فأسرها المنتصر في نفسه وعين لقتله باغر التركي مع جماعة من اصحابه فوثبوا عليه وقتلوه مع وزيره الفتح ابن خاقان وهو اول خليفة قتل بيد الاتراك (٤) يشير الى انه لما عقد الرشيد البيعة لبنيه محمد الامين وعبدالله المأمون والقاسم المؤتمن ومات الرشيد وافضت الخلافة للامين روعهما واخافهما ورد العهد لابنه موسى ولقبه الناطق بالحق ولكنه اخفق مسعاه (٥) اول من تلقب به هشام بن عبدالملك على ان خلفاء بني امية كانت لهم القاب ثم ابوجعفر العباسي (٦) محمد بن المتوكل الحادي عشر من خلفاء آل العباس وكان سعى في قتل ابيه كما سبق وخلع اخويه المعتز والمؤيد واخذ خطوطهما باحلال الناس من مبايعتهما ومن ولاية العهد بعد ان اهانهما عملا بمشورة الاتراك لخوفهم ان يموت المنتصر فيتولى الخلافة احدهما فينتقم منهم فلم تطل دولته ولم يتمتع بالملك فسم ومات بالذبحة (٧) اشارة الى تغلب عبيدهم الاتراك عليهم حتى كانوا يقتلونهم كيف شاءوا ويولونهم ويعزلونهم متى شاءوا وقوله لعالهم كلمة تقال للعاثر دعاء له بالانتعاش وقوله بذيل زباء الخ. اشارة الى كثرة عبيدهم وقوتهم على حمل السلاح والزباء الداهية الشديدة (٨) الثاني عشر من خلفاء آل العباس وملخص ما اشار اليه انه لما نقم عليه الاتراك وبايعوا اخاه المعتز وقويت شوكته اضطر المستعين الى التنازل على شروط لسنا لها الان فاجاب اليها المعتز ووافق عليها بخطه وبدل ان يفي بتلك العهود دس اليه من قتله سرا (٩) الثالث عشر من الخلفاء العباسيين والمرر جمع مرة وهي القوة والمراد ان الاتراك اكدوا له انهم في نصرته حتى قوى على قلب دولة اخيه وتقويض اركانها وكان مآل امره ان جاءه جماعة منهم يطلبون ارزاقهم بعد مماطلة وصاحوا به ان اخرج الينا فاعتذر بانه تناول دواء فدخلوا عليه وجروا برجله الى الباب واوقفوه في الشمس حافيا وهو يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة الحر ثم جعلوا يلطمونه وهو يتقي بيديه حتى اجاب الى الخلع فاحضر القاضي وخلع نفسه ثم سلموه الى من يعذبه فمنع عنه الطعام والشراب اياماً ثم ادخل الحمام واقفل عليه بابه فاصبح ميتاً وقيل غير ذلك

وأوثقت في عراها كل معتمد(١)   واشرقت بقذاها كل مقتـدر(٢)
بني المظفـر والايام مـا برحت   مراحلا والورى منهـا على سفر
سحـقاً ليومكم يوماً ولا حملت   بمثله ليلة في مقبـل العمر
من للاسرة أو من للاعنـة أو   من للاسنـة يهديهـا الى الثغر(٣)
من لليراعة او من للبراعـة او   من للسماحة او للنفـع والضرر
او دفع كارثة(٤) او ردع ازفة(٥)   او قمع حادثة تعيي على القدر(٦)
من للظبى وعوالى الخط قد عقدت   اطراف ألسنهـا بالعي والحصر
وطوقت بالثنايا السود بيضهم(٧)   اعجب بذاك وما منها سوى ذكر
ويح السماح وويح البأس لو سلما   واحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامية   تعزى اليهم سماحاً لا الى المطر
ثلاثة ما رأى السعـدان مثلهم   فضلا ولو عززا بالشمس والقمر
ثلاثة ما رقى النسران حيث رقوا   وكل ما طار من نسر ولم يطر
ومر من كل شيء فيـه أطيبه   حتى التمتع بالاصـال والبكر

---

(١) اول من تلقب به احمد بن المتوكل الخامس عشر من خلفاء آل العباس ومعلوم تضييق اخيه الموفق عليه وضربه على يديه حتى كان يطلب الشيء اليسير فلا يناله وينشد في ذلك :

أليس من العجائب ان مثلي   يرى ما قل ممتنعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً   وما منها يسير في يديه

(٢) اول من تلقب به جعفر بن المعتمد الثامن عشر من الخلفاء العباسيين لقي من تشغيب الجيش عليه احوالا واهوالا وقتل في حربه مع مونس الثائر عليه قتله رجل من البربر وجرده من جميع ملابسه وتركه مكشوف السواة حتى مر به كردي فستره بحشيش وواراه (٣) جمع ثغرة وهي نقرة النحر التي بين الترقوتين والمعنى انهم ماهرون بالطعن وان اسنتهم لا تخطىء النحور (٤) المشقة الشديدة (٥) الازفة في الاصل القيامة واطلقها على الشدة المتناهية (٦) جمع قدرة وتعني مضارع اعيت والمعنى انها تستصعب على القوى وتعجز عن مقاومتها (٧) اراد ما علا سيوفهم من صدا الدم .

من للجلال الذي عمت مهابته قلوبنا وعيون الانجم الزهر
أين الأباء الذي ارسوا قواعده على دعائم من عز ومن ظفر
أين الوفاء الذي اصفوا شرائعه فلم يرد أحد منهم على كدر
كانوا رواسي ارض الله منذ نأوا عنها استطارت بما فيها ولم تقر(١)
كانوا مصابيحها فمذ خبوا غبرت هذي الخليقة يالله في سرر(٢)
كانوا شجا الدهر فاستهوتهم خدع منه باحلام عاد في خطا الخضر(٣)
من لى ومن بهم ان اطنبت(٤) محن ولم يكن وردها يفضي الى صدر
من لى ومن بهم ان عطّلت سنن واخفتت ألسن الاثار والسير
ويلمه(٥) من طلوب الثار مدركه لو كان ديناً على الايام ذي عسر
على الفضائل الا الصبر بعدهم سلام مرتقب للاجر منتظر
يرجو عسى وله في اختها طمع والدهر ذو عقب(٦) شتى وذو عبر
قرطت آذان من فيها بفاضحة على الحسان(٧) حصى الياقوت والدرر

---

(١) لم تثبت وبابه وعد (٢) السر ر والسرار آخر ليلة من الشهر (٣) كان الحلم في عاد متعارفا ومن ثم يضرب بهم المثل فيه وخطى الخضر عليه السلام يضرب بها المثل في السرعة (٤) شندت او اتبع بعضها بعضا (٥) روي بكسر اللام وبضمها فالكسر على ان اصله ويل امه ينصب ويل مضافاً الى اللام فحذفت الهمزة وكسرت اللام اتباعاً لحركة الميم ونظيره كسر راء امرىء القيس اتباعاً لحركة الهمزة وقيل الاصل ويل لامه برفع ويل على الابتداء ولامه خبره فحذفت لام ويل والهمزة ونظيره قولهم ايش لك يريدون اي شيء لك فاللام المسموعة على هذا لام الجر ووجه الضم على ان الاصل ويل امه برفع ويل مضافاً الى اللام فحذفت الهمزة وعلى الوجهين فقد أجرى مجرى الكلمة الواحدة (٦) جمع عقبة وهي النوبة والبدل (٧) يعني ابناء المظفر .

(تنبيه) — لابن عبدون رسالة رائقة راقية تنبئك عن غزارة معلوماته وعن مكنونات فكرته الدفاقة انظرها في قلائد العقيان .

« ابن الصائغ »

ابو بكر محمد بن باجه التجيبي السرقسطي المعروف بابن الصائغ كان عالماً فاضلا مبرزاً في علم العربية والادب والهيئة والطب والموسيقى والفلسفة بل هو آخر فلاسفة الاسلام بالاندلس كما قال لسان الدين في الاحاطة وهو اول من علق الشروح الضافية الذيول على كتب الحكمة التي استجلبت من المشرق في خلافة الحكم بن الناصر الاموي ونفع بها اهل وطنه غير ملتفت الى سخط العامة ونقمتهم على المولعين بذلك العلم وحلاه الفتح ابن خاقان في غير القلائد بقوله: نور فهم ساطع. وبرهان علم لكل حجة قاطع. تتوجت بعصره الاعصار. وتأرجت من طيب ذكره الامصار. وقام وزن المعارف(١) واعتدل. ومال للافهام فنما وتهدل(٢). وعطل بالبرهان التقليد. وحقق بعد عدمه الاختراع(٣) والتوليد. اذا قدح زند فهمه أورى بشرر للجهل محرق. وان طما بحر خاطره فهو لكل شيء مغرق. مع نزاهة النفس وصونها. وبعد الفساد من كونها. والتحقيق. الذي للايمان شقيق. والجد(٤). الذي يخلق العمر وهو مستجد. وله ادب يود عطارد(٥) ان يلتحقه. ومذهب يتمنى المشتري ان يعرفه. ونظم تعشقه اللبات والنحور. وتدعيه مع نفاسة جوهره البحور. ه. هذا كلام الفتح نفسه في حق صاحب الترجمة وبه تعلم ان ما ثلبه به في قلائد العقيان محض كذب وبهتان وخلف ابن الصائغ عدة مصنفات حسان منها رسالة الوداع تشتمل على مباحث في القوة المحركة في الانسان العاقل وخلود النفس ورسائل في الفلسفة وبقية

---

(١) يعني في عصره (٢) يقال تهدل الغصن اذا استرسل واسترخى (٣) يشير الى عنايته باحياء علوم الفلسفة (٤) الاجتهاد والدءوب (٥) اسم نجم من السيارة وكذا المشتري .

الفنون التي اتقنها زيادة على الشروح التي وضعها على طائفة من كتب ارسطو وتوفي سنة ٥٣٣ .

من دقائق اشعاره . قوله يتغزل :

أسكّان نعمان الاراك تيقنوا بانكم في ربع قلبي سكان
ودوموا على حفظ الوداد فطالما بلينا باقوام اذا استحفظوا خانوا
سلوا الليل عنا اذ تناءت دياركم هل اكتحلت لى فيه بالنوم اجفان
وهل جردت اسياف برق سمائكم وكانت لها الا جفوني اجفان

وقوله :

أيا مكرع(١) الوادي اما فيك شربة لقد سال فيك الماء ازرق صافيا
ويا شجيرات الجزع(٢) هل فيك وقفة وقد فاء فيك الظل اخضر ضافيا

وحكي غير واحد انه مات له سكن كان يهواه فبات مع بعض اصحابه عند ضريحه ومثواه وكان قد عرف وقت كسوف البدر بصناعة التعديل(٣) فزور في نفسه بيتين في خطاب القمر اتقنهما ولحنهما حتى اذا كان قبيل وقت الكسوف بقليل تغنى فيهما بذلك الصوت الشجي واللحن يسوق الشوق(٤) ويزجي وهما

شقيقك غيّب في لحده وتشرق يا بدر من بعده
فهلا كسفت فكان الكسو ف حداداً لبست على فقده

فكسف القمر في الحال وعدت هذه من نوادره التي جيد الاخبار بها حال(٥) سامحه الله .

---

(١) محل الكروع وهو التناول بالفم (٢) منعطف الوادي (٣) تعديل حركات الكواكب وهو فن مخصوص (٤) بمعنى يسوق (٥) اي محلى .

﴿ الفقيه الاديب ابواسحاق بن خفاجة ﴾

قال في القلائد : مالك أعنة المحاسن وناهج طريقها. العارف بترصيعها وتنميقها . الناظم لعقودها. الراقم لبرودها .المجيد لارهافها. العالم بجلائها وزفافها. تصرف فيفنون الابداع كيف شاء .وابلغ دلوه من الاجادة الرشاء(١). فشعشع(٢) القول وروقه(٣). ومد في ميدان الاعجاز طلقه.فجاء نظامه أرق من النسيم العليل. وآنق من الروض البليل .يكاد يمتزج بالروح. وترتاح اليه النفس كالغصن المروح(٤). ان شبّب فغمزات الجفون الوطف(٥). او اشارة البنان التي تكاد تعقد من اللطف. وان وصف سراه والليل بهيم ما فيه وضوح. وخد الثريا بالندى منضوح. فناهيك من غرض انفرد بمضماره. وتجرد لحمى ذماره. وان مدح فلا الاعشى للمحلّق. ولاحسان لاهل جلق(٦). وان تصرف في فنون الاوصاف. فهو فيها كفارس خصاف(٧).ه

ولد بجزيرة شقر من اعمال بلنسية وبها توفي سنة ٥٣٣

من اشعاره

قوله في وصف شجرة نارنج :

ألا افصح الطير حتى خطب　　　وخف له الغصن حتى اضطرب
فمل طرباً بين ظل هفا　　　وطيب وماء هناك انثعب
وجل في الحديقة اخت المنى　　　ودن بالمدامة ام الطرب

---

(١) كحساء الحبل جمعه ارشية　(٢) اصابه من شعشع الشراب مزجه　(٣) صفاه　(٤) كأن به فرحاً لحسن اسدائه　(٥) من الوطف بالتحريك وهو كثرة شعر الحاجبين والعينين　(٦) الشام (٧) كقطام فرس كانت لمالك بن عمرو الغساني ومنه اجرأ من فارس خصاف .

وحاملة من بنات القنا اماليد(١) تحمل خضر العذب(٢)
تنوب مورقة عن عذار وتضحك زاهرة عن شنب
وتندى بها في مهب الصبا زبرجدة اثمرت بالذهب
فطوراً تفاوح انفاسها وطوراً تغازلها من كثب(٣)
فتبسم في حالة عن رضى وتنظر آونة عن غضب

وقوله :

يا اهل اندلس لله دركم ماء وظل وانهار وأشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم وهذه كنت لو خيرت اختار
لا تحسبوا في غد ان تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النار

حكي في النفح ان الخليلي لما قدم من الاندلس رسولا الى سلطان المغرب ابي عنان المريني انشد بحضرته الابيات المذكورة كالمفتخر ببلاد الاندلس فقال ابوعنان كذب هذا الشاعر يشير الى انه جعلها جنة الخلد ولو خير لاختارها على ما في الاخرة وهذا خرق من ربقة الدين ولا اقل من الكذب والاغراق وان جرت عادة الشعراء بذلك فقال الخليلي يا مولانا بل صدق الشاعر لانها موطن جهاد. ومقارعة للعدو وجلاد. والنبي صلى الله عليه الرحيم الرءوف. يقول الجنة تحت ظلال السيوف. فاستحسن منه هذا الكلام. ورفع عن قائل الابيات الملام. واجزل صلته . ورفع منزلته. ولعمري ان هذا الجواب. جدير بالصواب. وهكذا ينبغي ان يكون رسل الملك في الافتنان. روح الله ارواح الجميع في الجنان .

---

(١) جمع املود وهو الغصن (٢) جمع عذبة وهي الطرف من الغصن المنسدل ومن العمامة الملقى من خلف ومن غيرهما (٣) القرب .

﴿ ابن بسام(١) صاحب الذخيرة ﴾

ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني(٢) صدر ادباء هذا القطر. ومن اهل التبريز في صناعتي النظم والنثر. وهو والفتح ابن خاقان فارسا هذا الاوان . وكلاهما قس وسحبان. والتفضيل بينهما عسير. الا ان بسام اكثر تقييداً . وعلماً مفيداً. واطناباً في الاخبار. وامتاعاً للاسماع والابصار. والفتح اقدر على البلاغة من من غير تكلف وكلامه اكثر تعلقاً وتعشقاً بالانفس. كذا قال في المغرب. في حلى المغرب.

اقول : وكلا الرجلين كان قدمه في النثر ارسخ منه في النظام. فالتشبيه بينهما عند الانتقاد تام. وكتابه الذخيرة. في محاسن اهل الجزيرة. وضعه في ادباء عصره . وعلماء وطنه وقطره. ونسج فيه على منوال يتيمة الدهر للثعالبي وكان اول من اجرى قلمه في ميدان التصنيف لذكر ادباء مصره وشيوخ عصره الاديب الفاضل هارون المنجم البغدادي الموسوم كتابه بالبارع في شعراء المولدين جمع فيه ١٦١ شاعراً واختار فيه من شعر كل واحد عيونه فترامى صيته واشتهر في عالم الادب ذكره فجاء بعده الشيخ ابو منصور الثعالبي رأس المؤلفين في زمانه. وامام المصنفين بحكم اقرانه. واحتذى ذلك المثال في كتابته يتيمة الدهر . في محاسن اهل العصر. وهو اكبر كتبه وأحسنها واجمعها وفيه يقول ابو الفتوح نصر الله بن قلاقس الاسكندري الشاعر المشهور(٣):

ابيات اشعار اليتيمة ابكار افكار قديمه

---

(١) هو غير ابن بسام الشاعر البغدادي الذي كان في دولة المتوكل العباسي المتوفي سنة ٣٠٢

(٢) نسبة الى شنترين كزنجبيل كورة من الكور الغربية بالاندلس من اعمال بطليوس (٣) ترجمة ابن خلكان. راجعه ففيه من النفائس ما يقتني وقلاقس بقافين اولهما مفتوحة والثانية مكسورة .

ماتوا وعاشت بعدهم   فلذلك سمت اليتيمه

فاشتهر هذا الموضوع النفيس بين الناس. واولع به الادباء الاكياس. فمن ناسج على منواله. ومن مذيل محاذ لمثاله. ومن اجلّ المجلين في ذلك الميدان ابن بسام في كتابه المذكور وممن تلا هذا النسق ايضاً امية بن الصلت الاندلسي الدانى الشاعر المشهور في كتابه الحديقة. على تلك الطريقة. وذيل اليتيمة ابو الحسن علي الباخرزي في تأليفه دمية القصر. وعصرة اهل العصر. وذيل الدمية ايضاً ابو المعالى الحظيري المعروف بدلال الكتب في مصنفه زينة الدهر. وذيلها ايضاً ابو الحسن بن زيد البيهقي في تأليفه وشاح الدمية. وتوفي ابن بسام سنه ٥٤٢ بعد ان مضى عليه من يوم تأليف الذخيرة اربعون سنة فكان يحتاج الى ذخيرة اخرى ضرورة ان هذا جيل آخر لا بد ان يحدث فيه ما لم يكن حدث قبل

من نفائســـه

قال في خطبة الذخيرة : اما بعد حمد الله ولي الحمد واهله. والصلاةوالسلام على سيدنا محمد خاتم رسله. فان ثمرة هذا الادب. العالى الرتب. رسالة تنثر وترسل. وأبيات تنظم وتفصل. تنثال تلك انثيال القطار. على صفحات الازهار. وتتصل هذه اتصال القلائد .في نحور الخرائد. وما زال في افقنا هذا الاندلسي القصي الى وقتنا هذا من فرسان الفنين. وائمة النوعين. قوم هم ماهم طيب(١) مكاسر(٢). وصفاء جواهر. وعذوبة موارد ومصادر. لعبوا باطراف الكلام المشقق. لعب الدجية بجفون المؤرق .وجدوا(٣) بفنون الشعر المنمق . جد الاعشى ببنات المحلق(١). فصبوا على قوالب النجوم. غرائب المنثور والمنظوم .

(١) بالنصب تمييز   (٢) جمع مكسر كمنزل وهو هنا الاصل   (٣) صاروا ذوي جد وهو الحظ والبحت

وباهوا غرر الضحى والاصائل. بعجائب الاشعار والرسائل. نثر لو رآه البديع(٢) لنسي اسمه. او اجتلاه ابن هلال(٣) لولاه حكمه. ونظم لو سمعه كثير(٤) ما نسب ولا مدح. او تتبعه جرول(٥) ما عوى ولا نبح. الا ان اهل هذا الافق. ابوا الا متابعة اهل المشرق. يرجعون الى اخبارهم المعتادة. رجوع الحديث الى قتادة(٦). حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب. او طن باقصى الشام والعراق ذباب. لجثوا على هذا صنما. وتلوا ذلك كتاباً محكما. واخبارهم الباهره. واشعارهم السائرة. مرمى القصية(٧). ومناخ المزية. لا يعمر بها جنان ولا خلد. ولا يصرف فيها لسان ولا يد. فغاظني منهم ذلك. وأنفت مما هنالك. واخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات ابناء دهري. وتتبع محاسن اهل بلدي وعصري. غيرة لهذا الافق الغريب ان تعود بدوره أهلّة. وتصبح بحوره ثماداً(٨) مضمحلة. مع كثرة ادبائه. ووفور علمائه. وقديماً ضيعوا العلم واهله. ورب محسن مات احسانه قبله. وليت شعري من قصر العلم على بعض الازمان. وخص اهل المشرق بالاحسان. ﻫ. ومن شعره وقد باكر روضاً بشادن وشراب. فاذا الروض قد طبقة ضباب. فخشي ان يعلم نديمه بالحال. ويثبطه ذلك عن الوصال. فكتب اليه:

ألا باكر فما ثان سوى ما عهدت الكاس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضباباً تغص به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الى ان توافيه فينحط اللثام

---

(١) عربي خامل مقل من المال وكان له بنات ثمان او عشر فمدحه الاعشى بسوق عكاظ بقصيدة مشهورة فاشتهر وتسابق الاشراف الى بناته (٢) يعني الهمذاني (٣) هو المعروف بالصابىء المنشيء البارع المضروب ببلاغته المثل (٤) صاحب عزة (٥) الحطيئة الشاعر المشهور بالهجو (٦) ابن دعامة السدوسي التابعي الجليل وكثيرا ما تتكرر رواية الحديث عنه (٧) اي مقصد القصية وهي الناقة الكريمة النجيبة البعيدة عن الاستعمال (٨) جمع ثمد وهو الماء القليل لا مادة له ويستعمل ايضاً مفردا.

﴿ القاضي ابوبكر بن العربي المعافري ﴾

الحافظ المستبحر آخر الايمة والحفاظ بالاندلس رحل الى المشرق ودخل الشام وبغداد والحجاز ومصر والاسكندرية ولقي جماعة من الجهابذة والمحدثين ورجع الى وطنه بعلوم غزيرة لم يرجع بها احد قبله ممن كانت له رحلةالى المشرق وكان متقدماً في العلوم كلها متكلماً في كل انواعها ثاقب الذهن حر الفكرة اديباً شاعراً غزير العلم الى كرم نفس وثبات ود وحسن عهود استقضي ببلدة اشبيلية فظهر منه من الصرامة والصلابة في الحق ما انبا عن متانة دينه وكبير غيرته وكانت له في الظالمين يد سطوة وسورة رهبة ثم صرف عن القضاء فأكب على نشر العلم وبثه بين تدريس وتصنيف ولا تسل عما خلف لهذه الامة من ذخائر العلوم ونفيس المصنفات مما ارى ورب الكعبة انه بهجة الدنيا ولذة الحياة

على نفسه فليبك من ضاع عمره ... وليس له منها نصيب ولا سهم

فمن تصانيفه احكام القرآن والقبس على موطأ مالك بن انس وعارضة الاحوذي على جامع الترمذي . والقانون في تفسير القرآن . وغير ذلك

وكان على متانة دينه ربما اختلسته اريحية الادب وادركته رقة الوطن والانسان صنيعة المكان والوسط والمحيط. يحكى انه ركب مع احد امرآء الملثمين وكان ذلك الامير صغيراً فهز عليه رمحاً كان في يده مداعبا له فقال.

يهز عليّ الرمح ظبي مهفهف ... لعوب بألباب البرية عابث

فلو كان رمحاً واحداً لاتقيته ... ولكنه رمح وثان وثالث

ولنقصر عن ترجمة هذا الامام حافظ الاسلام فان الاقلام تحجم عن تدوين حياته والانامل تصطك فرقاً من كبير مكانته. توفي سنة ٥٤٣

من لطائفه

لمّا ذكر في قانون التأويل ركوبه البحر في رحلته من افريقية قال : وقد سبق في علم الله ان يعظم علينا البحر بزوله(١). ويغرقنا في هوله. فخرجنا من البحر. خروج الميت من القبر. وانتهينا بعد خطب طويل الى بيوت بني كعب بن سليم ونحن من السغب. على عطب. ومن العري. في اقبح زي. قد قذف البحر زقاق زيت مزقت الحجارة هيئتها. ودسمت الادهان وبرها وجلدتها. فاحتزمناها ازاراً واشتملناها لفقاً تمجنا الابصار. وتخذلنا الانصار. فعطف اميرهم علينا فآوينا اليهم فآوانا .واطعمنا الله على يديه وسقانا. واكرم مثوانا وكسانا. بامر حقير ضعيف(٢). وفن من العلم ظريف. وشرحه: انّا لمّا وقفنا على بابه ألفيناه يدير اعواد الشاه. فعل السامد الاه. فدنوت منه في تلك الاطمار. وسمح لي بيادقته اذ كنت من الصغر في حد يسمح فيه للاغمار . ووقفت بازائهم . انظر الى تصرفهم من ورائهم. اذ كان علق بنفسي بعض ذلك من بعض القرابة في خلس البطالة. مع غلبة الصبوة والجهالة .فقلت للبيادقة الامير اعلم من صاحبه. فلمحوني شزراً(٣). وعظمت في اعينهم بعد ان كنت نزراً. وتقدم الى الامير من نقل أليه الكلام فاستدناني فدنوت منه وسألني هل لي بما هم فيه بصر. فقلت لي فيه بعض نظر. سيبدو اليك ويظهر. حرّك تلك القطعة ففعل وعارضه صاحبه فأمرته ان يحرك اخرى. وما زالت الحركات بينهم كذلك تترى. حتى هزمهم الامير. وانقطع التدبير. فقالوا ما انت بصغير. وكان في اثناء الحركات قد ترنم ابن عم الامير. منشداً :

---

(١) الزول معناه هنا البلاد (٢) اي بسبب امر النحو هو معرفة الشطرنج (٣) اي نظروا الي بمؤخر اعينهم ٠

واحلى الهوى ما شك في الوصل ربه وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

فقال لعن الله ابا الطيب أويشك الرب. فقلت له في الحال ليس كما ظن صاحبك ايها الامير انما اراد بالرب هنا الصاحب يقول ألذ الهوى ما كان المحب فيه من الوصال. وبلوغ الغرض من الامال. على ريب فهو في وقته كله بين رجاء لما يؤمله وتقاة لما يقطع به كما قال :

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا فأين حلاوات الرسائل والكتب

وأخذنا نضيف الى ذلك من الاغراض. في طرفي الابرام والانتقاض. ما حرك منهم الى جهتي داعي الانتهاض. واقبلوا يتعجبون مني. ويسئلونني عن سني. ويستكشفونني عني. فبقرت(١) لهم حديثي. وذكرت لهم نجيثي(٢). وأعلمت الامير بان ابي معي فاستدعاه. وقمنا الثلاثة الى مثواه. فخلع علينا خلعه. واسبل علينا دمعه. وجاء كل خوان. بافنان الالوان. ثم قال بعد المبالغة في وصف ما نالهم من اكرامه: فانظر الى هذا العلم الذي هو الى الجهل اقرب مع تلك الصبابة(٣) اليسيرة من الادب كيف انقذ من العطب. وهذا الذكر يرشدكم ان عقلتم الى المطلب. وسرنا حتى انتهينا الى ديار مصر .ه .بخ.

﴿ ابن بشكوال ﴾

خلف بن عبدالملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال بن يوسف بن داحة ابن داكة بن نصر بن عبدالكريم بن واقر الانصاري من اهل قرطبة. كان رحمه الله متسع الرواية شديد العناية بها عارفاً بوجوهها حجة فيما يرويه ويسنده مقلداً فيما يلقيه ويسمعه مقدماً على اهل وقته في هذا الشأن معروفاً بذلك حافظاً

(١) بقر في الاصل معناه شق (٢) اي سري (٣) الصبابة الشيء القليل وهي في الاصل بقية الماء في الاناء .

حافلا اخبارياً تاريخياً ذاكراً لاخبار الاندلس القديمة والحديثة وخصوصاً لما كان بقرطبة روى عن الكبار والصغار وسمع العالي والنازل وكتب بخطه علماً كثيراً واسند عن شيوخه نيفاً واربعمائة كتاب بين كبير وصغير اخذ عن ابن عتاب وحده فوق المائة وعمر طويلا فرحل الناس اليه واخذوا عنه وانتفعوا به ورغبوا فيه وولى بأشبيلية قضاء بعض جهاتها لابي بكر بن العربي وعقد الشروط ببلده ثم اقتصر على اسماع العلم وهذه الصناعة كانت بضاعته والرواة عنه لعلو الاسناد وسعة المسموع لا يحصون كثرة وألف خمسين تأليفاً في انواع مختلفة منها كتاب الغوامض والمبهمات في اثني عشر جزءاً وكتاب الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة في عشرين جزءاً وأجل تآليفه كتاب الصلة الذي وصل به كتاب ابن الفرضي في تاريخ علماء الاندلس وهو كتاب في فنه خطير القيمة ضروري الاستعمال لا يستغني اهل الفقه عن التبلغ به والنظر فيه والاحتجاج منه . وكانت وفاته سنة 578 .هـ. ملخصاً من التكملة لابن الابار . وقد ترجمه غير واحد من الاعيان ولم نقف على ترجمة اجود ولا امتع مما في كتاب التكملة

من فوائده في كتاب الصلة

ترجمة ابي الوليد الباجي قال:

سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث التجيبي الباجي المالكي الحافظ من اهل قرطبة سكن شرق الاندلس يكنى ابا الوليد روى بقرطبة عن القاضي يونس بن عبدالله وابي محمد مكي بن ابي طالب المقري وابي سعيد الجعفري وغيرهم ورحل الى المشرق سنة ٤٢٦ أو نحوها فأقام بمكه مع ابي ذر الهروي ثلاثة اعوام يتدرس الفقه ويكتب الحديث ولقي فيها جله من الفقهاء

كأبي الطيب طاهر بن عبدالله الطبري رئيس الشافعية وابي اسحاق ابراهيم ابن علي الشافعي الشيرازي والقاضي ابي عبدالله الحسن بن علي الصيمري امام الحنفية واقام بالموصل مع ابي جعفر السمناني عاماً كاملا يدرس عليه الفقه وكان مقامه بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاماً ومن شيوخه المحدثين ابوعبدالله محمد بن علي الصوري الحافظ وابو الحسن العتيقي وابو النجيب الاموي الحافظ وابو الفتح الطناجيري وابو علي العطار وابو الحسن بن زوج الحرة وابو بكر الخطيب وغيرهم وروى عنه ايضاً ابوبكر الخطيب .قال انشدني ابوالوليد سليمان بن خلف الاندلسي لنفسه :

اذا كنت اعلم علماً يقيناً　　بان جميع حياتي كساعة
فلم لا اكون ضنيناً بها　　واجعلها في صلاح وطاعة

واخبرني بعض اصحابنا قال: سمعت أبا علي بن سكرة الحافظ يقول وقد ذكر شيخه ابا الوليد هذا فقال ما رأيت مثله وما رأيت على سمعته وهيئته وتوقير مجلسه وقال هو احد ائمة المسلمين قال واخبرنا القاضي ابوالوليد قال كان يحضر مجلس سليمان بن حرب رحمه الله ثلاثة آلاف رجل للسماع منه وكان له مستمل كان صوته اخفض من الرعد فقيل له ارفع صوتك لانا لا نسمع فقال سليمان بن حرب ان علو الاسناد لمن زينة الحياة الدنيا وابتدأ يحدث فقال حدثنا حماد بن زيد قال القاضي ابوعلي وغير الباجي يقول ان سليمان بن حرب كان يحضره اربعون الف رجل .قال ابو الوليد وسمعت اباذر عبد بن احمد الهروي يقول لو صحت الاجازة لبطلت الرحلة قال ابوعلي الغساني سمعت ابا الوليد يقول مولدي في ذي القعدة سنة ٤٠٣ وقرأت بخط القاضي

محمد بن ابي الخير شيخنا رحمه الله قال توفي القاضي ابوالوليد رحمه الله بالمرية ليلة الخميس بين العشاءين وهي ليلة تسعة عشر خالية من رجب ودفن يوم الخميس بعد صلاة العصر سنة ٤٧٤ ودفن بالرباط على ضفة البحر وصلى عليه ابنه ابوالقاسم . قال: وولد يوم الثلاثاء في النصف من ذي القعدة سنة ٤٠٣ بمدينة بطليوس وقد اخذ عنه ابوعمر بن عبدالبر النمري .ه.

﴿ ابن مجير ﴾

ابو بكر يحيى بن عبدالجليل بن مجير الفهري نشأ بمرسية وتأدب بمشيختها وسكن اشبيلية وكان شاعر الاندلس في وقته بل شاعر المغرب غير مدافع مدح الامراء و كتب لبعضهم ويشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التي صارت مثالا وبعدت عن قربها منالا وشعره كثير يشتمل على اكثر من تسعة آلاف واربعمائة بيت .ولما مر المنصور ايام امارته باوقية من ارض شلب ووقف على قبر الحافظ ابي محمود بن حزم وقال عجبنا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم قال كل العلماء عيال علي ابن حزم ثم رفع رأسه وقال كما ان الشعراء عيال علك ياابا بكر يخاطب ابن مجير .توفي بمراكش سنة ٥٨٨ كهلا وكانت له وفادة على المنصور في كل سنة

من نفيس اشعاره

قوله يصف خيل المنصور الموحدي من قصيدة مدحه بها :

له حلبة الخيل العتاق كأنها نشاوى(١) تهادت تطلب العزف والقصفا(٢)
عرائس اغنتها الحجول عن الحلى فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا

---

(١) جمع نشوان (٢) اراد قصف اللهو .

فمن يقق(١) كالطرس تحسب انه وان جردوه في ملاءته التفا
وأبلق(٢) اعطى الليل نصف اهابه(٣) وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجا فاذ جازه دلى له الذيل والعرفا
واشقر مجّ الراح صرفاً أديمه وأصفر لم يسمح بها(٤) جلده صرفا
واشهب فضي الاديم مدنر(٥) عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطخط(٦) الراهي(٧) بمهرق(٨) كاتب فجر عليه ذيله وهو ما جفا
تهب على الاعداء منها عواصف ستنسف(٩) ارض المشركين بها نسفا
ترى كل طرف(١٠) كالغزال فتمتري أظبياً ترى تحت العجاجة ام طرفا
وقد كان في البيداء يألف سربه(١١) فربته مهراً وهي تحسبه خشفا(١٢)
تناوله لفظ الجواد لانه اذا ما اردت الجري اعطاك ضعفا

ولما اتخذ المنصور مقصورة الجامع(١٣) بمراكش بدار ملكها وكانت مدبرة على انتصابها اذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه واختفائها اذا انفصلوا عنها(١٤) انشد في ذلك الشعراء فقال ابن مجير من قصيدة :

طوراً تكون بمن حوته محيطة فكأنها سور من الاسوار
وتكون حيناً عنهم مخبوءة فكأنها سر من الاسرار
وكأنها علمت مقادير الورى فتصرفت لهم على مقدار

---

(١) شديد البياض (٢)فيه سواد وبياض (٣)جلده (٤)اي بالراح (٥)فيه نكت فوق البرش (٦)خطخط في سيره تمايل كلالا (٧)الراهي من رها رفق في السير وبين رجليه فتح ومنه واترك البحر رهوا (٨) الصحيفة (٩) يقال نسف البناء قلعه من اصله والجبال دكها وذراها (١٠) الكريم من الخيل (١١) سرب الغزلان (١٢) بتثليث الخاء ولد الظبي اول ما يولد (١٣) يعرف اليوم بجامع المنصوري (١٤) لانها كانت وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله قال في النفح وقد بطلت حركة هذه المقصورة الان وبقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر والف والله تعالى وارث الارض ومن عليها

فاذا احست بالامام يزورها في قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفي بعده كتكون الهالات للاقمار

وله ايضاً :

ان الشدائد قد تغشي الكريم لان تبين فضل سجاياه وتوضحه
كمبرد القين اذ يعلو الحديد به وليس يأكله الا ليصلحه

وله ايضاً :

لا يغبط المجدب في علمه وان رأيت الخصب في حاله
ان الذي ضيع من نفسه فوق الذي ثمر من ماله

﴿ صفوان بن ادريس ﴾

ابو بحر صفوان بن ادريس بن ابراهيم التجيبي من اهل مرسية.قال ابن الابار في التكملة: كان من جلة الادباء البلغاء ومهرة الكتاب الشعراء ناقداً مدركاً مفوهاً بليغاً ممن جمع له التقدم في النظم والنثر وله رسائل بديعة وقصائد جليلة وجمع فيما صدر عنه كتاباً سماه عجالة المستوفز وبداهة المحتفز(١) وكان من الفضل والدين بمكان .وقال في الاحاطة: كان اديباً حسيباً ممتعاً من الظرف ريان من الادب حافظاً سريع البديهة ترف النشأة على تصاون وعفاف جميلا سرياً ممن تساوى حظه في النظم والنثر على تباين الناس في ذلك وله تاليف ادبية منها زاد المسافر وكتاب الرحلة .وانفرد من تأبين الحسين وبكاء اهل البيت بما ظهرت عليه بركته من حكايات كثيرة. وكانت وفاته بمرسية سنة ٥٩٨ وهو دون الاربعين وثكله ابوه وصلى عليه .

---

(١) المستوفز .

نبذة من نفائسه

(له رسالة تتضمن المفاضلة بين بلاد الاندلس خاطب بها الامير عبدالرحمن ابن السلطان يوسف بن عبدالمومن بن علي وقد اوردها بنصها في النفح فمنها)

فقالت غرناطة لى المعقل(١) الذي يمتنع ساكنه من النجوم. ولا تجري الا تحته جياد الغيث السجوم(٢). فلا يلحقني من معاند ضرر ولا حيف. ولا يهتدي الى خيال طارق ولا طيف(٣). فاستسلموا قولا وفعلا. فقد افلح اليوم من استعلى. لى بطاح تقلدت من جداولها اسلاكا. واطلعت كواعب زهرها فعادت(٤) افلاكا. ومياه تسيل على اعطافي كاد مع العشاق. وبرد نسيم يردد ماء المستجير بالانتشاق. فحسني لا يطمع فيه ولا يحتال. فدعوني فكل ذات ذيل تختال. فانا اولى بهذا السيد الاعدل(٥). وما لى به من عوض ولا بدل. ولم لا يعطف على عنان مجده ويثني. وان انشد يوماً فاياي يعني.

بلاد بها عق(٦) الشباب تمائمي(٧)   واول ارض مس جلدي ترابها

فمالكم تعتزون لفخري وتنتمون. وتتأخرون في ميداني وتتقدمون. تبرءوا الي مما تزعمون ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون. فقالت مالقة أتتركوني بينكم هملا. ولم تعطوني في سيدنا املا. ولم ولي البحر العجاج(٨). والسبل الفجاج. والجنات الاثيرة. والفواكه الكثيرة. لدي من البهجة ما تستغني به الحمام عن الهديل(٩). ولا تجنح الانفس الرقاق الحواشي الى تعويض عنه ولا تبديل. فما

---

(١) الجبل (٢) فعول من سجم الغيث قطر (٣) الخيال الذي يرى في المنام (٤) ضميره للبطاح (٥) اراد به الامير المذكور (٦) قطع وازال وكان من عادة العرب ان الصبي اذا بلغ ازالوا عنه التمائم وحنكوه وقلدوه السيف (٧) جمع تميمة ما يعلق على الصبي ليقيه من العين والجن في زعمهم وفي السنة من علق تميمة لا اتم الله له (٨) الذي يسمع له دوي عظيم (٩) السجع

اي لا اعطي في ناديكم كلاماً. ولا انشر في جيش فخاركم اعلاماً. فكأن الامصار نظرتها ازدراء. فلم تر لحديثها في ميدان الذكر اجراء. ه

ومن نظمه قوله

يا قمراً مطلعه اضلعي   له سواد القلب فيها غسق
وربما استوقد نار الهوى   فناب فيها لونها عن شفق
ملكتني في دولة من صبا   وصدتني في شرك من حدق
عندي من حبك ما لو سرت   في البحر منه شعلة لاحترق

وقوله

قد كان لى قلب فلما فارقوا   سوى جناحاً للغرام وطارا
وجرت سحاب للدموع فأوقدت   بين الجوانح لوعة واوارا
ومن العجائب ان فيض مدامعي   ماء ويثمر في ضلوعي نارا

وقوله

اومض ببرق الاضلع   واسكب غمام الادمع
واحزن طويلا واجزع   فهو مكان الجزع
وانثر دماء المقلتين   تألماً على الحسين
وابك بدمع دون(١) عين   ان قل فيض الادمع

وهذا من قصيدة عارض بها الحريري في قوله: خل ادكار الاربع . وشعره الرمل والقطر كثرة .

---

(١) يعني بدم .

﴿ ابن جبير ﴾

ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الرحالة الشهير ولد ببلنسية وأكب على تحصيل العلوم واقتناء نفائسها فبرع فيها وتقدم واصبح ذلك الاديب المبرز الكاتب البارع الشاعر المجيد وكان قد اثرى كثيراً بصناعة الادب ثم تزهد واعرض عن الدنيا وكان مؤنساً للغرباء عاشقاً لقضاء حوائج الناس وعانى الرحلة الى المشرق مرتين وكان انفصاله للرحلة الاولى من غرناطة سنة ٥٧٨ ووصل الى الاسكندرية بعد ثلاثين يوماً وحج ودخل الشام والعراق والجزيرة وغيرها وجرت بينه وبين اهل دمشق وغيرها مراسلات كثيرة من بين شعر ونثر ثم عاد الى الاندلس سنة ٥٨١ ولم ينشب ان ازعجه حب التجول فخرج ايضاً يؤم المشرق فأدركته منيته بالاسكندرية سنة ٦١٤ وقد دوّن اخبار رحلته في جزء نفيس ضمنه تفصيل الحوادث التي جرت من لدن انفصاله من غرناطة الى رجوعه اليها وقد طرز حواشيه بذكر الاوصاف الانيقة للبلاد والاثار التي شاهدها مما يبتهج الاديب بمطالعته

من غرر كتابته في رحلته

قوله في وصف دمشق جنة المشرق ومطلع حسنه المونق المشرق وهي خاتمة بلاد الاسلام التي استقريناها(١) وعروس المدن التي اجتليناها(٢) قد تحلت بازاهير الرياحين وتجلت في حلل سندسية من البساتين وحلت من موضع الحسن بالمكان المكين وتجملت في منصتها اجمل تزيين وتشرفت بأوى آوى الله المسيح

(١) تتبعناها اي تجولنا بها (٢) اجتلى العروس نظر اليها مجلوة على منصتها

وامه صلى الله عليهما منها الى ربوة ذات قرار ومعين(١) ظل ظليل وماء سلسبيل تنساب(٢) مذانبه(٣) انسياب الاراقم(٤) بكل سبيل(٥) ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل تتبرج لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم هلموا الى معرس للحسن ومقيل قد سئمت ارضها كثرة الما حتى اشتاقت الى الظما فتكاد تناجيك بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد احدقت بها البساتين احداق الهالة(٦) بالقمر واكتنفتها اكتناف الكمامة(٧) للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر فكل موضع لحظته بجهاتها الاربع نضرته اليانعة قيد(٨) النظر ولله صدق القائلين عنها ان كانت الجنة في الارض فدمشق لا شك فيها وان كانت في السماء فهي بحيث تسامتها وتحاذيها

ذكر جامعها المكرم شرفها الله

هو من اشهر جوامع الاسلام حسناً واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه ومن عجيب شأنه انه لا تنسج به العنكبوت ولا تدخله ولا تلم(٩) به الطير المعروفة بالخطاف انتدب لبنائه الوليد بن عبدالملك رحمه الله ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره باشخاص اثني عشر الفاً من الصناع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد في ذلك ان توقف عنه فامتثل امره مذعناً بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك مما هو مذكور في كتب التواريخ فشرع في بنائه وبلغت الغاية في التأنق

---

(١) ماء جار على وجه الارض (٢) انساب جرى ومشى مسرعاً (٣) جمع مذنب كمنبر وهو جدول الماء يسيل من الروضة بمائها الى غيرها (٤) نوع من الحيات (٥) طريق (٦) الهالة الدائرة حول القمر (٧) وعاء الطلع وغطاء النور (٨) بكسر القاف بمعنى قدر او بفتحها على معنى انه يمسك النظر ويمنعه من الالتفات عنه كما يقال في الفرس قيد الاوابد (٩) تنزل وتعشش .

فيه وانزلت جدزه كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء وخلطت بها انواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت اشجاراً وفرعت اغصاناً منظومة بالفصوص ببدائع من الصنعة الانيقة المعجزة وصف كل واصف فجاء يغشي العيون وميضاً وبصيصاً(١) وكان مبلغ النفقة فيه حسبما ذكره ابن المعلى الاسدي في جزء وصفه في ذكر بنائه ستة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار ومائتا الف دينار فكان مبلغ الجميع احدى عشر الف الف دينار ومائتا الف دينار والوليد هذا هو الذي اخذ نصف الكنيسة الباقية منه في ايدي النصارى وادخلها فيه لانه كان قسمين قسماً للمسلمين وهو الشرقي وقسماً للنصارى وهو الغربي لان ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه دخل البلد من الجهة الغربية فانتهى الى نصف الكنيسة وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى ودخل خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة من الجانب الشرقي وانتهى الى النصف الثاني وهو الشرقي فاحتازه المسلمون وصيروه مسجداً وبقي النصف المصارع عليه وهو الغربي كنيسة بايدي النصارى الى ان عوضهم منه الوليد فابوا ذلك فانتزعه منهم قهراً وطلع لهدمه بنفسه وكانوا يزعمون ان الذي يهدم كنيستهم يجن فبادر الوليد وقال انا اول من يجن في الله وبدأ الهدم بيده فبادر المسلمون واكملوا هدمه واستعدوا(٢) عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ايام خلافته واخرجوا العهد الذي بايديهم من الصحابة رضي الله عنهم في ابقائه عليهم فهمّ بصرفه اليهم فاشفق المسلمون من ذلك ثم عوضهم منه بمال عظيم ارضاهم به فقبلوه

---

(١) كلاهما بمعنى البريق واللمعان (٢) طلبوا منه ان يرجعه اليهم واصل الاستعداد طلب النصرة

ومن شعره

الناس مثل ظروف حشوها صبر(١) وفوق افواهها شيء من العسل
تغر ذائقهـا حتى اذا كشفت له تبين ما تحويه من دخل(٢)

وقولـه :

لى صديق خسرت فيه ودادي حين صارت سلامتي منه ربحا
حسن القول سيء الفعل كالجز ار سمى واتبع القول ذبحا

وقولـه :

ايها المستطيل بالبغي اقصر ربما طاطا الزمـان الرءوسا
وتـذكر قول الاله تعـالى ان قارون كان من قوم موسى

وقوله وقد دخل بغداد فاقتطع غصناً نضيراً من احد بساتينها فذوى في يده:

لا تغـترب عن وطن واذكر تصاريف النوى
أمـا ترى الغصـن اذا ما فارق الاصل ذوى(٣)

وقوله مخاطباً لمن اهدى له موزاً :

يا مهـدي الموز تبقى وميمـه لـك فـاء
وزايـه عـن قريب لمن يعـاديك تـاء

وقوله لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفاً :

بدت لى اعلام بيت الهدى بمكـة والنـور باد عليـه
فاحرمت شوقاً له بالهوى واهديت قلبي هدياً اليه

---

(١) ككتف عصارة شجر مر (٢) اصل الدخل العيب (٣) ذبل .

وقولـه :

من الله فاسأل كل امر تريده فما يملك الإنسان نفعاً ولا ضرا
ولا تتواضع للولاة فانهم من الكبر في حال تموج بهم سكرا
وأياك ان ترضى بتقبيل راحة فقد قيل فيها انها السجدة الصغرى

وله في [illegible] الطراز شيء كثير انظر الاحاطة والنفح وغيرهما

﴿ ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الاشبيلي ﴾

شاعر متقدم صقيل الفكرة متوقد الفطنة . لطيف التخييل حسن التعليل . واكثر شعره في الغزل والنسيب المحرز من الرقة والعذوبة ارفع نصيب. تتراءى منه رقة طبعه واستمالته للحسن وتهالكه فيه الى حيث يرق القلب لبلباله ويعتل لاعتلاله . وسئل بعض المغاربة عن السبب في رقة نظمه فقال لانه اجتمع فيه ذلاّن ذل العشق وذل اليهودية . قال العز في حقه : كان يتظاهر بالاسلام ولا يخلو مع ذلك عن قدح واتهام . وذكر الحافظ ابو عبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهري في رحلته الكبيرة القدر والحزم المسماة بملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة خلافاً في اسلام ابن سهل باطناً وكتب على هامش هذا الكلام الخطيب العلامة سيدي ابو عبدالله ابن مرزوق ما نصه: صحح لنا من ادركناه من اشياخنا انه مات على دين الاسلام ويرشح صحة اسلامه قوله :

نسليت عن موسى بحب محمد(١) هديت ولولا الله ما كنت اهتدي

(١) في كشف الظنون ان موسى اسم لغلام الذي كان يهواه وجل اشعاره فيه وانه هوى بعد غلاماً اسمه محمد فانشأ هذين البيتين وهو بعيد غاية .

وما عن قلىً قد كان ذاك وانما   شريعة موسى عطلت بمحمد

وحدث ابوحيان عن قاضي القضاة ابي بكر بن ابي النصر الفتح بن علي الانصاري الاشبيلي بغرناطة انه اسلم ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة طويلة بارعة. قال ابوحيان: وقفت عليها وهي من ابدع ما نظم في معناها وتوفي غريقاً وعمره نحو الاربعين سنة ولما غرق قال فيه بعض الاكابر: عاد الدر الى وطنه . ودونك توشيحه الانيق المشهور الذي شرحه العلامة الاديب اليفري بشرح وسمه بالمسلك السهل. في شرح ابن سهل

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى   قلب صب حله عن مكنس(١)
فهو في حر وخفق مثل ما   لعبت ريح الصبا بالقبس

يا بدوراً أفلت يوم النوى
غرراً تسلك بي نهج الغرر
ما لنفسي في الهوى ذنب سوى
منكم الحسن ومن عيني النظر
اجتني اللذات مكلوم(٢) الجوى(٣)
والتداني من حبيبي بالفكر

كلما اشكوه وجدي بسما   كالربا(٤) والعارض(٥) المنبجس
اذ يقيم القطر فيها مأتما(٧)   وهي من بهجتها في عرس

---

(١) اسم مكان من كنس الظبي دخل في كناسه وهو مستتره في الشجر   (٢) مجروح
(٣) مرض العشق والصبابة   (٤) جمع ربوة وهي ما ارتفع من الارض   (٥) السحاب المعترض في الافق   (٦) المنفجر ماء   (٧) المجتمع في حزن .

غـالب لى غـالـب بالتـؤدة
بابيـه افـديه من جـاف رقيق
مـا علمنـا مثـل ثغر نضـده
اقحـواناً عصرت منـه رحيـق
اخذت عينـاه منه(١) العربـده
وفؤادي سـكره مـا ان يفيـق

فاحم اللمـة معسول اللمـا(٢) ساحر الغنج(٣) شهي اللعس(٤)
وجهه يتلو الضحى مبتسماً وهو مـن اعراضـه في عبس

ايهـا السـائل عـن جرمي لديـه
لي جـزاء الذنب وهو المـذنب
اخذت شمس الضحى من وجنتيه
مشـرقاً للشمـس فيـه مغرب
ذهب الدمـع باشـواقي اليـه
ولـه خـذ بلحـظي مـذهب

ينبـت الورد بغرسـي كلمـا لاحظتـه مقلتي في الخلس
ليت شعري اي شيء حرمـا ذلـك الورد على المغـترس

كلمـا اشـكو اليـه حـرقي
غـادرتني مقلتـاه دنفـا

---

(١) ضميره للرحيق والمعنى ان عينيه اخذتا من ذلك الرحيق العربدة واخذفؤاده منه السكر
(٢) سمرة في الشفة (٣) الدلال (٤) سواد مستحسن في الشفة .

تركت ألحاظه من رمقي
اثر النمل على صم الصفا
وانا اشكره فيما بقي
لست ألحاه(١) على ما أتلفا
فهو عندي عادل ان ظلما وعذولى نطقة كالخرس
ليس لى في الامر حكم بعد ما حل من نفسي محل النفس
اضرم الدمع باحشاءي ضرام
تتلظى كل حين ما تشا
هي في خديه برد وسلام
وهي ضر وحريق في الحشا
اتقي منه على حكم الغرام
اسداً ضاراً واهواه رشا
قلت لما ان تبدى معلما وهو من ألحاظه في حرس
ايها الآخذ قلبي مغنما اجعل الوصل مكان الخمس

﴿ ابن سعيد ﴾

ابو الحسن علي بن موسى بن عبدالملك بن سعيد الغرناطي من ذرية سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنه . كان اديباً متفنناً مؤرخاً متقناً عالماً باخبار العرب وايامها خبيراً باسرار لغاتها ومواقع انظارها قد حشد الى ذهنه من فوائد السلم والادب وقضايا التاريخ ما يستلفت الانظار وتستغربه الافكار وزاد تضلعه

---

(١) اعاتبه .

بجولان يده في كثير من الخزائن العلمية وتناوله منها ما يروق من الطرف الشهية اما شعره فهو مثال الذوق والعذوبة والرقة المرغوبة تنتعش به الطباع وتحن لانشاده الاسماع كلف بقرضه منذ فارق مهده الى ان وافى لحده يذكر انه خرج مع ابيه وهو طري الشباب الى اشبيلية وفي صحبته سهل بن مالك فجعل سهل يباحثه عن نظمه الى ان انشد في ضفة نهر والنسيم يردده والغصون تميل عليه

كأنما النهر صحفة كتبت اسطرها والنسيم ينشئها

لما أبانت عن حسن منظرها مالت عليها الغصون تقرؤها

وهذا التشبيه بذكر الصحفة والكتابة والاسطر والانشاء والقراءة يعنون عما عشقته روحه وغذى به عقله وعن جنس مكنونات فكره ومن أحب شيئاً اكثر من ذكره ويشف عن مستقبله ومطمح انظاره ومأمله واقرب متناول الى اللسان ما يكثر روجانه بين الجنان وذكرت هنا والشيء بالشيء يذكر حكاية لطيفة وهي ان بعض الاطباء كان في خدمة بعض الملوك في غزوة لم يكن معه وقت النصرة كاتب ترسل فأمر الطبيب ان يكتب للوزير يعلمه بذلك فكتب: اما بعد فانا قد كنا مع العدو في حلقة كدائرة البيمارستان(١) حتى لو رميت مبضعاً لما وقع الا على قيفال فلم يكن الا كنبضة او نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم فهلك الجميع بسعادتك يامعتدل المزاج

قضى ابن سعيد حظاً غير قليل من عمره في التجول في البلدان كمصر والشام والعراق وغيرها ولما دخل مصر اهتز ادباؤها لوفادته وكان منهم واسطة العقد وحامل محك النقد. وخلف من التاليف المقتطف. من ازاهر الطرف.

---

(١) المارستان .

والمرقصات والمطربات. والطالع السعيد. في تاريخ بني سعيد. تاريخ بيته وبلده والموضوعين الغريبين المتعددي الاسفار وهما المغرب في حلى المغرب والمشرق في حلى المشرق وغير ذلك . توفي سنة ٦٧٣

بعض لطائفه

لما دخل مصر صنع له ادباؤها صنيعاً في ظاهرها وانتهت بهم الفرجة الى صنو نرجس وكان فيهم ابو الحسن الجزار فجعل يدوس النرجس برجله فقال ابو الحسن:

يا واطىء النرجس ما تستحي ان تطأ الاعين بالارجل

فتهاتفوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال ابن ابي الاصبغ:

فقال دعني لم ازل محنقاً على لحاظ الرشأ الاكحل

وكان امثل ما حضرهم ثم ابوا ان يجيز غيره فقال:

قابل جفوناً بجفون ولا تبتذل الا رفع بالاسفل

ثم استدعاه سيف الدين بن سابق الى مجلس بضفة النيل مبسوط بالورد وقد قامت حوله شمامات نرجس فقال في ذلك

من فضل النرجس فهو الذي يرضى بحكم الورد اذ يرأس
اما ترى الورد غدا قاعداً وقام في خدمته النرجس

ووافق ذلك مماليك الترك وقوفاً في الخدمة على عادة المشارقة فطرب الحاضرون

ومن فوائده في المغرب قال :

واما زي اهل الاندلس فالغالب عليهم ترك العمائم لاسيما في شرق الاندلس فان اهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيهاً مشاراً اليه الا وهو

بعمامة وقد تسامحوا بشرقها في ذلك ولقد رأيت عزيز بن خطاب اكبر عالم
بمرسية حضرة السلطان في ذلك الاوان واليه الاشارة وقد خطب له بالملك في
تلك الجهة وهو حاسر الرأس وشيبه قد غلب على سواد شعره واما الاجناد
وسائر الناس فقليل من تراه بعمة في شرق منها او في غرب وابن هود الذي
ملك الاندلس في عصرنا رأيته في جميع احواله ببلاد الاندلس وهو دون
عمامة وكذلك ابن الاحمر الذي معظم الاندلس الان في يده وكثير ما يتزيا
سلاطينهم بزي النصارى المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم واقبيتهم من
الاشكرلاط وغيره كأقبيتهم وكذلك اعلامهم وسروجهم .ومحاربتهم بالتراس
والرماح الطويلة للطعن ولا يعرفون الدبابيس ولا قسي العرب بل يعدون قسي
الافرنج للمحاصرات في البلاد وتكون للرجالة عند المصافة للحرب وكثيراً ما
نصبر الخيل عليهم وتمهلهم لان يوتّروها ولا تجد في خواص الاندلس واكثر
عوامهم من يمشي دون طيلسان الا انه لا يضعه على رأسه منهم الا الاشياخ
المعظمون وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمرا وخضرا والصفر مخصوصة
باليهود ولا سبيل ليهودي ان يتعمم البتة والذؤابة لا يرخيها الا العالم ولا
يصرفونها بين الاكتاف وانما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى وهذه الاوضاع
التي بالمشرق في العمائم لا يعرفها اهل الاندلس وان رأوا في رأس مشرقي داخل
الى بلادهم شكلا منها اظهروا التعجب والاستظراف ولا يأخذون انفسهم
بتعليمها لانهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير اوضاعهم وكذلك في تفصيل الثياب

واهل الاندلس اشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير
ذلك مما يتعلق بهم وفيهم من لا يكون عنده الا ما يقوته يومه فيطويه صائماً

ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها . وهم اهل احتياط وتدبير في المعاش وحفظ لما في ايديهم خوف ذل السؤال فلذلك قد ينسبون للبخل ولهم مروءات على عادة بلادهم لو فطن لها حاتم لفضل دقائقها على عظائمه ولقد اجتزت مع والدي على قرية من قراها وقد نال منا البرد والمطر اشد النيل فأوينا اليها وكنا على حال ترقب من السلطان وخلو من الرفاهية فنزلنا في بيت شيخ من اهلها من غير معرفة متقدمة فقال لنا ان كان عندكم ما اشتري لكم فحماً تسخنون به فاني امضي في حوائجكم واجعل عيالى يقومون بشأنكم فاعطيناه ما اشترى به فحماً فأضرم ناراً فجاء ابن له صغير ليصطلي فضربه فقال له والدي لم ضربته فقال يتعلم استغنام اموال الناس والضجر للبرد من الصغر ثم لما جاء النوم قال لابنه اعط هذا الشاب كساءك الغليظة يزيدها على ثيابه فدفع كساءه الي ثم لما قمنا عند الصباح وجدت الصبي منتبهاً ويده في الكساء فقلت ذلك لوالدي فقال هذه مروءات اهل الاندلس وهذا احتياطهم اعطاك الكساء وفضلك على نفسه ثم فكر في انك غريب لا يعرف هل انت ثقة او لص فلم يطب له منام حتى يأخذ كساءه خوفاً من انفصالك بها وهو نائم وعلى هذا الشيء الحقير فقس الشيء الجليل .انتهى كلام ابن سعيد باختصار بنقل صاحب النفح

ومن شعره وهو بمصر يتشوق الى الاندلس :

هذه مصر فأين المغرب   مذ نأى عني فعيني تسكب
فارقته النفس جهلا انما   يعرف الشيء اذا ما يذهب
اين حمص اين ايامي بها   بعدها لم الق شيئاً يعجب

كم بعيش لي بها من لذة حيث للنهر خرير مطرب
وحمام الأيك تشدو حولنا والمثاني في ذراها نسخب
أي عيش قد قطعناه بها ذكره من كل نعمى أطيب
ولكم بالمرج لي من لذة بعدها ما العيش عندي يعذب
والنواعير التي تذكارها بالنوى عن مهجتي لا تسلب
ولكم في شنتبوس(١) من منى قد مضيناه ولا من يعتب
أين حسن الليل من نهر بها كل نغمات لديه نطرب
كم به من زورق قد حله قمر ساق وعود يضرب
لذة الناظر والسمع على شم زهر وكئوس تشرب
كم ركبناها فلم تجمح بنا ولكم من جامح اذ يركب
طوعنا حيث اتجهنا لم نجد تعباً منها اذا ما نتعب
قد اثارت عثيراً يشبهه نثر سلك فوق بسط ينهب
كلما رشنا لها أجنحة من قلاع ظلت منها تعجب
كطيور لم تجد رياً لها فبدا للعين منها مشرب
والى مالقة يهفو هوى قلب صب بالهوى لا يقلب
اين ابراج بها قد طالما حث كاسي في ذراها كوكب
حفت الاشجار عشقاً حولنا تارة تنأى وطوراً تقرب
جاءت الريح بها ثم انثنت أتراها حذرت من ترقب
وعلى مرسية ابكي دماً منزل فيه نعيم معشب

(١) سواد اشبيليه وفيه منتزهات عديدة .

مع شمس طلعت في ناظري   ثم صارت في فؤادي تغرب
هـذه حالى واما حالتي   في ذرى مصر ففكر متعب
سمعت اذني محالا ليتها   لم تصدق ويحها من يكذب
وكذا الشيء اذا غاب انتهوا   فيه وصفاً كي يميل الغيب
ها انا فيها فريد مهمل   وكلامي ولساني معرب
وأرى الالحاظ تنبو عندما   اكتب الطرس افيه عقرب
واذا احسب في الديوان لم   يدر كتابهم ما احسب
وانادي مغربياً ليتني   لم اكن للغرب يوماً انسب
نسب يشرك فيه خامل   ونبيه اين منه المهرب
أتراني ليس لي جد له   شهرة او ليس يدري لى اب
سوف اثني راجعاً لاغربي   بعدما جربت برق خلب

﴿ ابن الخطيب ﴾

ذو الوزاتين لسان الدين محمد بن عبدالله المعروف بابن الخطيب السلماني (نسبة الى سلمان حي من عرب اليمن القحطانية) المثل المضروب في البلاغة والخطابة والشعر والكتابة والسياسة والرياسة ولد بلوشة على مقربة من غرناطة وعني بعلوم اهل عصره من لغة عربية وكلام وفقه وحديث وتفسير وطب وفلسفة حتى اصبح نسيج وحده وعالم عصره الى قلم غزير المادة متدفق المعاني ذي سلاسة وانسجام يرمي الى كل غرض ويثبت في كل مقام الى شعر حسن السبك متين المعنى تتقاذف درره وتتماوج غرره الى خلابة تخلب الالباب وتلج الى المقصود من كل باب فكان اذا خطب على رأس ملا او في سفارة قلدها

اجتمعت لرأيه الاراء المتباعدة وانقادت له الاهوآء الشاردة فما يكاد يلقي من يمينه العصا حتى يعقد بأنامله ازمة من عصا وترجمه المقري في النفح ترجمة حافلة ونقل كل ما ذكره في شأنه المؤرخون بل انه اجلالا لقدره واعظاماً لذكره سمى كتابه هذا باسمه ووسمه بوسمه وهو نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب وسبق ذكر ذلك تحت ترجمة المقري

وابن الخطيب من بيت عريق في العلم والفضل والسياسة والرياسة وكان ابوه وزيراً لابي الحجاج بن الاحمر وقتل في الدفاع عن حوزته في وقعة طريف المشهورة فخلفه ابنه لسان الدين في الوزارة ولما هلك ابو الحجاج ودالت الدولة لابنه الغني بالله استوزره ايضاً وفوض اليه الشئون فجرت الامور طبق سياسته ووقف الناس عند رأيه واشارته ولم يزل يرتع في بحبوحة الهناء ويتفيأ ظلال العز والسناء حتى قلب الدهر له بغتة ظهر المجن فخلع مولاه واعتقل هو واستصفيت امواله ثم تخلص من شرك الاسر بشفاعة ابي سالم بن ابي الحسن المريني ملك المغرب وقدم هو وابن الاحمر المخلوع عليه فأجل مقدمهما وغمرهما باحسانه وتجول ابن الخطيب حينئذ في مراكش واعمالها بقصد زيارة اوليائها والوقوف على ما بها من الاثار ولما رجع القى عصا تسياره بسلا وهم بالعزوب عن الرياسة واغتنام ما بقي من العمر في العبادة والانعزال لولا ان ابن الاحمر عادت اليه دولته واستدعاه فلبى الامر وامتثل مكره اخاك لا بطل فزج في يده مقاليد الحل والعقد والقبول والرد فغص بذلك اعداؤه ورشقوه بالسعاية عن يد واحدة فاستوخم عاقبة الامر وفر من وجههم الى ابي فارس عبد العزيز بن ابي الحسن المريني فصادف عنده من الحفاوة والاكرام ما قرت به عينه وابتهج

به صدره ولما بلغ الخبر الى ابن الاحمر حنق عليه ونغل لذلك قلبه وزاد الطين بلة ما نمى له عنه انه يغري ابا فارس بتملك ارض الاندلس ومحو دعوة بني الاحمر منها وزور عليه حينئذ اعداؤه من اهل بلده غرناطة كلمات من كتابه روضة التعريف في الحب الشريف(١) الذي عارض به ديوان الصبابة لابن ابي حجلة زندقوه بها في زعمهم فبعث ابن الاحمر بذلك الى ابي فارس مع هدية جليلة وطلب منه ان يسلمه اليه فاقشعت(٢) مخيلته وما زاده ذلك عنده الا عزاً ولما مات ابوفارس وولى ابنه السعيد عاد ابن الاحمر الى طلبته فامتنع من ذلك ابن غازي وزيره ووزير ابيه من قبل وابى ان تخفر ذمته فلما استيئس ابن الاحمر منه صوب سهم المكيدة نحو اسقاط سلطانهما فاحتال على اهل طنجة وسبتة حتى خلعوا السعيد وبايعوا ابا العباس بن ابي سالم وكان من عهده اليه ان يسلم اليه ابن الخطيب متى تم له الامر فلما استوثق له الامر قبض على ابن الخطيب واودعه السجن وطير بالخبر الى ابن الاحمر فبعث اليه كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو ابوعبدالله بن زمرك فقدم عليه واحضر ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة وعرضت عليه تلك الكلمات وعظم النكير عليه فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمحضر ذلك الملأ ثم تل الى محبسه وتفاوضوا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه فافتى بعض الفقهاء بقتله فدس سليمان(٣) بن داود اليه بعض الاوغاد من حاشيته فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة من اهل

(١) قال في النفح ضمنه من التصوف وعبارات اهله العجب العجاب وتكلم فيه على طريقة اهل الوحدة المطلقة .قال وبذلك سجل عليه اعداؤه في نكبته الاخيرة التي ذهبت فيها نفسه ونسبوه الى مذهب الحلول وغيره مما ذكره يطول وانظر الجلد الرابع من النفح فقد ذكر منه جملة صالحة (٢) السحابة التي تحسبها ماطرة (٣) من حاشية السلطان ابي العباس وكان شديد العداوة لابن الخطيب لسبب ذكره ابن خلدون فارجع اليه .

الاندلس جاءوا في لفيف ذلك الوفد فقتلوه خنقاً في محبسه واخرجوا شلوه من الغد فدفن في مقبرة باب المحروق ثم اصبح من الغد طريحاً على شافة قبره وقد جمعوا له اعواداً فأضرموها عليه ناراً فاحترق شعره واسود بشره واعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته وكان رحمه الله ايام مقامه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه فمما قال في ذلك :

بعدنا وان جاورتنا البيوت　　وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة　　كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاماً　　وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا　　غربنا فناحت علينا السموت
فكم جدلت ذا الحسام الظبي　　وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة　　فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب　　وفات ومن ذا الذي لا يفوت
ومن كان يفرح منهم له　　فقل يفرح اليوم من لا يموت

وكانت نكبته سنة ٧٧٦ واما مصنفاته فقال في النفح ان تاليف لسان الدين التي علمت نحو الستين وكلها في غاية البراعة بحيث انه لم يأت احد من اهل عصره بمثل ما جاء به بل وكثير من غير اهل عصره ثم اخذ في عدها فمنها الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة والاحاطة بما تيسر من اخبار غرناطة في تسعة اسفار ورقم الحلل في نظم الدول وشرحه وكتاب السحر والشعر ومعيار الاخبار في ذكر المعاهد والديار واعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاسلام من ملوك الاسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام وريحانة

الكتاب ونجعة المنتاب وهذا الكتاب قد اشتمل من الانشاء على كثير في اغراض شتى من مخاطبات الملوك على اختلاف اجناسهم واحوالهم واحوال الكبراء ومخاطباتهم حتى ملوك النصارى وذكر في صدره خطب بعض كتبه وفي آخره بعض مقاماته وتحليته لاهل عصره وغير ذلك وبالجملة فهو كتاب مفرد في بابه ومفاضلة مالقة وسلا وخطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف وقد ذكرهما في الريحانة بنصهما وجعلهما من جملة ما اشتملت عليه وبستان الدول وهو اغربها جعله عشر شجرات بشعب واصول وجراثيم وعمد وقشر ولحاء وغصون واوراق وزهرات مثمرة وغير مثمرة كمل منه نحو من ثلاثين سفراً انظر نفح الطيب.

(انتقاد) ليس منها كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية اذ لم نر من عده فيها لا المقري في النفح ولا غيره ووقع في آخره ما يدل على ان نسبته اليه مجرد انتحال ترويجاً له باسم رجل عظيم وذلك ان في آخره لدى ذكر سلطان مراكش ابي زيد عبدالرحمن المريني انه ألفه يوم الخميس الثاني عشر لشهر ربيع الاول من عام ثلاثة وثمانين وسبعمائة ولا شبهة ان وفاة ابن الخطيب كانت قبل ذلك بست سنين اذ هي في اول سنة ست وسبعين وسبعمائة وذلك انه لما تم الامر للمستنصر ابي العباس المريني من استيلائه على فاس في المحرم من هذه السنة القى القبض على ابن الخطيب لحينه وفق الاتفاق الذي كان بينه وبين ابن الاحمر وطير الاعلام اليه فقدم ابن زمرك فكانت نكبته رحمه الله كما سبق زد على ذلك ان من نافث انفاس ابن الخطيب ادرك لاول نظرة ما بين القلمين من البعد الشاسع والله اعلم.

رشفة من بحار نثره

قال في الاحاطة من ترجمة تلميذه الوزير الكاتب ابي عبدالله بن زمرك وارث رتبته من بعده ومقتعد اريكة سعده وهو يومئذ من جملة اتباعه(١) هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الاندلس وافراد نجبائها مختصر مقبول هش خلوب عذب الفكاهة حلو المجالسة حسن التوقيع خفيف الروح عظيم الانطباع شره المذاكرة فطن بالمعاريض حاضر الجواب شعلة من شعل الذكاء تكاد تحتدم(٢) جوانبه كثير الرقة فكه غزل مع حياء وحشمة جواد بما في يده مشارك لاخوانه نشأ عفاً طاهراً كلفاً بالقراءة عظيم الدءوب ثاقب الذهن اصيل الحفظ ظاهر النبل بعيد مدى الادراك جيد الفهم فاشتهر فضله وذاع ارجه(٣) وفشا خبره واضطلع بكثير من الاغراض وشارك في كثير من الفنون واصبح متلقف(٤) كره البحث وصارخ الحلقة ومظنة الكمال ثم ترقى في درجة المعرفه والاضطلاع وخاض لجة الحفظ وركض قلم التقييد والتسويد والتعليق ونصب نفسه للناس متكلماً فوق الكرسي المنصوب وفوق المحفل المجموع مستظهرا بالفنون التي بعد فيها شأوه من العربية والبيان وما يقذف به في لجج النقل من الاخبار والتفسير متشوفاً مع ذلك الى السلوك مصاحباً للصوفية آخذا نفسه بارتياض ومجاهدة ثم عانى الادب فكان املك به واعمل الرحلة في طلب العلم والازدياد فترقى الى الكتابة عن ولد السلطان امير المسلمين بالمغرب ابي سالم ابراهيم بن امير المسلمين ابي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ثم عن السلطان وعرف في بابه

---

(١) ولما اظلم الجو بينه وبينه ذكره في الكثيبة الكامنة بالغض والتنقيص (٢) يقال احتدمت النار اذا التهبت (٣) الارج في الاصل ريح الطيب واراد ذكره الجميل وخصاله (٤) مختطف .

بالاجادة ولما جرت الحادثة على السلطان صاحب الامر بالاندلس واستقر بالمغرب انس له وانقطع اليه وكر في صحبة ركابه الى استرجاع حقه فلطف منه محله وخصه بكتابة سره وثابت الحال ودالت الدولة وكانت له الطائلة فأقره على رسمه معروف الانقطاع والصاغية(١) كثير الدالة مضطلعاً(٢) بالجطه خطاً وانشاء ولسناً(٣) ونقداً فحسن منابه واشتهر فضله وظهرت مشاركته وحسنت وساطته ووسع الناس تخلقه وارضى(٤) للسلطان حمله وامتد في ميدان النظم والنثر باعه فصدر عنه من المنظوم في امداحه قصائد بعيدة الشأو في مدى الاجادة وهو بحاله الموصوفة الى هذا العهد اعانه الله تعالى وسدده . ه .المقصود منه

وقال في معيار الاخبار في ذكر المعاهد والديار الذي وصف به البلاد الاندلسية والمغربية كما قال وصفاً لا يظلم مثقالا ولا يعمل في غير الصدق وخذاً ولا ارقالا واذا قلتم فاعدلوا ومن اصدق من الله مقالا في وصف مدينة فاس :

سألت عن العالم الثاني ومحراب السبع المثاني(٥) ومغنى المغاني ومرقص النادب والغاني وارم المباني ومصلى(٦) القاصي والداني هي الحشر الاول والقطب الذي عليه المعول والكتاب الذي لا يتأول بل المدارك والمدارس والمشايخ والفهارس وديوان الراجل والفارس والباب الجامع من موطا المرافق ولواء الملك الخافق وتنور الماء الدافق ومحشر المؤمن والمنافق وسوق الكاسد والنافق حيث البنا(٧) التي نظر اليها عطارد فاستجفاها(٨) وخاف عليه الوجود

(١) اراد الميل الى السلطان (٢) قوياً عليها (٣) الفصاحة وكأنه اراد فصاحة الخطابة (٤) يقال ارضاه اذا اعطاه ما يرضيه (٥) يعني انها محل الاقتداء(٦) يعني ان الكل ينتابها لانها يومئذ دار الملك وعاصمة البلاد (٧) بضم الباء وكسرها جمع بنية وهي ما بنيته (٨) اراد ان ابنيتها شاهقة .

ان يصيبها بعينه الحسود فسترها بالغور واخفاها(١) والاسواق التي ثمرات كل شيء اليها قد جبيت(٢) والموارد التي اختصت بالخضر وحبيت(٣) والمنازه المخطوبة وصفاح الخلج(٤) المشطوبة(٥) والغدر (٦) التي منها ابوطوبة

بلد اعارته الحمامة طوقها وكساها ريش جناحه الطاووس
فكأنما الانهار فيه مدامة وكأن ساحات الديار كئوس

اجتمع بها ما اولده سام وحام وعظم الالتئام والالتحام فلا يعدم في مساكنها زحام فأحجارها(٧) طاحنة ومخابزها شاحنة وألسنتها باللغات المختلفة لاحنة ومكاتبها هائجة ورحابها متهايجة واوقافها جارية والهمم فيها الى الحسنات واضدادها متبارية بلد نكاح واكل وضرب وركل وامتياز من النساء بحسن زي وشكل ينبه بها الباه وتمتل الجباه وتوجد للازواج الاشباه الى وفور النشب وكثرة الخشب ووجود الرقيق وطيب الدقيق وامكان الادام وتعدد الخدام وعمران المساجد والجوامع وادامة ذكر الله في المئاذن والصوامع . ه

وقال في الكثيبة الكامنة :

في ترجمة امام النحاة ابى حيان احد الراحلين من الاندلس الى المشرق

سيف النصرة المدافع عن اهل البصرة وامام صناعة النحو المتقلب في حججها

---

(١) هو كذلك لان وضعها بين جبلين (٢) جمعت وجلبت (٣) من الحباء بمعنى العطاء والانعام (٤) جمع خليج (٥) ويقال سيف مشطوب اي فيه شطب وهي الطرائق في متنه واراد ان واديها متفرع الى جداول ونهيرات وانها متشعبة في كل جهة منها ومن لطيف الاعتبار ان جريان نهرها بجوفها كالدورة الدموية في الجسد فكما ان الدم ينبعث من الرئة صافياً في مجار واسعة ثم يتفرع الى عريقات صغار حتى يستوعب اعماق البدن فتقوم به البنية وتقوى الحواس والاعضاء على اداء وظيفها وحركاتها ثم يتمم دورته وقد احترق ما به من الاوكسجين النافع واستبدله بغاز الكاربون فاستحال ازرق متغيرا فاسدا فكذلك نهر فاس يدخلها صافياً في مجرى واسع ثم يتفرع الى جداول ونهيرات وينتشر في كل انحائها وارجائها فينتفع به اهلها وتدور به ارحاؤها ومعاملها ثم يخرج وقد استهلكت منافعه على الاجمال يحمل بدلها الاوساخ والازبال (٦) جمع غدير (٧) يعني ارحاءها .

بين الاثبات والمحو والغيم والصحو لو مر به ابو الاسود لقال سلام ثم اراد كيف ينقسم الكلام او مر بابي بشر(١) لقال يابشراي هذا غلام . كان رحمه‌الله براً يغرف من بحر ونسيم سحر يهب من تلك البلاد على شحر(٢) رحل عن الاندلس والغصن ناضر ومن الشبيبة حاضر وقد برع في علم اللسان وفي اغراضه الحسان واستقر بمصر على الطير الميامين والبر الكفيل الضمين وصحب الركبان الى الحرم الامين ورفع لواء الشهرة الذي له يشار ولطله تحدى العشار فقصد درسه وعرف بالانجاب غرسه وتغالى فيه الغلاة واعتنت به الامراء والولاة وتأكدت بينه وبينهم بسبب ابنائهم الموالاة وكثرت لديه الفوائد والصلاة وانتفعت المغاربة بجاهه مدة حياته واهتدت سراتهم بنور آياته وساعده امله وكان ممن طال عمره وحسن عمله واحسب(٣) الراوين ودوّن الدواوين وزين الاواوين وكان له شعر مهاده(٤) في الاجادة وثير(٥) ودعابة يثيرها الطبع مثير وان لم الق هذا الرجل فهو من بلدي وتأخرت وفاته عن مولدي الى ان اجاز ولدي. ومن شعره قال رحمه الله تعالى حسبما نقل من خطه: قدم علينا الشيخ المحدث ابو العلاء محمد بن ابي بكر البخاري الفرضي بالقاهرة في طلب الحديث وكان رجلا حسناً طيب الاخلاق لطيف المزاج فكنا نسايره في طلب الحديث فاذا رأى صورة حسنة قال هذا حديث على شرط البخاري فنظمت هذه الابيات.

بدا كهلال الافق وقت طلوعه ... ومال كغصن الخيزران المنعم
غزال رخيم الدل وافى مواصلا ... موافقة منه على رغم لوم

---

(١)سيبويه امام النحو المشهور (٢)ساحل البحرين بين عمان وعدن مشهور بجلب العنبر وغيره منه (٣)ارضى (٤)جمع مهد (٥)وطيء لين ولم يطابق لكونه بمعنى فاعل على حد والملائكة بعد ذلك ظهير

مليح غريب الحسن اصبح معلماً   بحمرة خد بالمحاسن معلم
وقالوا على شرط البخاري قد اتى   فقلت على شرط البخاري ومسلم

قال فقال يا مولانا انا البخاري فمن مسلم قلت له انت البخاري وانا مسلم قلت ولو كنت انا المخاطب لكان مدا الدعابة افسح ومن العصمة ان لا تجد.ﻫ

زهرات من رياض شعره

من اعذب ذلك واحلاه موشحته الانيقة التي عارض بها توشيح ابن سهل وهي موشحة تسيل رقة وانسجاماً وتهتز لها الارواح وجداً وهياماً ودونكها انموذجاً لهذا الفن اللطيف الذي استنبطه(١) الاندلسيون وهي :

جادك الغيث اذا الغيث همى   يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلماً   في الكرا او خلسة المختلس
اذ يقود الدهر اشتات المنى   تنقل الخطو على ما يرسم
زمراً(٢) بين فرادى وثنا   مثل ما يدعو الوفود الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا   فثغور الزهو منه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما(٣)   كيف يروي مالك عن انس
فكساه الحسن ثوباً معلما(٤)   يزدهي منه بأبهى ملبس
في ليال كتمت سر الهوى   بالدجى لولا شموس الغرر(٥)
مال نجم الكاس فيه وهوى   مستقيم السير سعد الاثر
وطر ما فيه من عيب سوى   انه مر كلمح البصر

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون (٢) جمع زمرة وهي الجماعة (٣) المطر (٤) موشى
(٥) زاد الوجوه الصباح .

حين لذ الانس شيئاً او كما هجم الصبح هجوم الحرس
غارت الشهب بنا او ربما اثرت فينا عيون النرجس
اي شيء لامرىء قد خلصا فيكون الروض قد مكن فيه
تنهب الازهار منه الفرصا امنت من مكره ما تتقيه
فاذا الماء تناجي والحصا وخلا كل خليل باخيه
وترى الآس لبيباً فهماً يسرق السمع باذني فرس
تبصر الورد غيوراً برما(١) يكتسي من غيظه ما يكتسى
يا اهيل الحي من وادي الغضا وبقلبي سكن انتم به
ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا لا ابالى شرقه من غربه
فاعيدوا عهد انس قد مضى تعتقوا عانيكم عن كربه
واتقوا الله واحيوا مغرماً يتلاشى نفساً في نفس
حبس القلب عليكم كرماً أفترضون عفاء الحبس
وبقلبي منكم مقترب باحاديث المنى وهو بعيد
قمر اطلع منه المغرب شقوة المغري به وهو سعيد
قد تساوى محسن او مذنب في هواه بين وعد ووعيد
ساحر المقلة معسول اللمى جال في النفس مجال النفس
سدد السهم وسمى ورمى ففؤادي نهبة المفترس
ان يكون جار وخاب الامل وفؤاد الصب بالشوق يذوب
فهو للنفس حبيب اول ليس في الحب لمحبوب ذنوب

(١) ضجرا ضيق النفس .

امره معتمــل ممتثــل في ضلوع قد براها وقلوب
حكّم اللحظ بها فاحتكما لم يراقب في ضعاف الانفس
منصف المظلوم ممن ظلمــا ومجــازي البر منهــا والمسي
ما لقلبي كلما هبت صبا عاده عيد من الشوق جديد
كان في اللوح له مكتتبا قولــه ان عــذابي لشــديد
جلب الهم له والوصبــا فهو للاشجان في جهد جهيد
لاعج في اضلعي قد اضرما فهي نار في هشيم اليبس(١)
لم يدع في مهجتي الا دماً كبقاء الصبح بعــد الغلــس
سلمي يا نفس في حكم القضا واعمري الوقت برجعي ومتاب
دعك من ذكرى زمان قد مضى بين عتبي قد تقضت وعتاب
واصرفي القول الى المولى الرضا ملهم(٢) التوفيق في ام(٣) الكتاب
الكريم المنتهــى والمنتــمى اسد السرج وبدر المجلس
ينزل النصر عليــه مثل ما ينزل الوحي بروح القدس
مصطفى الله سمي المصطفى(٤) الغني بالله عن كل احد
من اذا ما عهد العهد وفا واذا ما قبح الخطب عقــد
من بني قيس بن سعد وكفى حيث بيت النصر مرفوع العمد
حيث بيت النصر محمي الحمى وجني الفضل زكي المغرس
والهوى ظــل ظليل خيماً والنــدى هب الى المغــترس

---

(١) النبت اليابس المكسور (٢) على وزن اسم المفعول (٣) اللوح المحفوظ (٤) اراد السلطان ابن الاحمر .

هاكها يا سبط انصار العلا　　والذي ان عثر الدهر اقال
غادة ألبسها الحسن ملا　　تبهر العين جلاء وصقال
عارضت لفظاً ومعنى وحلى　　قول من انطقه الحب فقال
هل درى ظبي الحمى ان قد حمى　　قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثل ما　　لعبت ريح الصبا بالقبس

وقال لما اشرف على الحضرة المراكشية في تجوله ببلاد المغرب حاطها الله :

ماذا احدث عن بحر(١) سبحت به　　من البحار فلا اثم ولا حرج
دعاه مبتدع الاشياء مستوياً　　ما ان به درك كلا ولا درج
حتى اذا ما المنار الفرد لاح لنا　　صحت ابشري يامطايا جاءك الفرج
قربت من عامر داراً ومنزلة　　والشاهد العدل هذا الطيب والارج

وقال لما وقف على مصانع مراكش وقصورها وقصبتها واعتبر ما صار اليه حالها بعد الموحدين :

بلد قد غزاه صرف الليالى　　واباح المصون منه مبيح
فالذي خر من بناه قتيل　　والذي خر منه بعض جريح
وكأن الذي يزور طبيب　　قد تأتى له بها التشريح
اعجمت منه اربع ورسوم　　كان قدماً بها اللسان الفصيح
كم معان غابت بتلك المغاني　　وجمال اخفاه ذاك الضريح
وملوك تعبدوا الدهر لما　　اصبح الدهر وهو عبد صريح .

(١) اراد به بسيط تلمسنا الطويل المديد .

دوخوا نازح البسيطة حتى نال ما شاء ذابل وصفيح
حين شبت لهم من الباس نار ثم هبت لهم من النصر ريح
اثر يندب المؤثر لما طال بعد الدنو منه النزوح
ساكن الدار روحها كيف يبقى جسد بعد ما تولى الروح

وانشد لما وقف على قبر المعتمد باغمات :

قد زرت قبرك عن طوع باغمات رأيت ذلك من اولى المهمات
لم لا ازورك يا اندى الملوك يداً ويا سراج الليالي المدلهمات
وانت من لو تخطى الدهر مصرعه الى حياتي لجادت فيه ابيات
اناف قبرك في هضب يميزه فتنتحيه حفيات التحيات
كرمت حياً وميتاً واشتهرت علا فانت سلطان احياء واموات
ما ريء مثلك في ماض ومعتقدي الا يرى الدهر في حال ولا آت

هذا وقد نجز بمعونة الله ما رمنا تنسيقه من تراجم بعض المشاهير من علماء الاندلس والمغرب مع الالماع بنبذة من كتابتهم واشعارهم وذلك في ذي الحجه من عام 1338 .

ولم نعرج على الكثير من بواقع هذه البقعة الرباطية لانا ارجأنا ذلك الى فهرستنا الجامعة ان شاء الله لشيوخنا ومشايخهم وهنالك يلقي سحاب القلم ارواقه . ويجرى في ميدان معارفهم أطلاقه . وأما هنا فقد قوضنا اطناب الاطناب

واعتصرنا تبرعات الاسهاب وانزوينا الى الايجاز اجابة للاستنجاز. ولعل بعض حواشيه ثقلت بشرح رسالة ابن زيدون وقصيدة ابن عبدون ولكن اغضينا عن ذلك لما في طي صدفتيهما من المنازع الادبية وتحت عنصرهما من الامثال العربية والله الموفق سبحانه والحمد لله اولا وآخراً .



ملخص

بحور الشعر الستة عشر نظمها صفي الدين الحلّي

١ً الطويل

طويل له دون البحور فضائل   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل

٢ً المديد

لمديد الشعر عندي صفات   فاعلاتن فاعلن فاعلات

٣ً البسيط

ان البسيط لديه يبسط الامل   مستفعلن فاعلن مستفعلن فعل

٤ً الوافر

بحور الشعر وافرها جميل   مفاعلتن مفاعلتن فعول

٥ً الكامل

كمل الجمال من البحور الكامل   متفاعلن متفاعلن متفاعل

٦ً الهزج

على الاهزاج تسهيل   مفاعيلن مفاعيل

٧ً الرجز

في أبحر الارجاز بحر يسهل   مستفعلن مستفعلن مستفعل

٨ً الرمل

رمل الأبحر ترويه الثقات   فاعلاتن فاعلاتن فاعلات

٩ً السريع

بحر سريع ما له ساحل   مستفعلن مستفعلن فاعل

١٠ً المنسرح

منسرح فيه يضرب المثل   مستفعلن مفعولات مفتعل

١١ الخفيف

يا خفيفاً خفّت به الحركات   فاعلاتن مستفع لن فاعلات

١٢ المضارع

تعدّ المضارعات   مفاعيل فاع لات

١٣ المقتضب

اقتضب كما سألوا   فاعلات مفتعل

١٤ المجتثّ

ان جثّت الحركات   مستفعلن فاعلات

١٥ المتقارب

عن المتقارب قال الخليل   فعولن فعولن فعولن فعول

١٦ المتدارك ويسمى المحدث

حركات المحدث تنتقل   فعلن فعلن فعلن فعل

* * *

تقريظ

الحمد لله الذي جعل التاريخ مرآة الايام والعبر . وديوان المبتدا والخبر . والصلاة والسلام على من دل تاريخ حاته انه اكمل البشر . والرسول العام الذي عم دينه الحق وانتشر . وعلى آله الناهجين منهاجه في الورد والصدر . واصحابه الذين ما تريث احد منهم عن نصرته ولا صدر . اما بعد فقد اطلعني اخونا في الله وقريبنا الفقيه العلامة . المشارك الدراكة الفهامة . الشاب الذي بلغ السيادة في عنفوان شبابه . وصار من شيوخ الاملاء واربابه .

بلغ السيادة في ابتداء شبابه ‍ ‍ ‍ ‍ ان الشباب مطية للسودد

من هو في بحر العلوم العقلية والنقلية سابح . ابوعبدالله سيدي محمد بن عبدالسلام السائح . لا زال رافلا في حلل السعادة . حاملا ألوية السيادة . على المنتخبات العبقرية . التي ألفها لطلاب المدارس الثانوية الاسلامية . فنزهت الطرف في رياضها . وانهلت الفكر الصادي من حياضها . واجتنيت دررها . واجتليت غررها . وقطفت من قطوف جناتها . المتدانية لجناتها . ما حملني على ان قلت هكذا والا فلا لا . وانشأت ارتجالا .

لله منتخبات حبر اقبلت ‍ ‍ ‍ ‍ تنبي بأن له عظيم الشان
قد احرزت قصب السباق وبرزت ‍ ‍ ‍ ‍ في الحسن والتحقيق والاتقان
وتوشحت بجواهر قد اخجلت ‍ ‍ ‍ ‍ زهر السما وقلائد العقيان

ثم قلت لا غرو ولا عجب . فان مؤلفها ممن نال في العلم اسمى الرتب.
ونسلت اليه اسراره من كل حدب :

من احرز السبق في كل العلوم ومن   أهدى لنا من كنوز سره تحفا
ادامه الله للطلاب يرشدهم   الى سبيل الرشاد والهدى وكفى

قاله وكتبه عن استعجال العبد الخاطي. محمد بن اليمني الناصري الرباطي.
كان الله له وبلغه امله آمين . . .



اصلاح غلط

صحيفة	سطر	غلط	صواب
٦	٢	مراكم	مراكش
٦	١١	وشيدلا	شيد
٧	٧	جبل	جميل
١٦	١٧	بلى	الأي
١٨	١٤	شهدت	شاهدت
٢١	١٤	تهمة	تهامة
٢٥	١٢	ذوائبه	ذؤابة
٣٠	١١	البرودة	البردة
٣٢	٥	السحاة	كذا بالاصل ولعل صوابه السحاء
٣٣	١٨	الحيمدي	الحميدي
٣٩	٣	غادر	غاد
٤٢	١	النات	النجيب
٧١	١٠	طاهلا	طوهلا
٨٦	٧	بسطة	بسطه
٩٤	٣	ويلحق بذلك الى آخر السطر	الصواب اسقاطه
١٠١	١٠	عياش	عليليش
١٠٢	٧	عروص	عروس

صحيفة	سطر	غلط	صواب
١٠٢	١١	القلع	القلاع
١٢٩	٥	الرجل	الرجال
١٤٢	٨	اساجل الادباء وتناضل الشعراء	اساجل الشعراء وتناضل الادباء
١٥٣	١	علقة	علفة
١٥٧	١	وذلك	ذلك
١٦١	٦	تنبوء	تنبو
١٦٧	١٦	بعددكم	بعد بعدكم
١٦٨	١٢	وأبهر	وأبهى
١٩١	٢٠	البلاد	البلاء
١٩٢	١٧	واقر	واقد
١٩٤	١٢	سمعتة	سمتة
١٩٥	١٢	محمود	محمد
١٩٥	١٤	علك	عليك
١٩٦	١٠	اعطاك	اعطاكم
٢٠٠	١٨	بأوى	بأن
٢٠٤	١٣	والحزم	والحجم
٢٠٥	٧	ابن سهل	توشيح ابن سهل
٢٠٥	١٦	والعارض (٥) المنبجس	والعارض المنبجس (٥)

صحيفة	سطر	غلط	صواب
٢١٢	٦	مضيناه	قضيناه
٢١٨	١١	كره	كرة
٢٢٣	١٠	عن	من

وما عسى ان نكون اغفلناه فانا نكله الى نباهة المطالع



فهرس القسم الاول

القسم الثاني







